الرسائل السياسية
بين الامام علي(ع) ومعاوية

عبد الرضا الزبيدي

الرسائل السياسية بين الامام عليٍّ (ع) ومعاوية

عبد ال

امام علي (ع)
٥
٢
٥١

ISBN 964-465-024-7

9789644650246

الرسائل السياسية

بين الامام علي عليه السلام ومعاوية

الرسائل السياسية
بين الامام علي (ع) ومعاوية

دراسة وتحليل

عبدالرضا الزبيدي

زبیدی، عبدالرضا، ۱۳۳٤ـ
الرسائل السیاسیة بین الامام علی عليه السلام ومعاویة / المؤلف عبدالرضا الزبیدی ـ قم: دار الکتاب الاسلامی، ۱٤۲۱ق. = ۱۳۷۹.
۳٤۷ص. ISBN 964 - 465 - 024 - 7
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنمه: ص. [۳۱۱]ـ۳۳۹؛ همچنین به صورت زیرنویس.
۱. علی بن ابی طالب عليه السلام امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ٤۰ق. ـ سیاست. ۲. معاویة بن ابی سفیان، خلیفه اموی، ۲۰ قبل از هجرت ـ ٦۰ق. ـ سیاست. ۳. اسلام ـ تاریخ ـ از آغاز تا ٤۱ق. الف. عنوان.
۹۵۳/۰۲ DS ۳۸/۱/۲ز۵ر
کتابخانه ملی ایران ۷۹ـ۲٦۹۸م

جميع حقوق الطبع محفوظة ومسجّلة للناشر

الكتاب: ...... الرسائل السياسية بين الامام علي عليه السلام ومعاوية
المؤلف: .... عبدالرضا الزبيدي
الناشر: .... دار الكتاب الاسلامي
الصف والإخراج الفني: .... سيّد كمال البطّاط
الطبعة: .... الأولى ۱۳۷۹ هـ. ق ـ ۲۰۰۰م
المطبعة: .... أمير
عدد النسخ: .... ۲۰۰۰ نسخة
شابك: ۹٦٤ ـ ٤٦٥ ـ ۰۲٤ ـ ۷ ISBN: 964 - 465 - 024 - 7

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

بعد أن أتممنا كتابنا السابق المعنون «في الفكر الاجتماعي عند الإمام عليّ» وكان دراسةً في ضوء كتاب نهج البلاغة للإمام عليٍّ عليه السلام، وقع طُبع ونُشر في حينه ـ شرعت بكتابة دراسةٍ أُخرىٰ في نهج البلاغة، حيث انفتحت لي أبواب أُخرىٰ جديدة للبحث في هذا الكتاب الخالد، فما أن أدخل باباً من أبوابه، أو أقرأ خطبةً من خطبه، أو أدرس رسالةً من رسائله إلّا وأكون أمام كمٍّ هائلٍ من العلوم والمعارف والمناهج القويمة بمختلف أنواعها، لا بل أجد نفسي بعد كلٍّ ذلك أنّي علىٰ أعتاب أبوابٍ أُخرىٰ تبهر العين بجمالها، ويَسلب الألباب فكرُها، وتجذب الروح إليها، وتُحيِّر السابر غورها في تنوّع طرقها، في أيٍّ منها يدخل؟ وإلىٰ أيٍّ منها ينظر؟ لِمَا حوته من خصائص قلّ نظيرها، ومناهج افتخرت بعلوّها علىٰ غيرها.

مباحثها تأريخ نطق بصدق حقائقه، وعلومها باهرة، ومعارفها ناضرة، وأُسسها تربوية عالية لا سبيل الى رتق حجب معارف غيرها إلّا بها، منها استوحىٰ العلماء علومهم، واستخلص الفلاسفة أفكارهم، واستدلّ بها علماء السياسة والتدبير بواقعيةٍ علىٰ سلامة نظريّاتهم، وانحنىٰ حكّام البشر وقادة الأُمم إجلالاً لعظمة مسالك سياستها، وهامَ رجال الأخلاق في خوض دروس أخلاقها، وانبهر أهل البلاغة والفصاحة واللغة في بديع كلماتها واستحكام جملها

وعظمة معانيها.

فمن أين يبتدىء المرء في الحديث عن هذا النهج الخالد؟ وفي أيّ المواقف ينتهي؟ فهو في دوّارةٍ من ذلك، فكلٌ يبغي، وكلٌّ تتعلق نفسه بها، والجميع في حاجةٍ إليها، والىٰ البحث فيها ودراستها.

فساقني شغفي الى عمقِ وسعةِ مواضيعها، فطرقت باب «موضوع الرسائل المتبادلة بين الإمام عليٍّ عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان»؛ لأهتف بالحقائق مصرّحاً، موضّحاً، كاشفاً، سالكاً في ذلك طريقاً لا أجد فيه اعوجاجاً، واضعاً المنهج الصادق أمام نظري، رافعاً عيني الى الباري عزّ وجلّ ليكون عَلَيَّ شاهداً في أنّي لم أكن في بحثي هذا مناوئاً ولا متحيّزاً، ولا متحزّباً، وهدفي هو رضاؤه سبحانه وتعالىٰ من خلال كشف مظلومية رجلٍ بُني كيان الإسلام بسواعده، ربّاه رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره، وآخاه بعد هجرته، أمين سرّه، ومبلّغ رسائله، ذاك هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بطل الإسلام وفارسه الهمام، وزوج الزهراء بنت المصطفىٰ صلى الله عليه وآله، وأب الحسنِ والحسين عليهما السلام؛ ليكون علىٰ بيّنةٍ من أمره كلّ من أغشاه ظلام الجهل والدجل عن معرفة الحقيقة، وأعمت بصيرته قوىٰ التعصّب والضلالة، فأضاع مسيره الذي أراده له الله جلّ شأنه، وسلك المسالك التي لا تفضي إلّا الى الضياع في الدنيا والخسران في الآخرة.

لم آتِ بشيءٍ غريب، ولم أتفوّه بكلام سليب، ولم أنطق عن هوىٰ، ولم ابتدع ديناً جديداً، ولم أُزيّف حقائقَ ثبتت عند الجميع، إنّما استخلصتُ دراستي ومنهجي من نهج البلاغة، ودعمتُ ذلك بما نهلته من بطون كتب المسلمين ومراجعهم، وجعلت حقائق التأريخ فيها سندي في الشرح والتوضيح، وفي بعض الأحيان كانت كلمات الإمام عليٍّ عليه السلام هي نفسها تفسّر بعضها البعض، والأُخرىٰ واضحة المعنىٰ لا تحتاج الى تفسيرٍ أو شرحٍ وتعليق، كاشفاً كلّ

تناقضات الأحداث، وأكاذيب معاوية في رسائله من خلال تباين مواقفه، واختلاف بعضها عن البعض الآخر، ولم أتقيّد بتسلسل الحديث في الرسائل المتبادلة أو تأريخ تبادلها، إنما قد يجد القارىء العزيز نصوصاً مستقطعةً من رسالة واحدةٍ موزّعةٍ علىٰ عدّة مواضيع في أبواب وفصول متفرقة.

فالمنهج الذي اتّبعته هو البحث الموضوعي، فتحتَ عنوان كلّ موضوعٍ جمعتُ ما ورد من الرسائل ممّا تعلّق بذلك الموضوع في مكانه المرتبط به، فمثلاً:

موضوع «السقيفة في الرسائل» جمعت كلّ ماورد عن أحداث السقيفة وملابساتها وقرائن ذلك، وما تعلّق بها من أُمورٍ وأحداثَ في بابٍ واحدٍ مقسّمٍ الىٰ عدّة فصول، ووضعت النصوص الواردة بشأن تلك الحادثة ضمن الحديث عن ذلك الباب، وربّما كان هناك بعض النصوص لم يرد ذكرها بين طيّات البحث مع وجود أبواب مواضيعها، وهذا نتج عن عدم الحاجة إليها ولتشابه مطالبها وتكرار البعض منها في عدّة رسائل، وهناك شيء آخر أُلفِت النظر اليه، وهو: أنّ هناك بعض المواضيع التي لم أتطرّق إليها في الوقت الحاضر مع وجود نصوصٍ لها في الرسائل؛ لأغراضٍ متفرّقة، آملاً من الباري عزّ وجلّ أن يُعينَنا علىٰ إتمام ذلك في أقرب فرصةٍ ممكنة.

وكيف كان فإنّي أضع هذه الدراسة أمام جميع إخوتي وأخواتي من أبناء الإسلام العزيز، ومن أتباع نبي الرحمة، سيّدِنا ونبيِّنا محمدٍ رسولِ الله ﷺ، الذي أمرنا بالصدق في الحديث، وأتّباع الحقّ المبين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والى الله أشكو أمري لمن لم يتّعظ، ولم يأخذ الجدَّ في سلامة أمره في آخرته.

ختاماً أدعوه جلّ شأنه أن يهدي كلّ من لم يهتدِ الى طريق الحقّ واتّباع

منهجه، وأن يُبصِّر كلّ من عَمِي، ولم يعلم حـجم الآثـار السـلبية لاعـتقاداتـه الخاطئة وآرائه المشوشّة اتّجاه سيِّد الموحِّدين وقائد الغرِّ المحجَّلين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم جميعاً، والله من وراء القصد.

عبدالرضا الزبيدي

١٥ شوال ١٤١٩هـ ـ ١/٢/١٩٩٩م

* * *

الباب الأول

السياسة لدى الامام عليّ ﷺ ومعاوية

الفصل الأول

مفهوم السياسة والتسيّس

نبذة في معنىٰ السياسة:

السياسة كما وصفها بعض أساطين الفكر السياسي بأنّها: «فنّ وعلم».

وقد أعطىٰ لها آخرون تعاريف متقاربة المعنى بعض الشيء، فقد عرّف ليتره ـ عام (١٨٧٠م) ـ السياسة بأنّها: «علم حكم الدول»[١].

أمّا (برونتولاتيني) فقد قال بأنّها: «حكم المدن، وهي أنبل العلوم وأسماها، ويتعلّق بأرفع المناصب علىٰ الأرض، وتشمل السياسة بصورةٍ عامةٍ جميع الفنون التي تهمّ الجماعة الإنسانية»[٢].

ومنحها الدكتور صعب صورةً أُخرىٰ عبر مفهومٍ واسعٍ وجذّاب، وهو: أنّ السياسة «هي صناعة الخير العام»[٣].

وجاء في معجم روبير (عام ١٩٦٢م): «السياسة فنّ حكم المجتمعات»[٤].

أمّا في الانسيكلوبيديا الكبرىٰ تعني اصطلاحاً «فن حكم الدولة»[٥].

وأمّا كلمة «Politique» الفرنسية فمردّها إلىٰ الكلمات اليونانية التالية:

---

(١) مدخل الى علم السياسة لموريس دوفرجيه: ص٧.

(٢) علم السياسة للدكتور حسن صعب: ص٢٠.

(٣) المصدر السابق: ص٩٥.

(٤) مدخل الى علم السياسة: ص٧.

(٥) علم السياسة: ص٢١.

١ ـ «Polis» وتعني الدولة، أو المدينة، أو الناحية، أو اجتماع المواطنين الذين تتألّف منهم المدينة.

٢ ـ «Polieteia» وتعني الدولة، الدستور، النظام السياسي، الجمهورية، والمواطنة.

٣ ـ «Politica» وهي جمع «de Politicos»، وتعني الأشياء السياسية، والأشياء المدنية، والدستور، والنظام السياسي، والجمهورية، والسيادة.

٤ ـ «Politik» وتعني الفن السياسي[1].

وقد أعطىٰ بعض أعلام الفكر صوراً متعدّدةً لمعنىٰ السياسة؛ نستطيع أن نعتبرها جميعاً علىٰ أنّها تعبّر عن المنظور العام لتصورات كلٍّ منهم لهذا المفهوم.

أمّا الموسوعة السياسية فقد دوّنت للسياسة «Politics» التعريف التالي، وهي: «النشاط الاجتماعي الفريد من نوعه، الذي ينظّم الحياة العامة، ويضمن الأمن، ويقيم التوازن والوفاق من خلال القوة الشرعية والسيادة بين الأفراد والجماعات المتنافسة والمتصارعة في وحدة الحكم المستقلّة علىٰ أساس علاقات القوة، والذي يحدّد أوجه المشاركة في السلطة بنسب الإسهام والأهمّية في تحقيق الحفاظ علىٰ النظام الاجتماعي وسير المجتمع»[2].

وهناك تعريف آخر له مداليل أُخرىٰ تساعدنا في بحثنا حول سياسة الإمام عليٍّ أثناء خلافته الراشدة إضافةً الىٰ ما سبق، حيث عبَّر عن السياسة بأنّها: «هي النشاط الاجتماعي المدعوم بالقوة المستندة إلى مفهومٍ ما للحقّ أو للعدالة لضمان الأمن الخارجي والسلم الاجتماعي الداخلي للوحدة السياسية، ولضبط

---

(١) المصدر السابق: ص١٩.

(٢) الموسوعة السياسية: ٣/٣٦٤.

الصراعات والتعدد في المصالح ووجهات النظر ؛ للحيلولة دون الإخلال بتماسك الوحدة السياسية باستخدام أقلّ حدٍّ ممكنٍ من العنف»[١].

فيما نرىٰ أحد رؤساء الوزارات البريطانية ينظر الى السياسة علىٰ أنّها : «فن حكم البشر عن طريق خداعهم»[٢]، في حين عبّر الامبراطور الفرنسي الشهير نابليون بونابرت عن ذلك بقوله : «السياسة هي تنظيم الجماهير المستعدة للتضحية في سبيل المثل»[٣].

أمّا أرسطو فقد اعتبر «السياسة هي علم السيادة وسيّدة العلوم»[٤].

هناك أيضاً تعاريف تختلف في ألفاظها عن بعضها البعض، إلّا أنّها لا تتباعد كثيراً في صور مفاهيمها، حيث إنّ كلّ واحدٍ من المهتمين بهذا الأمر يتصور المعاني لمفهوم السياسية وفقاً لمنظوره الخاصّ واعتقاداته بصورةٍ عامة، غير أنّنا نشمّ أنفاس الميكافيلية بصورةٍ واضحةٍ في جانبٍ من جوانب كلّ تعريف، وكأن الأمر لا يكون ولا يستقيم إلّا وفق ذلك المنهج، وهذه كلّها تقريباً تبتعد عن الرؤية الاسلامية لهذا المفهوم الذي يتّكىء علىٰ قوانين السماء بصورةٍ مطلقة، لا علىٰ شريعة الغاب المعاصرة والسابقة، ممّا جعل البشرية تتوق إليها، حتّىٰ أنّ القسم الأعظم منها يتمنّىٰ أصولاً سياسيةً تتقارب مع المفهوم الإسلامي للسياسة رغم جهله بالمبادىء الإسلامية، وتطبيقاته وهذه هي فطرة الإنسانية واتجاهها نحو العدالة والسلام والعيش بأمانٍ فنهاك توجه ارادي ولا ارادي نحو سياسة تنهض علىٰ مبادىء اخلاقية رفيعة وهو توجه تتّسع دائرته بين سكّان

---

(١) المصدر السابق: ص٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

المعمورة رغم وجود تلك الكلمات العملاقة والمؤثّرة في النفوس، والتي يحاول أنصارها وضعها في مقام المنافسة مع المفهوم الإسلامي، ومن أمثالها: الديمقراطية، الدستور، الحرّية، العدالة، الحقّ، المُثل، السيادة، الإنسان والإنسانية... الخ.

وعلىٰ العموم فاشتقاق الكلمة جاء من «ساسَ» «يسوس»، أي تدبير شؤون الناس وتملّك أُمورهم والرئاسة عليهم، ونفاذ الأمر فيهم[1]؛ وأيضاً يمكن أن نقول: إنّها «تستخدم للدلالة علىٰ معاني القيادة والرئاسة، والمعاملة، والحكم، والتأثير، والحلم، والتربية، والترويض»[2].

المبدأ في سياسة الإمام عليّ عليه السلام:

هناك من ادّعىٰ أنّ الإمام عليّاً عليه السلام لم يدرك المفاهيم السياسية وصور تطبيقاتها، بل لم يستوعبها، ولم يكن في إمكانه استخدام الأساليب السياسية المتعارفة لمواجهة خصمه اللدود معاوية، ولم يتفنّن في ذلك، وأنّ معاوية كان أدهىٰ منه. بل ادّعىٰ البعض أنّه لم يتمكّن من إدارة البلاد كما ينبغي، في حين لم ينظر هؤلاء الىٰ الوضع الممزّق للبلاد الإسلامية نتيجة الظروف والملابسات التي خلّفها حادث مقتل الخليفة الثالث، وتعقيد الفتنة والتباسها علىٰ الكثير من سكّان الأمصار الأُخرىٰ، إضافةً الى مخلَّفات تبعات تولية الخلفاء الثلاثة الأوائل لولاةٍ لم يكونوا أهلاً للمسؤولية الكبرىٰ وكان بعضهم يتجاهر بالفسق والفجور والظلم، ولم يحاسبهم أحد علىٰ انحرافاتهم هذه، ناهيك عمّا سُتر بعباءة الخليفة الثالث

(١) الموسوعة السياسية: ص ٣٦٤ (بتصرّف).

(٢) المصدر نفسه.

بسبب الارتباطات العشائرية، واستطاعت فئة أُخرىٰ من هؤلاء الولاة خلق ظروفٍ خاصّةٍ معقّدةٍ في منطقته يصعب علىٰ أيِّ إنسان يتسلّم السلطة ـ خاصّةً بعد مقتل الخليفة الثالث ـ أن يعزلهم أو يحاسبهم «وقد دفع هذا الوضع البالغ الخصوصية العديد من المؤرّخين النقّاد الى تصوير عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام بمظهر المتردّد أحياناً علىٰ ماهو عليه من شجاعة وحدّيّة [يرىٰ كتاب الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي لدومنيك وجانين سورديل (ج ١) أنّ هذا الشخص [علياً] البالغ التواضع، الشجاع، كان قليل الحنكة! كما يرىٰ ذلك ـ خطأ ـ كتّاب غربيّون آخرون].

إنّ مبعث ذلك: أنّهم آثروا التسجيل الخارجي لبعض الممارسات التي كان عليّ بن أبي طالب يصغي فيها لنداء الحقّ مع نفسه مصغياً في الوقت نفسه لنداء أصحابة»[١].

أمّا العقّاد فقد سجّل صورةً للوضع القاتم أبّان تسلّم الإمام عليٍّ عليه السلام الخلافة، كما رآها بنظرته الثاقبة وفكره الخلّاق، معلّلاً الفوضىٰ والتفكّك اللذَين حدثا أول الأمر سببهما أنّ معاوية الخصم الأشدّ لعليٍّ عليه السلام كان في بلادٍ «لا ينازعه فيها منازع، ولا يودّ أحد فيها أن تخرج من يديه وتؤول الى غيره.

وتولّىٰ عليّ بلاداً كلّها نزاع من أمر الخلافة الىٰ أصغر الأمور. فنازعه الخلافة طلحة والزبير، وأحاط به رهط من المتزمّتين المتفقّهين يسألون عن الكبيرة والصغيرة، ويجتهدون اجتهادهم في كلِّ شأنٍ من شؤون السياسة»[٢]، بالإضافة الىٰ اختلاف أفكار طُغام القوم الذين معه حيث تمثّل بأبياتٍ من الشعر

(١) عليّ بن أبي طالب سلطة الحقّ: ص١٦٦.

(٢) موسوعة عبّاس محمود العقّاد الإسلامية: ص٥٤٢، شخصيات إسلامية.

قائلاً:

«فلو أنّي أطعتُ عصمتُ قومي
الىٰ ركن اليمامة أو شمام
ولكنّي متىٰ أبرمت أمراً
مُنيتُ بخُلفِ آراء الطُغام»(١)

إن أجواء مصرع الخليفة الثالث خلقت حالةً من التمزق في أوصال الدولة الإسلامية، نتيجةً لاستغلال النفعيّين والطامعين من الولاة والملوك ان صح تسميتهم بذلك الذين اهتزّت عروشهم ببيعة الأمّة لعليٍّ عليه السلام لتلك الظروف المستجده، ولا يخفىٰ عليك أنّ أوّلهم معاوية، ومن تصوّر أنّ الأمصار ملك وراثيّ له ولعائلته، أو من اعتقد أنّ من حقّه الإغارة علىٰ بيت مال المسلمين، وإقطاع المقاطعات علىٰ حساب المبادىء التي نادىٰ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسار عليها عليّ عليه السلام، فآثر هؤلاء التمرّد المسلّح والانفصال والمراوغة علىٰ الطاعة والخضوع وفضلّوا عدم الرضوخ للواقع الجديد، فأصبحوا كهفاً للمنافقين والمتذمّرين، ومِمَّن تضرّرت مصالحهم الخاصّة بصورةٍ أو بأُخرىٰ بالوضع الإسلامي الجديد فآووهم واستغلّوا نفوذهم، واستفادوا منهم كواجهةٍ إعلاميةٍ أمام المسلمين، وسلبوا منهم دينهم وعقيدتهم بشهادتهم المزورة ضد علي عليه السلام بل ضد دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ التدوينات التأريخية لهؤلاء وغيرهم ممّن سار علىٰ نهجهم في بلادنا الإسلامية تعتبر بحدِّ ذاتها تشويهاً متعمَّداً لحقائق ناصعةٍ لا يمكن إغفال النظر عنها، خصوصاً لمن كان له باعاً طويلاً في البحث التأريخي، فالتعمية لأفكار

(١) قل ولا تقل للدكتور مصطفىٰ جواد: ١ و ٥٤/٢.

البشر لا تنطلي أبداً علىٰ من عرف حقيقة علـيٍّ عليه السلام وإيـمانه الذي رفـض كـلّ العروض والمساوامات السياسة التي تعطيه القدرة في الهيمنة والسيطرة والحكم القوي علىٰ البلاد، وهو القائل عليه السلام «لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّةً، ولا تفرّقهم عنّي وحشةً؛ لأنّي محقّ»[١].

أو حينما طلب منه المباشرة في تقسيم العطاءات، وتفضيل الأشراف من العرب وقريش علىٰ الموالي من أُولئك الذين يؤثّرون في مواقع تواجـدهم، أو يُخاف منهم الانخراط في صفوف المعارضين؛ علىٰ أمل استتباب الأمن ومسك زمام الدولة، ثمّ ترك هذه القسمة والعودة الى السيرة الأُولىٰ، وكما أرادها أمـير المؤمنين عليه السلام فردَّ عليّ عليه السلام علىٰ جميع هذه المقترحات المـيكافيلية المـضمون، وقال:

«أَتأْمُرُونني أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بالْجَوْرَ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لاَ أَطُورُ[٢] بـِهِ مَاسَمَرَ سَمِيرٌ[٣] وَمَا أَمَّ[٤] نَجْمٌ»[٥].

هذا أمر طبيعيّ بالنسبة لرجلٍ كعليٍّ أبي طالب عليه السلام، فقد كان «مقيّداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلىٰ اتّباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممّن لم يلتزم بذلك»[٦].

---

(١) نهج السعادة: ٣٠٥/٥، وورد مع أختلاف طفيف في نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٥٤٨/٣، وكذلك في المعجم المفهرس لنهج البلاغة: ص٣٠٥.

(٢) لا أطورُ به: من «اطار يطُور» إذا حام حول الشيء، أي لا أمُرّ به ولا أقاربه.

(٣) ما سَمرَ سَميرٌ: أي مدىٰ الدهر.

(٤) أمَّ: قصد.

(٥) نهج البلاغة ـ تحقيق د. الصالح: ص١٨٣ الخطبة رقم ١٢٦.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٢/١٠.

آراء أُخر...:

كانت سياسة عليٍّ عليه السلام في خلافته مثيرةً للجدل والنقاش، فقد تباينت حولها الآراء، وانقسمت فيها وجهات النظر الى قسمين: سلبي وإيجابي، فالذي ينظر في عليٍّ عليه السلام شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام كلّه والعدالة والحقّ ومقارعة الظلم يدوّن ملاحظاته الإيجابية على سياسته بصورةٍ ناصعة.

أمّا الذي ينظر الى أنّ واقع السلطة يفرض اتّباع الميكافيلية في تسيس الأُمّة يدوّن ملاحظاته السلبية على سياسته، وهؤلاء ينظرون الى نهج عليٍّ عليه السلام السياسي نظرةَ استخفافٍ وسخرية، فهم يعتقدون بأنّ الحاكم لا يستقيم له أمر إذا لم يتّبع السياسة الميكافيلية كنهجٍ ثابت له، كما هو حال معاوية. كذلك يعتقد فريق آخر أنّ الإمام علياً عليه السلام كانَ جاهلاً بمقوّمات السياسة والإمارة، ويقدِّم أحدهم صورةً لذلك على هيئة سؤالٍ وجواب، منتقداً سياسة الإمام عليه السلام، وطارحاً النهج الذي يعتقد به أنّه كان على الإمام عليه السلام أتّباعه وفي هذا الإطار:

«يشترى الناس؟

ـ نعم،

يقدِّم الرشاوي والمكاسب والمغانم والمناصب؟

ـ نعم،

يغتال خصومه؟

ـ نعم،

ـ وما الضرر في أن يفعل كلّ ذلك؟

لقد توانى عن فعل ذلك، وترك لخصومه الفرص واسعةً للعمل ضدّه.. ولم

يستفِدْ من السلطات التي تحت يديه..»[١].

البعد السياسيّ لدى الإمام عليّ عليه السلام وبعض الآراء:

إن الحقائق التأريخية المعروفة لدينا والمتعلّقة بسيرة الامام علي عليه السلام تُهدينا الى اليقين الثابت فى أنّ معالجاته عليه السلام للحوادث التي واجهته كانت تتضمن البعد السياسي والاجتماعي بما لا يقبل الشكّ، وهناك أسئلة تطرح نفسها:

هل خدعه طلحة والزبير، أم أنّه عرف مسيرهما وأخبرهما بهدفهما؟

هل أنّ عليّاً عليه السلام انطلت عليه خدعة المصاحف؟!

كلا، لم تنطلِ، وقد حذّر من تلك اللعبة الخبيثة، وحثّ على الاستمرار في القتال سيّما وقد لاح النصر فيه لقواته التي كانت قاب قوسين أو أدنى منه!!!

مَن الذي اختار أبا موسى الأشعري؟

إنّهم قطعات كبيره من جيشه، فالإمام عليه السلام أراد أن يضرب عمرو بن العاص بشخصيّةٍ قويةٍ وذكية، وطرح نِدّه حِبرَ الأُمّة عبد الله بن عبّاس، الذي رفض ترشيحه أولئك الجهلة وأصروا على انتخاب أبي موسى الأشعري، وكانت مؤامرةً سياسيةً قادتها الضمائر الخسيسة ممّن أشتراها معاوية بالأموال ونفذها العوامّ الذين لا يعون شيئاً.

كم عانى الإمام عليّ عليه السلام من أُولئك الذين ملأوا قلبه قيحاً ومرارةً؛ لعدم طاعتهم إيّاه؟!

هل استطاع معاوية وعمر بن والعاص الالتفاف على الإمام عليٍّ عليه السلام من

---

(١) علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة لحسنين كرّوم: ص٧٨. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

خلال الأُطروحات التي عرضوها عليه، أم انهم ردّوا على أعقابهم ناكصين؟

هل توانى لحظةً واحدةً عن خصومه، أم أنّه أسرعُ إليهم من أنفسهم حتّى لا تتّسع دائرة تمرّدهم، ولا يمتدّ نفوذهم أبعد من ذلك؟

ألم يحذِّر أصحابه من غارات جيش معاوية على أطراف الدولة الاسلامية؟!

ألم يحثّهم على المسير إليهم والقضاء على تحرّكاتهم العسكرية قبل فوات الأوان؟!

هذه هي أبرز الحقائق التي واجهته وطرق معالجته لها.

ناهيك عن عهد الإمام عليٍّ عليه السلام لواليه على مصر «مالك الأشتر النخعي»، الذي يعتبر أهمَّ وثيقةٍ سياسيةٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ ونفسيةٍ واداريه واخلاقيه تتضمّن طُرُقَ العلائق مع الجماهير، والمعالجات الصحيحة للأوضاع السقيمة التي قد تواجه الحاكم أو رجل السياسة بالإضافة الى العدد الكبير من رسائله الى ولاته وعمّاله على الأمصار، والتي تميّزت بعمق الرؤية والبعد السياسي لديه.

❊ ❊ ❊

الفَصْلُ الثَّانِي

سياسة عليٍّ ... العقيدة والمثل

العقيدة... المُثل... السياسة:

في عالمنا المعاصر عرفنا أنّه ليس هناك مُثل أو مبدأ خلّاق في عالم السياسة انما هناك منافع، لكن ربّما تجد هنا وهناك ارتباطاً بين عقيدةٍ ما تؤمن بها جماعة من البشر ونهج سياسيٍّ معيَّن، والعقيدة هنا تتباين من واحدةٍ لأُخرىٰ تبعاً لمنابع أُصولها ومبادئها العامة، فاذا كانت العقيدة وضعية المنشأ، فسيكون أفكار أنصارها تحت شعاع المبادئ السياسية النفعية التي تلتقي مع مبدأ (الغاية تبرّر الوسيلة)، بحيث يسيّرون إدارة شؤون الأُمم وفق مصالحهم الخاصّة، وهذه بطبيعة الحال تختلف عن طبيعة السياسة التي تحكمها المُثل العليا المستمدّة من العقيدة الالهية التي تنهض بالمجتمعات من الانحطاط الى درجة الكمال والرقي الإنساني وتهدم أوكار الغدر والمكر والخيانة، ويتحقق ذلك مع وجود قيادة ايمانية لها معرفة تامة في الاحكام الالهية، والعجيب في الأمر أنّ التفكير السلبي، والنظره القاصرة للبعض تفضي إلى تصوّرات خاطئة، إذ يحكمون على رجل القيم والأخلاق والمُثل بالقصور في فهم معنى السياسة ـ كما هو الحال مع سيد الوصيين الامام علي عليه السلام ـ ويتّهمونه بالنقص في المعرفة النفسية السياسية ويدّعون أنّ العالم، أو بالأحرى البشرية تحتاج الى رجل السياسة الذي ينقذ نفسه فى المواقف الحرجة من خلال خداع الآخرين بأساليبة الملتويه، وينسلّ من المشاكل بهدوءٍ ويرمي نارها على غيره.

أمّا تربية المجتمع فهو أمر مضحك لدىٰ البعض، وربّما طرحوا أمراً آخر،

وهو أنّ التربية تكون في كيفية تطبيق الأوامر وتنفيذها بصورةٍ جيّدة، والطاعة العمياء للسائس الكبير بغض النظر عن النتائج السلبية، في حين «إنّ البشرية بحاجةٍ الى حاكمٍ نبراسٍ يُقدِّم للمجتمعات ثماراً أبديةً في العدل، وفي الفكر وفي الممارسة»[١]، وهذا يناقض تماماً أفكار الماديّين والميكافيليّين وأشباههم، الذين يقيسون السياسة العامة للحاكم في ضوء تلك الأهداف الشخصية، لا الأهداف والمصالح الاجتماعية، وهذه الصورة انعكست على بعض الكتّاب الذين آمنوا بتلك الأفكار، فنصبوا ميزان حكمهم على القدرة السياسية لدى الإمام عليٍّ عليه السلام ومعاوية من خلال تلك الآراء، ومن هنا الخلل والسلبية في اطلاق الأحكام.

صحيح «أنّ الناس عامةً إنّما همّهم حطام هذه الدنيا»[٢]، إلّا أنّ الإمام علياً عليه السلام كان «يعزّ عليه أن يعتقد أنّ الناس يدورون كيف دارت مصالحهم ومنافعهم، فلم يعاملهم كما يجب أن يعاملهم رجل السياسة، وإنّما عاملهم كما يعاملهم رجل الأخلاق»[٣].

لقد جسَّد الإمام علي عليه السلام المُثل العليا المنبثقة عن تلك العقيدة السمحاء في سياسته العادلة، فلم يعالج مشاكله السياسية والإدارية والاجتماعية إلّا من خلال تعاليم الدين الحنيف، فهو يرىٰ الله ـ عز وجل ـ معه في كلِّ أمرٍ أو عمل وأينما حلّ وارتحل، وقد ألزم نفسه المباركة بحفظ حقوق الأُمّة والترفّع عن الالتفاف المشبوه عليها، فهو لا يمكنه خذلان الرعية أبداً، ولا يتركها في حيرةٍ وضلالٍ «في المواقف التي تُحطّ من كرامتها وحرّيتها وشرفها وعزّتها وسعادتها

---

(١) علي بن أبي طالب سلطة الحقّ: ص١٦٦.

(٢) العناصر النفسية في سياسة العرب، لشفيق جبري: ص٢٥.

(٣) المصدر نفسه.

من أجل رغبةٍ ذاتيةٍ أو سوء تدبير... ويعتبر ذلك من أُصول العدل في السياسة... وعلى نقيضه كان خصومه الأُمويّون [الذين جرّبوا مبدأً سَبَق لأرسطو أن قرّره في سياسته يسمح بتضليل الجمهور للحصول على دعمه للملك]»[١]، حيث كان معاوية يبسط فكره كلّه وسط المنازل الدنيا التي تبيح له الإخلال بكلِّ العلائق الشرعية ليطوّقها بطرق المكر والخديعة، وتبطين الأُمور، وتغطية الحقيقة، بل وسحقها من أجل تثبيت سلطانه.

«فعليّ كان بالورع ملجماً عن جميع القول إلّا ما هو لله فيه رضىً، ولا يرىٰ الرضىٰ إلا فيما دلّ عليه الكتاب والسَّنة، وممنوع اليد من البطش إلاّ ما هو لله رضىً دون ما يعوّل عليه أصحاب الدهاء والنكرىٰ والمكايد والاراء، فلمَّا أبصرت العوام ـ حفظك الله ـ بوادر معاوية في المكايد ومثابرة غوايته في الخدع وكثرة ما اتفق له وتهيأ علىٰ يده، ولم يروا مثل ذلك من عليّ، ظنّوا بقصور رأيهم وقلَّة عقولهم أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند عليّ، فانظروا بعد ذلك هل بقي له إلّا رفع المصاحف وهي من خدعه، ثم انظر هل خدع بها إلّا من عصي علياً ومال عن رأيه وخالف إذنه»[٢].

لقد أظهر بعض علماءِ وكتّابِ الأسلامِ الكبار بعض اما أُسدِل عليه الستار، أو ما برز بصورةٍ ضبابيةٍ حول واقع سياسة أمير المؤمنين عليه السلام.

فالندوي يذكر ويستشهد بكلام العقّاد في الوقت نفسه: «أنّ سياسة عليٍّ عليه السلام هي اللائقة به ولا بديل لها، ويقول العقّاد في إنصافٍ ودقّةٍ وفي قراءةٍ خلقيةٍ تأريخية: [واتّبع عليّ من اليوم الأول في خلافته أحسن السياسات التي

---

(١) في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام للمؤلف، ط١ بتصرّف.

(٢) رسائل الجاحظ السياسية: ص٣٦٦.

كان له أن يتّبعها، فلا نعرف سياسةً أُخرىٰ أشار بها ناقدوه أو مؤرّخوه ثمّ أقاموا الدليل على أنّها خير من سياسته في صدق الرأي وأمان العافية، أو أنّـها كـانت كافلةً باجتناب المآزق التي ساقته الحوادث اليها].

وكانت لا تزال للمؤرِّخين والناقدين ـ الذين يقيسون الرجـال والعـصور وآثار التربية والعقيدة والمُثل التي يستهدفها القادة بمقياسٍ واحد ـ مآخـذ فـي سياسة سيّدنا عليٍّ عليه السلام»[1].

المدرسة السياسية المتكاملة:

لو عُدنا قليلاً لما تقدّم ووضعنا أمامنا التعريف الثاني للموسوعة السياسية الذي أوردته وأشرت اليه سابقاً لوجدنا أنّ حياة الإمام عليٍّ عليه السلام السياسية تعتبر نهجاً سياسياً متكاملاً، ومدرسةً لأهل الطاقات والمعارف السياسية، حيث إنّـها كانت متجلّيةً بصورةٍ أو بأُخرىٰ في كلّ كلمةٍ من كلمات هذا التـعريف، فسـيرة الإمام عليه السلام في عهد خلافته كانت دفاعاً عن المبادئ الحقّة والعدالة، ناهيك عـن الحقيقة الأهمّ وهي الدفاع عن شرعية حقّه في الخلافة بنصِّ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير، فهي أيضاً كانت دفاعاً عن مبادئ الإسلام بصورةٍ أعمّ، كما أنّ حـروبه التي خاضها انما جاءت لضمان وحفظ أمن الدولة الإسلامية بما يتطلّب ذلك من الوقوف بقوّة السلاح وتعبئة الجيوش لمـنع ايِّ خـللٍ فـي السـلم الاجـتماعي الداخلي، وللحفاظ على الوحدة السياسية والاجتماعية، وتوجيه النصح ومنح الفرصة لِمَن انحرفَ عن جادة الصواب، ضمن تسلسل المنهج العام لطبيعة السيرة السياسية له عليه السلام، ثمّ يُتبَع ذلك استخدام القوة الصارمة ضدّ العصاة والقـتلة، ولم

(١) المرتضى سيرة أمير المؤمنين سيدنا علي بن ابي طالب للندوي: ص١٨٦.

يكن هناك أيّ لَبسٍ أو إيهام في عمله السياسي، اضافة الىٰ ذلك فان السياسة لدىٰ علي عليه السلام هي: «أداة للتغلّب علىٰ سلبيات الماضي والحاضر من أجل التّوصل إلىٰ أوضاع حياتية أفضل في المستقبل لأكبر قدر من النّاس.

والسّياسه، في الوقت نفسه، أداة للمحافظة علىٰ إيجابيّات الماضي والحاضر أمام عواصف التغيير والتقلّبات المفاجئة التي قد تحمل للمجتمع السياسي في ثناياها نذر كارثة.

السياسة، اذن، ليست فنّ التغيير فقط، إنها فن الثبات أيضاً.

إن السياسي الأمين علىٰ قضية مجتمعه، يعيش في أبعاد الزّمان كلّها ـ ماضيه وحاضره ومستقبله ـ ويتعامل مع حقائق الماضي، وواقع الحاضر، وآمال ومخاوف ومطامح المستقبل، يقود، بحذر لا يبلغ الجمود ومغامرة لا تبلغ التّهوّر، مجتمعة نحو آفاق جديدة دون أن يبتر استمراريّته وبعده في الماضي»[1].

فقد كان رجل سلطةٍ وسياسة وقائداً للشرعية الإلهية في الأرض، بارعاً في قيادته، صادقاً مع ذاته، لم يكن كغيره ممّن عَدَلَ نفسه به، (وهو معاوية) في سلوكه وسيرته، والتي كان يتبجّح بها الاخرون، ويترنّم بها عشّاق الميكا فيليه في ساحة الفكر العربي والإسلامي، ويترنّح لها المستشرقون وعلماء الغرب الذين يمجدون سياسة معاوية في حكمه ويعتبرونه أنموذجاً حيّاً لواقع السياسة الحالي، يقول علي عليه السلام مفنداً: «وَاللهِ مَا مُعَاوِيَة بِأَدْهَىٰ مِنِّي، ولكِنَّهُ يَغْدِرُ، وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كراهيَةُ الغَدْرِ لَكُنْت من أَدْهَىٰ النّاس!»[2].

إنّ علياً عليه السلام كان يريد إقامة «... سلطةٍ مثاليةٍ هي أقرب إلى «اليوتوبيا»

---

(١) حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص١٣٧.

(٢) نهج البلاغة ـ تحقيق د. الصالح ـ ص٣١٨ ـ الخطبة رقم ٢٠٠.

التي حلم بها فيما بعد أشتراكيّو أوربّا، الذين كانت فكرة إنقاذ الإنسانية عن طريق «الجمهورية الفاضلة» الفكرة التي نذروا أنفسهم لها، ومن ثمّ أشتهروا بها.

ولم تكن سلطة عليٍّ تكويناً سياسياً ناجما عن وحي الساعة بعد اختياره خليفةً للمسلمين، بل هي محصلّة مؤكّدة لأفكاره عن السلطة، ودورها في تجسيد مصالح المسلمين، ومجتمعات الدولة الإسلامية.

وإنّ تكامل رؤية عليٍّ بن أبي طالبٍ ليس مجرّد تكاملٍ نظريٍّ مُسطّرٍ في مبادئ إسلاميةٍ كان مشتهراً بها، بل هو تكامل نظريّ مصحوب بطرائق سياسية، وبممارساتٍ لا تنفصل عن تصوراته في طبيعة السلطة ونوع مهمّاتها»[1].

فقد كانت سياسته عليه السلام «لا تستمد مقوّماتها من الحفاظ علىٰ الذّات وعلىٰ مصالح الحكم وأُسرته، فلقد كانت أُسرة أمير المؤمنين علي أكثر النّاس حرماناً من خيرات حكمه، وكان هو عليه السلام أكثر حرماناً من أسرته.

وكانت سياسته تستضيء بنور الفكر، وتستهدي تعليم الله، وتنفلق من قيم الاخلاق والمناقب التي تشرّف الإنسان، ولذا فقد كانت سياسة الامام إنسانية بكلّ ما لهذه الكلمة من محتوىٰ.

لم تكن أبداً سياسة الأفعال وردود الأفعال، وحسابات الأرباح والخسائر للحاكم وآله وبطانته... هذه السّياسة الّتي تحمل روح الطيّش والغريزة، وتوجّه بعقليّة مزيج من روح الغاية وروح التجارة.

وقد كان أمير المؤمنين علي في سياسته أميناً لعقيدته، أمينا لشريعته، فلا ينحرف عنهما أبداً، ولا يتجاوزهما ـ كما لا يقصر عنهما ـ في أمر من الأمور أو

---

(١) علي بن أبي طالب سلطة الحقّ: ص١٦٧.

في حالة من الحالات.

أميناً لأخلاقيّاته القرآنية ـ النبويّة، ولذا فقد جعل من العمل السّياسي ممارسة رفيعة المناقب، أميناً لمجتمعه، فيشركه في اتخاذ القرارات بعد أنْ يبصّره بعواقب سوء الاختيار»[١].

التدبير السياسي لدى عليٍّ عليه السلام:

الحديث عن هذا الموضوع يتطلب دراسة متكاملة للفترة التي مرت بها الخلافة الراشدة، وخاصة العهد الثالث وما تمخّض من أحداث سياسية هزت الكيان الاسلامي برمّته وموقف عليٍّ عليه السلام منها، حتى يتبين لنا مدى قوة التدبير السياسي عنده عليه السلام، وقد كُتب الكثير حول هذا الموضوع، ولكنّ أهمّها: الحكمة والتدبير خلال فترة خلافته، حيث برز بصورةٍ واضحةٍ التماسك المحكم والوثيق بين المبادئ والأُسس الشرعية مع الحركة اليومية لأمير المؤمنين عليه السلام، وفي كلّ عملٍ وتحرّكٍ في المجالات كافّة، فهو لم يكن هزيلاً في مواقفه وإجراءاته، ولا متردّداً في قيادته، كان صارماً في ذات الله، قوياً في بيان وتطبيق أحكامه، ولم يكن طارئاً على المبادئ التي استوفاها عهده لمالك الاشتر، ولم يكن في هذا يعطي صوراً وهميةً زائفة يستخدمها لمصالحه الذاتية، ولم يكن بحاجةٍ الى تلميع صورته أمام الآخرين.

إنّما كان يعتقد بما يقول ويعمل، مطبقاً نهجه على نفسه الشريفة أولاً قبل أن يفرضها أو ينصح بها أو يطبّقها على غيره، وهو القائل: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ للنَّاسِ إمَاماً، فلْيَبْدَأ بتعليمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْليمِ غَيْرِه، وَلْيَكُنْ تأْدِيبُهُ بسِيرتِه، قَبْلَ تأْدِيبهِ

(١) حركة التاريخ عند الامام علي: ص١٣٨.

بلِسَانِهِ»[١].

كان هادياً ومرشداً للذين أبعدوه عن محلّه. كانت القيم الإسلامية هي التي تحكمه في كلّ حركته، وأصدق ما قيل في حقّه بشأن التدبير: كلام ابن أبي الحديد الذي قال فيه: «فكان [أي الإمام عليّ عليه السلام] أسّدٌ الناس رأياً، واصحّهم تدبيراً، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لمّا عزم علىٰ أن يتوجّه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار، وهو الذي أشار على عثمان بأُمورٍ كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث، وإنّما قال أعداؤه: لا رأي له؛ لأنّه متقيّداً بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدينُ تحريمه. وقد قال عليه السلام: لولا الدينُ والتُقى لكنت أدهى العرب، وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه، سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن، ولا ريب أنّ من يعمل بما يؤدّي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيودٍ يمتنع لأجلها ممّا يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتشار أقرب»[٢].

وكذلك «فإنّه كان شديد السياسة، خشناً في ذات الله، لم يراقب ابن عمّه كان ولاّه إيّاه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جَبَهَهُ به، وأحرق قوماً بالنار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجليّ، وقطع جماعةً وصلب آخرين.

ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافته في الجمل وصفّين والنهروان، وفي أقلّ القليل منها مقنع، فإنّ كلّ سائسٍ في الدنيا لم يبلغ فتكه وانتقامه مبلغ

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص٣٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٠ ط. مؤسسة الأعلمي.

العشر ممّا فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه»[١].

شراء الضمائر:

هناك الكثير ممّن آخَذَ أمير المؤمنين عليه السلام في عدم شراء ذمم الرجال لبعض الوقت حتى تستهلك، فينفض يده منها، وهذا في الحقيقة أُسلوب لا يناسب شخص عليٍّ عليه السلام، فهو طريق يستهجنه ابن أبي طالب عليه السلام.. ومنهجٌ يرفضه ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله.. فكان لهذا المنهج الممقوت أنصار يعتقدون بصحّته، بل يحبّذون استخدامه. ومن هؤلاء: الأُستاذ حسنين كروم الذي كتب بصريح العبارة: «إنّ عليّاً كان يجب أن يشتري من يستطيع شراءَهم، مستخدماً السلطة التي تحت يديه، وكان الواجب أن يستخدم المال استخداماً سياسياً وليس استخداماً دينياً، أي أن يكون رجل دولة، قضيته الأساسية الملحّة هي السلطة وقهر أعدائه والاحتفاظ بها... وأثناء العمل لتثبيت السلطة الاحتفاظ بها، فإنّ كلَّ خطوةٍ وكلَّ عمل يجب أن يتّجه لخدمة هدفٍ واحد، وهو السلطة أوّلاً وقبل كلِّ شيء»[٢].

لقد انتقينا المقطع التالي وهو «للدكتور محمد طي» حيث استحسنّا ردّه، فآثرنا تدوينه؛ لما فيه من معانٍ ومصاديق ثابتة، وهو كما يلي:

«أولاً: أنّ علياً لم يكن يريد السلطة بأيِّ ثمن، وهذا ما ظهر من قوله: «دَعوني والتمسوا غيري...»».

ثانياً: أنّ الأُستاذ كروم يتجاهل أنّ الدين الاسلامي يشتمل على السياسة

---

(١) المصدر السابق: ١ / ٣١.

(٢) الامام علي ومشكلة نظام الحكم للدكتور محمد طيّ: ص١٣١.

والأخلاق والعبادات والمعاملات، بشكلٍ مترابطٍ لا يسمح بانفصام الشخصية بحيث تكون أخلاقياً في بعض الأمور وغير أخلاقيٍّ في بعضها الآخر.

ثالثاً: لو أنّ علياً لجأ الى الأسلوب المقترح فمن يكون أعوانه؟ هل يكونون من المؤمنين الحقيقين؟

إنّنا لا نعتقد ذلك، بل من الانتهازيّين والمنافقين، فكيف بواسطة هؤلاء يمكن العودة إلى إقامة نظامٍ إسلاميٍّ صحيح، خصوصاً بعد اعتكاف المسلمين الصالحين، الذي لا بد أن يعقب التصرّفات الميكافيلية؟»[١].

إضافة الى ما تقدّم فقد ذكرنا سابقاً ارتباط سياسة الإمام عليٍّ عليه السلام بالمُثل العليا، وتماسك ذلك مع الصيغة الشرعية الإلٰهية في قيادة الأُمّة والالتزام بها، وإنْ تناقض ذلك مع المفاهيم السياسية التي يطبّقها ويعمل بها أُساطين السياسة ورجالاتها، سواء كان ذلك في العهود المتقدِّمة أو المتأخِّرة؛ لأنّ هذه المفاهيم تعتمد أساساً على فن الكذب والاستغفال والالتفاف، ثمّ التسلط وتعزيز السيطرة القهرية، وسحق كلِّ المبادئ والمعالم الأخلاقية إذا اصطدمت بالهدف الأول، وهو الاحتفاظ بالسلطة، وهذه كلّها تتناقض مع عن مفاهيم أمير المؤمنين السياسية وأُسلوبه في الحكم المرتبط تماماً بالتشريعات السماوية.

آراء الجاحظ:

لا يخفى على أيِّ باحثٍ في التأريخ وحوادثه تشخيص واقع العمل السياسيّ لدى الخلافة الشرعية الممثَّلة بعليٍّ عليه السلام ولدى الوالي المتمرّد والمتحصّن في الشام معاوية، وتطابق الأُولى مع الشريعة، وابتعاد الثانية عنها،

---

(١) المصدر السابق: ص١٣١.

فلنستمع لرأي الجاحظ، فهو أوقع في القلب وأقرب الى التصديق من غيره بالنسبة الى مخالفينا، فقد أكّد أنّ علياً عليه السلام «لا يستعمل في حربه إلّا ما وافق الكتاب والسنّة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة، كما يستعمل الكتاب والسنّة ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقىٰ رُتبَيل (صاحب الترك)، وعلي عليه السلام يقول: لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم، ولا تُتبِعوا مدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً. هذه سيرته في ذي الكَلاع، وفي أبي الأعور السلمي، وفي عمرو بن العاص، وحبيب بن مسلمة، وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشْوِ والأتباع والسَّفلة»[1].

وهناك كلام كثير لا مجال لإيراده هنا.

ويضيف ابن أبي الحديد المعتزلي: «هذا آخر كلام أبي عثمان في هذا الموضوع، ومن تأمّله بعين الأنصاف ولم يتَّبع الهوى علم صحّة جميع ما ذكره، وأنّ أمير المؤمنين دُفِع ـ من اختلاف أصحابه، وسوء طاعتهم له، ولزومه سنن الشريعة، ومنهج العدل، وخروج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استمالة الناس إليهم بالرغبة والرهبة ـ إلى ما لم يُدفع إليه غيره. فلولا أنّه عليه السلام كان عارفاً بوجوه السياسة وتدبير أمر السلطان والخلافة، حاذقاً في ذلك، لم يجتمع عليه إلّا القليل من الناس وهم أهل الآخرة خاصّة، الذين لا ميل لهم إلى الدنيا، فلمّا وجدناه دبّر الأمر حين وَلِيَهُ، واجتمع عليه من العساكر والأتباع ما يتجاوز العدّ والحصر، وقاتل بهم أعداءه الذين حالُهم حالهم، فظفر في أكثر حروبه، ووقف الأمر بينه وبين معاوية على سواء، وكان هو الأظهر والأقرب إلى الانتصار

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٢٨، رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية): ص٣٦٥.

ـ علمنا أنّه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكانٍ مكين»[١].

السياسة الشرعية:

ربّما من المناسب أن ننهي الحديث في هذا الفصل بكلام موجز عن السياسة وشرعيّتها في الفكر الإسلامي، فقد كانت النظرة العامة على رجال السياسة قديماً وحديثاً:

أن يتّصفوا بصفاتٍ خاصّة كفنِّ المناورة والمساومة، بل تصل في بعض الأحيان الى الكذب والمكر والخداع، وقد عبّر أحدهم عن ذلك بقوله: «يكاد يكون من المستحيل على الإنسان أن يبقى صادقاً أميناً إذا انغمر في ميدان السياسة»[٢].

وقد لا يكون هذا بطبيعته جوهراً يصبغ الجميع بلونه، إلّا أنّ المصالح الذاتية لرجل السياسة قد تطبع بصماتها على حركته خدمةً للأهداف الخاصّة أو العامة، وقد يدفعه الحرص الى التضحية بمصالح البلاد العامة، فيتّجه أتّجاهاً معاكساً للواقع والحقيقة، فيكذب، ثمّ يكذب...، إلّا أنّ هذا المنهج لم يكن شاملاً كما قلنا.

فالتمسّك بالأُسس الشرعية التي اعتمدها الحكم الإسلامي في صدر الإسلام يمنع السياسيّ من الاتّجاه نحو المنهج الذي يغشّ فيه الامة ويسلبها الإرادة.

فقد كان رسول الله ﷺ صاحب شرعةٍ سماوية، ورجل دولة، وقائداً

(١) المصدر السابق: ص٢٣١.

(٢) سياسة الحكم لأُوستن: ص١٢.

سياسياً عظيماً امتاز بخصائصه القيادية عن الجميع وبتفوّقٍ لا نظير له أبداً؛ لأنّه بلّغ رسالة ربّه، وسار بمجتمع يصعب على أيِّ إنسان مهما كان بارعاً أن يمسك بجميع أطراف بساطه ليشدّهم الىٰ أهدافٍ لم يألفوها، خالفت بعض طباعهم واعتقاداتهم التي يتمسّكون بها ويحيون ويموتون عليها، والأهمّ من كلِّ ذلك القدرة على بناء ذواتهم بناءً جديداً، وقادهم أُمةً واحدةً في كيانٍ واحد عظيم ومع ذلك لم يكن كما ادّعى البعض في تصوارتهم حول رجل السياسة ولو للحظةٍ واحدة، فهو الصادق الأمين في كلّ حياته ﷺ.

وعلي عليه السلام سار على ذلك النهج رغم بروز صعوباتٍ جديدةٍ تختلف عن سابقتها التي واجهها رسول الله ﷺ، فالحرب المعَلَنة ضدّ عليٍّ عليه السلام كانت بسلاح الدين الذي تحمّلَ رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام من أجله ما تحمَّل من معاناةٍ ومشاق، وكذلك تفرّط العقد الجميل الذي جمع شمله رسول الله ﷺ وتناثرت لآلئه شتاتاً، فالصعوبات والمعوّقات التي واجهها عليّ عليه السلام كانت شديدةً للغاية، إلّا أنّه عليه السلام لم يعرقله شيء يعوقه عن تطبيق السياسة الشرعية التي وضع منهجها رسول الله ﷺ. و«تقوم السياسة الشرعية على أُصولٍ اعتبرتها الشريعة قواعد، كما يسمِّيها بعض الأُصوليّين، إذا خرجت السياسة عن هذه القواعد كانت سياسةً وضعيةً لا صلة لها بالشريعة»[١].

وقد أوضح الدكتور القرشي بعض هذه القواعد، والتي منها: الاستحسان، المصالح العامة، سدّ الذرائع، نفي الغدر، العرف، رفع الحرج، تحقيق العدالة، المساواة، والقضاء على الفساد في المجتمع والشورى في الحكم، وغيرها..

هذه القواعد وغيرها هي من أسس ومقوّمات النظرية السياسية

---

(١) أوّليات الفاروق السياسية: ص٥٩.

الإسلامية، وغير تلك القواعد يكون انحرافاً، أو فكراً وضعياً كما نعبِّر عنه.

ولو قارنّا بين البنية السياسية للإمام عليٍّ ﷺ خلال فترة حكمه الراشدي وبين الاتّجاه الفكري لسياسة معاوية في ولايته على بلاد الشام وبعض الامصار الاسلامية فيما بعد لظهرت لنا حقيقة الاتّجاهين، ومن الذي كان نهجه السياسى يبتني على القواعد والأُصول الإسلامية؟ ومن الذي انحرف عنها باستخدام الغدر والظلم والفساد والاستبداد؟!

وهذه حقيقة أوضح من الشمس في رابعة النهار.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

التدبير السياسي
وسياسة التدبير

السياسة كما أرادها معاوية:

لقد تمحورت سياسة معاوية في الشام حول المفاهيم المزيّفة التي تبيح له سحق كلّ القيم الحقّة من أجل النوازع الشريرة للنفس، حتّىٰ وإن تطلّب الأمر تضليل الأُمّة، وخداعها، بل حتّىٰ وإن برزت الحاجة الى تأويل آيات القرآن وتحريف معانيها، ونشر الأحاديث النبوية المختلَقَة لدعم النهج السياسي الذي يحقق آمال معاوية.

لقد سعىٰ الى جمع طبقةٍ من الوضّاعين خدمةً لذلك النهج السياسي المنحرف، واستغلّ ذلك أيّما استغلال، وبذل من أجل تنميته كلّ شيء، فتخطّىٰ وضّاع الحديث كلّ الخطوط الحمراء في تجاوزاتهم على الشريعة المحمدية ونهجها السليم، التي تمثّلت بالقرآن الكريم والسنّة النبوية الطاهرة.

فلم يقف هؤلاء «عند بيان فضله [أي معاوية] والإشادة بذكره، بل أمعنوا في مناصرته والتعصب له، حتّىٰ رفعوا مقام الشام الذي يحكمه الى درجةٍ لم تبلغها مدينة الرسول ﷺ، ولا البلد الحرام الذي ولد فيه، وأسرفوا في ذلك إسرافاً كثيراً، وأكثروا، حتّىٰ أُلّفت في ذلك مصنّفات خاصّة»[1]. ثم اختلقوا لمعاوية فضائلَ لا تُعدّ ولا تُحصىٰ، ونسبوها الى نبيِّ الرحمة والرأفة محمدٍ ﷺ، «وعلىٰ كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها فإنّ

---

(١) أضواء على السنّة المحمّدية: ص١٣٠.

إسحاق بن راهويه ـ وهو الامام الكبير وشيخ البخاري ـ قد قال: إنّه لم يصحَّ في فضائل معاوية شيء»[(١)].

علماً أنّ ابن عساكر دوَّنَ في تأريخه الشيء الكثير من تلك الأحاديث المختلقة، منها على سبيل المثال لا الحصر: «... عن ابن عباس قال: جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ بورقة آسٍ أخضر مكتوب عليها: لا إله إلّا الله، حُبُّ معاوية بن أبي سفيان فرض منّي على عبادي [ساق الذهبي في السير هذا الحديث وأمثاله، وعدَّه من الأباطيل المختلقة، حيث قال: وقد ساق ابن عساكر في الترجمة أحاديثَ واهيةً باطلةً طوّل بها جدّاً]»[(٢)].

كذلك ساق ابن عساكر الحديث التالي وعدّه من فضائل معاوية، قائلاً: «وعن أبي الدرداء قال: دخل رسول الله ﷺ على أمِّ حبيبة ومعاوية عندها نائم على السرير، فقال: من هذا يا أُمَّ حبيبة فقالت: أخي معاوية يا رسول‌الله، قال: أفتحبّينه؟ فقالت: إي والله إنّي لأحبُّه، فقال: يا أُمّ حبيبة، فإنّي أُحبُّ معاوية، وأُحبُّ من يحبُّ معاوية، وجبريل وميكائيل يُحبّان معاوية، والله أشدُّ حبّاً لمعاوية من جبريل وميكائيل!»[(٣)].

وذكر الذهبي في السير هذا الحديث الذي ورد في «أنساب الأشراف» ١٢٧/٤ وحكم بوضعه، وهذا النص كما جاء في السير «عن جعفر[(٤)] أنه أُهدي للنبي ﷺ سفرجل، فأعطىٰ معاوية منه ثلاثاً وقال: «القني بهن في الجنة».

---

(١) المصدر السابق: ص١٣٢.

(٢) مختصر تأريخ دمشقَ لابن عساكر: ٩/٢٥، وانظر سير أعلام النبلاء: ١٢٧/٣ و١٢٨ ومابعدها، وللذهبي تعليقات لطيفة بثّها في ثنايا ترجمته، انظر: ١٢٨/٣ و ١٣٢ و١٣٣ و١٤٢.

(٣) مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر: ٩/٢٥.

(٤) جعفر بن أبي طالب الذي قتل في معركة مؤتة.

قلت: وجعفر قد استشهد قبل قدوم معاوية مسلماً»[١].

هذا في الحقيقة غيض من فيض، فهناك افتراءات وترّهات أكثر.

لقد سعىٰ معاوية الى تغيير التفكير الديني الصحيح في عقلية الفرد الشامي، وبناء شخصيّةٍ شاميّةٍ جديدةٍ تتبلور ثقافتها أصلاً حول الفكر السفياني الأُموي، بحيث أصبحت حالة الانتزاع وتغيير الصورة لدىٰ ذلك المجتمع مهمّةً صعبةً إن لم تكن مستحيلة؛ لِمَا قام به من عملية بناءٍ فكريٍّ متجذّرٍ لذلك المجتمع، وانتهج به الأُسلوب السياسي الماكر حيث (لم يكن معاوية الأمير المترعرع مع بطانته في أحضان الشام محتاجاً إلى معلمٍ من طراز ميكافيلي؛ لأنّه كان الأمير المعلّم، لقد كان ميكافيلي نفسه، الذي توحّدت فيه الإمارة السياسية، ووظيفة تعليم فنون الإمارة والسيطرة، فكان يُعلِّم نفسه بنفسه في ميدان التجربة، دون أن يسمح لأيِّ عائقٍ دينيٍّ أو أخلاقيٍّ بعرقلة سيره علىٰ الدرب الذي اختطّه له[٢].

وليس هناك شيء أوضح دلالةً علىٰ سلبية سياسة معاوية وابتعادها عن أصل مبادىء الدين من رسالته الى ابنه يزيد وهو علىٰ ابواب الموت يقول ابن عبد ربّه في العقد الفريد: (عن الهيثم بن عَديٍّ قال: لمّا حضرت معاوية الوفاةُ ـ ويزيدُ غائب ـ دعا الضحّاك بن قيس الفهريّ ومسلم بن عُقبة المُرّيّ، فقال: أبلغا عنّي يزيد وقولا له: انُظر إلىٰ أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعاهده. وانظر الىٰ أهل العراق فإن سألوك عزل عاملٍ في كلِّ يومٍ فاعزله، فإنّ عَزلَ عاملٍ واحدٍ أهون من سَلِّ مائة ألف سيف، ولا تدري علىٰ من تكون الدائرة، ثمّ انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشِعار دون

(١) سير اعلام النبلاء: ٣/١٣٠.

(٢) علي بن ابي طالب ـ سلطة الحقّ: ص١٠٠.

الدِثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمِه بهم، ثمّ اردد أهل الشام إلىٰ بلدهم، ولا يقيموا في غيره فيتأدّبوا بغير أَدبهم...»[١].

إن هناك جانباً آخر مهمّاً ابتعد فيه معاوية عن طبيعة النظام الإسلامي وطريقته في الحكم، باتّخاذه منحى آخر يقول الدكتور الدوري: (اتجهت خلافة معاوية اتّجاهاً جديداً بتأريخ الإسلام الدستوري، إذ أصبح معاوية الخليفة من حيث نفوذ أُسرته ومن حيث مكانته الشخصية ملكاً في الحقيقة وإن لم يكن لفظ «ملك» لقبه الرسمي)[٢].

التسليم أم الإقرار... لماذا؟

تداول الكتّاب والمؤرّخون بالبحث والتحقيق مسألتين مهمّتين هما:

١ ـ أيّهما أكثر تدبيراً وسياسةً عليّ عليه السلام أم معاوية؟

٢ ـ مسألة إقرار معاوية على الشام أو عدمه.

لقد اختلف في توضيح تلكما النقطتين وبيان حقائقهما وطرح معالمهما جُلُّ المؤرّخين والباحثين تبعاً لاختلاف وجهات النظر لديهم، فالمشكلة الأساسية هي ابتعاد البعض منهم عن الرؤية العلمية الدقيقة إذ تسفر جلسة المحكمة التأريخية لتلك الحقائق عن قرارات وأحكام عاطفيةٍ إن لم نقل انحرافية، ولم تكن المحاكمة عادلةً متوازنة الأحكام كميزان العدل المعلّق على رؤوس القضاة وهذا شيء ربّما يحدث لسببٍ أو آخر، إلّا أنّ الذي يُشجي القلب هو مجافاة الحقيقة المرّة، وإلّا لماذا ينحاز الباحث الىٰ جانب الظلم والبغي؟ فيبرِّر لمعاوية أعماله

(١) العقد الفريد: ٣٤١/٤.

(٢) النظم الاسلامية: ص٣٥.

المنحرفة ويمرِّرها تحت غطاء السياسة ومتطلبّاتها، وينأىٰ عن السيرة الصالحة والمبادىء والعمل السياسي السليم الذي يخدم الأُمّة ؟!

ألم يكن هذا ابتعاداً عن شريعة محمد ﷺ ؟ !

ألم يكن هذا إجحافاً وظلماً للشعوب المستضعفة ؟ !

أَنُقنع أنفسنا بأنّ معاوية رجل سياسيّ وننسىٰ هدمه للقيم والمبادىء التي نؤمن بها.

أهكذا تقاس الأمور ويحكم علىٰ أحداثها ؟ وإذا كانت كذلك فمن حقّنا أن نقول: إنّنا ساهمنا في سحق الروح الإنسانية الطيّبة وفساد الأفكار السليمة !

وإلّا كيف يُعقل أنّ عليّاً كان عليه القبول بإقرار معاوية ـ وهو الأمير المتمرِّد ـ علىٰ الخلافة الشرعية ؟!

إنّ الذين يرون بأنّه كان علىٰ عليٍّ أن يُقِرَّ معاوية في مكانه حتّىٰ ينزع فتيل الأزمة ويحقن دماء المسلمين كان رأيهم ناقصاً، ونظرتهم قاصرةً عن إدراك الحقائق التي ينظر إليها عليّ عليه السلام ذلك أنّ عزله كان تدبيراً سياسياً حكيماً.

إنّ من استخدم قرار عزل معاوية سلاحاً للطعن بسياسة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام كان خاطئاً.

ويوجد أيضاً باحثون سخّفوا آراء أصحاب النظرة السابقة وردّوهم بالحجّة الدامغة، وأصبح المحور الذي يدور حوله النقاش والبحث هو التمسّك بالشريعة، فالجسم المريض في كيان الدولة الإسلامية لابدّ من علاجه وقطع آثاره السلبية كاملةً وبأقصىٰ سرعة قبل استفحاله.

فأرباب السياسة يقولون: إنّ المفاوض السياسي الناجح مع الطرف المقابل هو الذي يطرح أكثر عدداً من البنود المتنوّعة والمعقّدة أحياناً بحيث تربك الخصم وتُفقده زمام السيطرة علىٰ المفاوضات من خلال كثرة الشروط

والمطالب والاستحقاقات الأُخرىٰ، لكن في حقيقة الأمر ليست كلّها هدف أساس، إنما هي سلاح المفاوض في قبال غريمه من اجل الحصول علىٰ التنازلات والوصول الىٰ هدفه الأول المطلوب، فعندما يرىٰ الطرف الآخر كثرة المطالب وصعوبة تحقيق البعض منها يرضىٰ منها بالحدّ الأدنىٰ وكأنّه حقّق نصراً سياسياً رغم أنّها خسارة واضحة في تصوّره أنّه قد تخلّص من المطالب المحرجة، وهو تصور وهميّ انخدع به، وهذا أسلوب سياسيّ يتكىء عليه رجال السياسة المعاصرة في مسيرتهم السياسية خدمةً لمصالحهم أو مصالح بلدانهم في عصر غامض لا يقيم للمبادىء والقيم الحقّة وزناً، حيث الصراع الشرس، والاستحواذ الاشرعي علىٰ أراضي البلدان وبالقوة، وتقاسم النفوذ، وطغيان الأقوياء، وتشرذم الضعفاء، فليس للحقّ من مدافع، ولا للباطل من دافع، وهذا نتيجة لاخطاء تراكمت جرّاء السياسات الخاطئة.

لقد استخدم معاوية الأُسلوب الآنف الذكر مع الامام عليٍّ عليه السلام فطرح عدداً من مطالبه في رسائله منها:

البيعة للمهاجرين والأنصار، لا لك يا عليّ! والأمر شورىٰ بينهم!

المطالبه بدم عثمان!

ادفع قتلة عثمان الينا (أي الى معاوية).

الثأر لمقتل طلحة والزبير!

الثأر لسبي امِّ المؤمنين عائشة [التي خرجت من خدرها لحرب عليٍّ!] كما ادّعىٰ.

هذه هي أهمّ المطالب المعلنة والمطلوب تنفيذها من قبل الخلافة الشرعية الراشدية أمام الرأي العام الإسلامي.

أمّا الهدف المنظور فهو بقاء معاوية في السلطة كوالٍ علىٰ بلاد الشام

الجميلة والغنية بزراعتها وثرواتها الوفيرة وهوائها المنعش للأبدان.

حيث يعيش هو منعّماً فيها كما عاش في العقود الماضية، وقد تبيّن فعلاً أنّه كان مستعدّاً للتنازل عن مطالبه المعلنة إزاء إقراره والياً علىٰ الشام.

إنّ البعض ـ في حقيقة الأمر ـ حاول الإيقاع بالإمام عليٍّ عليه السلام لمنفعة معاوية، والبعض الآخر لم يفطن الى مراميه الشيطانية.

فهذا المغيرة بن شعبة الداهية قال للخليفة الراشدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «أقِرَّ معاوية وابن عامر وعمّال عثمان على أعمالهم حتّىٰ تأتيك بيعتهم ويسكن الناس، ثمّ اعزل من شئت»[1].

ومن المؤكد أنّ ابن شعبة لم يكن ناصحاً لعليٍّ عليه السلام في أيّ يومٍ مضىٰ، فما الذي دعاه لطرح نفسه كناصحٍ أمين، هل أنّها لعبة شيطانية، أو طريقٌ (مخابراتي) كما نعبرّ عنّه في مصطلحاتنا الحديثه طرقه معاوية باستخدام المغيرة لكي يتمّ طرحه علىٰ عليٍّ عليه السلام بصيغة النصحية: أو أنّ الأمر أبعد من ذلك؟!

إنّ الأهداف المتوخّاة من اقتراح إقرار معاوية هو توريط الإمام عليٍّ عليه السلام بإدخاله في نفقٍ لا يرىٰ النور في نهايته، للأسباب التالية:

أولاً: أنّ إشكالات المجتمع الإسلامي آنذاك علىٰ عثمان هي توليته أقرباءه وأحبّاءه بصفاتهم الرديئة المميَّزين بها علىٰ رقاب المسلمين، حتى اتُّهِم عثمان في دينه بسبب ذلك، وقد عبر عن ذلك الدكتور طه حسين: بأنّ قرار عليٍّ عليه السلام بعدم إقرار عوامل الفتنة وأسبابها ـ وهم ولاة عثمان ـ علىٰ الولايات كان من السياسة، وأوضح قائلاً: (فليس من شكٍّ في أنّ عليّاً لم يكن يستطيع أن يستبقي عمال عثمان، كان دينه يمنعه من ذلك؛ لأنّه طالما لامَ عثمان على تولّيه

---

(١) الكامل في التأريخ: ٣٠٦/٢، حوادث سنة ٣٥.

هؤلاء العمّال، وطالما أنكر علىٰ هؤلاء العمال سيرتهم في الناس، فلم يكن يستطيع أن يطالب بعزلهم بالأمس ويثبّتهم علىٰ عملهم اليوم، وتمنعه السياسة من هذا، فهؤلاء الثائرون الذين أجّجوا نار الفتنة وقتلوا عثمان لم يكونوا يكتفون بتغيير الخليفة، وإنّما كانوا يريدون تغيير السياسة كلّها وتغيير العمّال قبل كلّ شيء...)(١).

ثانياً: أنّ إقرار معاوية في المرحلة الأُولىٰ ثمّ التخلّص منه في الثانية هو عملية عقيمة، ومعاوية ليس بالشخص الغبيّ الذي يطوىٰ بهذا الإزار وينتهي أمره قبل أن يضع ألفَ خطّةٍ وخطّةٍ لبقائه وإحراج عليٍّ عليه السلام الذي أقرّه أمام الملأ، الذين سوف يتصوّرون أنّه لو لم يكن معاوية أميناً لّما أبقاه عليّ عليه السلام في مكانه!

بعد هذه المناقشة القصيرة نعود الى موقف عليٍّ عليه السلام مع المغيرة بن شعبة، لقد صُعق أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من طلب المغيرة، فقال له عليه السلام: «لا أُداهن في ديني ولا أُعطي الدنيَّة في أمري»(٢).

حاول ابن شعبة الالتفاف علىٰ موقف عليٍّ الصارم قائلاً: انزع من شئت واترك معاوية!

فجاء الردّ من عليٍّ عليه السلام أعنف وأشدّ: «لا واللهِ لا أستعمل معاويةَ يومين»(٣).

أمّا ابن عبّاس «حِبر الأُمّة» قال لابن عمه عليٍّ عليه السلام: إنّ معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتىٰ ثبّتّهم لا يبالون من وليّ هذا الأمر، ومتىٰ تعزلهم يقولون: أخذ هذا

(١) المجموعة الكاملة: ٤٤٩/٤.
(٢) الكامل في التاريخ: ٣٠٦/٢.
(٣) المصدر نفسه.

الأمــر بـغير شـورىٰ ـ وهـو قـتل صـاحبنا ـ ويـؤلّبون عـليك الشـام وأهـل العراق[١].

لقد طلب ابن عبّاس من عليٍّ عليه السلام إقراره ثمّ تعهّد بالتخلص منه إن عصى أو رفض عزله مستقبلاً، والحقيقة أنّ موقف ابن عبّاس هذا دفعه إليه حرصه عـلىٰ الخلافة الراشدة وتصوّر منه أنّه من خلال طرح الإقـرار سـوف يسـتصلح أمـر الدولة الإسلامية، لكنّه في دائرة رأيه هذا، ولم يستجب فكره وعقله لعمق البعد السياسي الاستراتيجي عند عليٍّ عليه السلام وستأتي تفاصيل ذلك تباعاً.

إرهاصات طلب الإقرار وموقف عليٍّ عليه السلام:

في الأيام الأُولىٰ لتسلّم الإمام عليٍّ عليه السلام خـلافة المسـلمين بـدأ مـعاوية مناغاته بصورةٍ سرّيةٍ؛ لغرض إقراره والياً على بلاد الشام، ثمّ تعدّدت السبُل التي حاول من خلالها تغيير وجهه نظر عـليٍّ عليه السلام اتّـجاهه، وغـايته الحـصول عـلىٰ الإقرار، لقد طلب من مبعوث عـليٍّ عليه السلام المـرسل إليـه «جـرير» أن يـرسل الى الإمام عليه السلام كتاباً يحمل فيه طلبه مـصر والشـام مـع اسـتخلافه فـي حـالة وفـاة عليٍّ عليه السلام، وعند ذلك سوف يسلّم له.

ربّما يكون الطلب هذا مسألةً عاديةً لدىٰ الكثيرين، وربّما يستحسنه البعض ويؤاخَذْ عليه أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنّه في حقيقة الأمر خديعة أُخـرىٰ غُـلّفت بغطاءٍ برّاق شعربها عليّ عليه السلام وكشف أمرها لجرير بالنقاط التالية:

(١) «فإنَّ معاويةَ إنّما أرادَ بما طلب أن لا تكون في عُنُقِهِ بيعةٌ».

(٢) «وأن يختار من أمره ما أَحبَّ».

---

(١) الكامل في التأريخ: ٢/٣٠٧.

(٣) « وأراد أن يريّثكِ حتىٰ يَذُوقَ أَهْلَ الشام »[(١)].

فعليّ عليه السلام رفض طرح معاوية عن طريق جرير، وختم كتابه بكلمات الإسلام: « ولم يكن اللهُ ليراني أنْ أَتَّخِذَ المُضِلِّيْنَ عضُداً »[(٢)].

وتأكيد آخر من جانب عليٍّ عليه السلام جاء عن طريق كتاب بعثه الى معاوية يكشف أهداف الاخير، ويفنّد رأيه في نفس الوقت، قائلاً عليه السلام له: « ... وقد وصلني كتابك، فوجدتك ترمي غير غرضِك، وتنشد غير ضالَّتِك، وتخبط في عماية، وتتيه في ضلالة، وتعتصم بغير حجّة، وتلوذ بأضعف شبهة »[(٣)].

ثمّ أجاب عليه السلام مخاطباً مؤيساً معاويةَ بردِّ طلبه الإقرار في منصبه وبوضوح العبارة: « فأمّا سُؤالُكَ المُتاركَةَ والإقرارَ لَكَ علىٰ الشام فلو كنت فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمس »[(٤)].

إنّ إقرار معاوية أو عزله ليس مسألةً تتلاعب فيها العواطف والمصالح الشخصية، أو تستهوي قلب عليٍّ عليه السلام أو تنفره، بل إنّها مصيرية تتعلّق بالإسلام ديناً ودولة.

إنّ عليّاً الذي جاهد في سبيل رفع راية الإسلام العظيم منذ صباه حتّىٰ شيخوخته لم تدفعه العواطف أو المنافع الخاصّة الى المساومات المبتذلة من أجل ذلك، فعليّ عليه السلام في الصدر الأول من الإسلام وفي عهد الخلفاء الثلاثة وفي خلافته هو لم تتغيّر لديه المبادىء أو تتذبذب مواقفه لحظةً واحدة.

---

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ٩٦/٤، والغدير: ٤٣٨/١٠ (باختلاف طفيف في النص).

(٢) نهج السعادة: ٩٦/٤.

(٣) الغدير: ٤٤٦/١٠، نهج السعادة: ١٦٧/٤.

(٤) نفس المصدرين السابقين.

عقيدة وثبات:

مرّةً أُخرىٰ يعاود معاويةً الطلب المرفوض وبأُسلوبٍ جديد، وكـان ذلك قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة، حينما بلغه خبر فزع أهل الشام بعد أن انـتشر بينهم قول عليٍّ عليه السلام: « لأُناجزنَّهم مصبحاً »، فكتب معاوية: «ولئن كنّا قد غُـلبنا على عقولنا لقد بقي لنا منها ما نندم به علىٰ ما مضىٰ، ونصلح به ما بقي، وقد كنتُ سألتُكَ الشامَ على أن لا تلزمني لك بيعة ولا طاعة فأبيتَ ذلك عَلّيَ، فأعطاني الله ما منعتَ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس»[(١)].

من خلال الملاحظة الدقيقة لجملة «على أن لا تلزمني لك بيعة ولا طاعة» يتبيَّن لنا صورة الخدعة التي يحاول فيها معاوية الاتّكاء عليها فـي إدارة اللـعبة السياسة مع إمام المسلمين وخليفتهم الشرعيّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

من المعلوم أنّ علوّ شأن الأشخاص ومكانتهم في النفوس تأتي عادةً من مصداقيتهم، وثباتهم التامّ، وعـقيدتهم الراسـخة، فـالفرق شـاسع بـين إنسـانٍ يستخدم العقيدة طريقاً لأهدافه ومنافعه الخاصة، والكذب تبريراً لأفعاله، وبين من يصبّ كلّ فكره وبرامجه وأهدافه، ويوظّف منافعه الخاصة لخـدمة العـقيدة والمبدأ.

فالأول لا إيمان له بعقيدته، إنّما هي لديه حصان طروادة لبغيه، وقد تجسّد ذلك في معاوية بن أبي سفيان، والثاني تجري العقيدة في دمه ولحمه، بها يحيا وعليها يموت، فالدفاع عنها كالدفاع عن الروح، وهذا هو رجل الإيمان واليقين

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١١٧/١، الغدير: ٤٤٧/١٠، ونـهج السـعادة: ٢٦٩/٤، شـرح النهج: ١٢٢/١٥.

الثابت، وقد وضُحَ ذلك جليّاً في شخصية الإمام عليٍّ عليه السلام.

والسؤال المطروح هنا هو: مَن الذي دفع معاوية وجيشه لمناجزة جيش الخلافة الشرعية؟

ألم يكن الأولى له أن يبايع ويلحق الشام وأهله بالخلافة الراشدة التي أبتهج لها المسلمون؟!

إن كان قد غلبت شهوته علىٰ عقله وندم علىٰ ذلك فعليّ عليه السلام ليس كذلك وهو القائل: «**وأمّا قولُكَ: إنَّه قد بقي من عُقُولِنا ما نندم به علىٰ ما مضىٰ فإنِّي ما تنقّصت عَقْلِيْ، ولا نَدْمتُ علىٰ فِعْلِيْ**»[1]، وهذا هو الايمان والثبات في العقيدة والعمل علىٰ هداها.

إنّ الإيمان الراسخ واليقين القطعي عند عليٍّ عليه السلام لا يمكن لميكافيلية معاوية أن تقف أو تثبت أمامه، وإنّ عليّاً عليه السلام حينما يحدّد معالم اتّجاهات حركته السياسية والجهادية إنّما يزرع اليأس في قلوب أعداء الإسلام ويمنع البغي والاعتداء، وهو حينما يكتب الى معاوية وغيره فإنّه يخاطب بلا مواربةٍ أو مجاملةٍ قد تقتضيها الأحداث، فهو يقول لمعاوية مثلاً: «**فقد جاءني كتابَك تذكر أنَّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا علىٰ بعض، فإنّي لو قُتِلتُ في ذات الله، وحُييتُ، ثمّ قُتِلتُ، ثمّ حييتُ سبعين مرّةً لم أرجع عن الشدّة في ذات الله والجهادِ لأعداء الله**»[2].

إنّه بلاغ أخلاقي يرسله الى معاوية يعلمه بأنّ من يعتقد يقيناً بدينه لم يرهبه الموت عن التصدّي لأعداء الله أو الوقوف بشدة ضدهم، حتىٰ وإن قتل وحيي

---

(١) نهج السعادة: ٢٧٠/٤، الغدير: ٤٤٧/١٠.

(٢) ابن أبي الحديد شرح النهج: ١٢٣/١٥، الغدير: ٤٤٧/١٠.

سبعين مرة!

ومثال آخر من خطابه الرائع: «وأمّا قولك: [إنّ الحرب قد أكلت العرب إلّا حُشاشات أنُفسٍ بقيت] الا ومَن أكله الحقُّ فإلىٰ الجنّة، ومن أكَلَه الباطلُ فإلىٰ النار»(١).

ثم رُفض طلب معاوية، وكان موقف الإمام هو الثابت، وخصمه هو المتزلزل «فأَمّا طَلَبُكَ الشامَ فإِنّيْ لم أَكُنْ لأُعطيكَ اليْومَ ما منعُتك أَمس»(٢).

لم ينتهِ معاوية عند أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام، بل طرق باباً آخر، محاولاً استمالة ابن عبّاس برسالةٍ بعثها إليه، منها: «وقد قنعنا بما في ايدينا من ملك الشام، فاقنعوا بما في أيدكم من ملك العراق».

إنّ القضية أصبحت عند معاوية تقسيم الدولة الإسلامية الى ممالك عائلية: واحدة لمعاوية، وأُخرىٰ للإمام عليه السلام، وثالثة لمن هم في الحجاز، ورابعة لمن هم في فارس، وما إلىٰ ذلك، والحمد لله فإنّ الرجل قد قنع ببلاد الشام، ونسي أنّ الأمر ليس كما يتصور، فالدولة الإسلامية أسّسها النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وأقام قواعدها ودعائمها علىٰ أُسس الإسلام والإيمان، وهي ليست مقاطعاتٍ تُهدىٰ أو تُباع.

الإقرار.. بين الشرعية الدينية والتدبير السياسي:

إنّ مناقشة مسألة إقرار معاوية يجب أن تمرّ عِبرَ طريقين يبرّرلهما ذلك: إمّا أن يكون الإقرار منسجما مع الصيغة الشرعية فحينئذٍ يكون ذلك مُستحسناً،

---

(١) روائع نهج البلاغة لجورج جرداق: ص١١٣.

(٢) الغدير: ٤٤٧/١٠، الإمامة والسياسة: ١١٨/١، نهج السعادة: ٢٧٠/٤.

وإمّا أن يكون الهدف من الإقرار هو تهدئة الأوضاع ثمّ الانقضاض، والذي يعتبر جزءاً من التدبير السياسي، فالأول ـ المستحسن ـ لم تتوفّر شرائطه مع تولية معاوية، فأُسقط من الحساب أساساً، والثاني المُبرر سيكون ضارّاً للخلافة الشرعية، ومخالفاً لأُصولها مع تولية ابن أبي سفيان، وهذا الأمر يفضي الى مجموعةٍ من الأسئلة، منها:

لماذا يصطدم الإقرار بالشرعية الدينية وأُسس مبادئها؟

هل يلتقي الفكر السياسي الناضج مع الشرعية الدينية في تحديد الموقف الصحيح من التولية أو غيرها، أم لا؟

هلاّ استفسر البعض ممّن يعتبر معاوية داهيةً في التدبير السياسي ويؤشّر علىٰ نهج عليٍّ عليه السلام السياسي بالسلبية المطلقة عن سبب عدم استخدام معاوية لتدبيره السياسي وحنكته التي يتبجّحون بها ويضربون الأمثلة فيها بعلاقته مع عليٍّ عليه السلام، إذا كانت لديه تلك المواهب فلماذا لم يستخدمها إذن وقد آن وقتها، حيث يسلم أمره للخلافة الراشدة، ويبايع في اللحظات الأُولى التي تسلّم فيها الإمام عليه السلام الخلافة في المدينة المنوّرة، أو علىٰ الأقلّ منذ دعوة الإمام عليٍّ عليه السلام له بالقدوم الىٰ المدينة المنورة مع أشراف الشام لغرض عقد البيعة وإتمامها، وبعدها يأخذ البيعة للامام عليه السلام من أطراف ولاية الشام، ويقضي بذلك علىٰ مكامن الفتن والصراع، وينقذ الأُمّة الإسلامية من التفكّك والانحلال، ويبرىء نفسه مما عَلقَ به من صور الأطماع والانحراف، ثم يرىٰ بعد ذلك ما تؤول إليه الأُمور ويمنع الحجّة عليه؟! غير أنّ الأمر أعمق من هذا بكثير، وبواطن الأُمور قد لا يعرفها إلّا من اكتنزت المعارف وخبايا الأحداث والأحوال لديه، والنقاش هنا طويل، إلّا أنّ ابن أبي الحديد ناقش هذا الأمر بصورةٍ واقعيةٍ، قائلاً: «إنّ قرائن الأحوال حينئذٍ قد كان علم أمير المؤمنين منها أنّ معاوية لا يبايع له وإن أقرّه علىٰ ولاية

الشام، بل كان إقرارُهُ له علىٰ إمرةِ الشام أقوىٰ **لحال معاوية**، وآكدَ في الامتناع من البيعة»[١].

وهناك أيضاً أُطروحات سبق وأن ذكر**ناها وَرَدَتْ** علىٰ لسان المغيرة بن شعبة ولها صيغتها الخاصّة، والثانية طرحها **عبدالله بن عبّاس** ولها صفتها المميّزة أيضاً، بالإضافة الى الآراء الأُخرىٰ التي تلت **تلك الاطروحات** بسنين عديدة والتي أفرزت النقاط التالية:

١ ـ كان ينبغي أن يطالبه بالبيعة ويقرن **ذلك تقليده با**لشام، فيكون الأمران معاً!

٢ ـ أن يتقدم منه عليه السلام بالمطالبة بالبيعة.

٣ ـ أن يتقدّم منه إقرارُهُ علىٰ الشام و**تأخّر المطالبة** بالبيعة الى وقتٍ ثانٍ[٢].

يجيب ابن أبي الحديد علىٰ هذه النقاط **بالصورة التالية**:

«فإن كان الأول فمن الممكن أن يقرأ **معاويةُ علىٰ** أهل الشام تقليده بالإمرة، فيؤكّد حاله عندهم ويقرّر في أنفسهم **لولا أنّه أهلٌ** لذلك لّما اعتمده عليّ عليه السلام معه، ثمّ يماطله بالبيعة، ويحاجزه **عنها. وإن كان** الثاني فهو الذي فعله أمير المؤمنين. وإن كان الثالث فهو كالقسم الأول، **بل هو آكَدُ** في ما يريده معاوية من الخلاف والعصيان. وكيف يتوهّم من يعرف **السِيَر أنّ معاوية** كان يبايع له؟ ولو أقرّه على الشام وبينه وبينه مالا تبرك الإبلُ **عليه، من** الترِات[٣] القديمة،

(١) شرح النهج: ١٠/٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جمع تره وهي الثأر.

والأحقاد، وهو الذي قتل حنظلة أخاه والوليد خاله، وعتبة جدّه في مقام واحدٍ (أي في معركة بدر الكبرىٰ)، ثمّ ما جرىٰ بينهما في أيّام عثمان، حتّىٰ أغلظ كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه، وحتىٰ تهدّده معاوية».

ثم ينتهي ابن أبي الحديد ويعطي الدلائل علىٰ صحة رأي أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «عليّ عليه السلام كان أعلم بحاله مع معاوية، وأنّها لا تقبل العلاج والتدبير. وكيف يخطر ببال عارفٍ بحال معاوية ومكره ودهائه؛ وما كان في نفسه من عليٍّ عليه السلام من قتل عثمان ومن قبل قتل عثمان أنّه يقبل إقرار عليٍّ عليه السلام على الشام؛ وينخدع بذلك ويبايع ويعطي صفقة يمينه؟! إنّ معاوية لأدهىٰ من أن يُكادُ بذلك، وإنّ علياً عليه السلام لأعرفُ بمعاوية ممّن ظنّ أنّه لو استماله بإقراره لبايع له، ولم يكن عند عليٍّ عليه السلام دواء لهذا المرض إلّا السيف؛ لأنّ الحال إليه كانت تؤول لا محالة، فجعل الآخر أوّلاً»[1].

الحجة الدامغة:

ظلّ معاوية يحاول الالتفاف علىٰ القرار السياسي للإمام عليٍّ عليه السلام الذي عزله فيه عن منصبه، ثمّ الإيحاء للرأي العامّ الشاميّ والعراقيّ أنّ ولايته أبدية وتكتسب شرعيّةً خاصّة؛ لأنّ الخليفة الثاني قد ولّاه الشام، وثبّته في منصبه الخليفة الثالث، فأيّ شيءٍ بعدُ أفضل من هذا، وأيّة ثقةٍ ودعمٍ لوالٍ أحسن من هذا؟!

وهذه عادةٌ قد تنطلي علىٰ كثيرٍ من ذوي الأفق الفكري الضيّق، أو ممّن لم يطّلع علىٰ حقائقَ الأُمور ومجرياتها، فقد يصدِّقه الكثير من الشاميّين وغيرهم

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢٣٣/١٠.

في ذلك الجوّ الإعلاميّ المركّز والمشحون بالحزن علىٰ مقتل الخليفة الثالث عثمان، وقد أحتشدت في نفوسهم وقلوبهم كراهة وبغض لعليٍّ عليه السلام، إضافةً الىٰ ذلك قلّة الاطّلاع الكافي عن وضع الولاة في العالم الإسلامي، وطبيعة نصبهم وعزلهم، إلّا أنّ الإمام علياً عليه السلام ألجم معاوية بحجّةٍ دامغةٍ؛ بعد أن أوضح للآخرين حقيقة التولية والعزل التي مارسها الخلفاء، والتي قد تغيب عن معرفة الكثير من الناس، فقال عليه السلام: «وأمّا قولُكَ: إنَّ عُمرَ وَلاّكَهُ فَقَدْ عَزَلَ من كانَ وَلاّهُ صاحبهُ، وعزل عُثْمانُ مَنْ كانَ عُمَرُ وَلاّهُ»[1].

إذن أنّ مسألة عزل الولي أو تنصيب آخر محلّه هي مسألة طبيعية جداً وحقّ شرعيّ من حقوق الخليفة وصلاحياته، وقد سبق وأن مارسها عمر مع ولاة أبي بكر، وعثمان مع ولاة عمر، والإمام عليه السلام كان يرىٰ صلاح الأُمّة بعزل ولاة عثمان، ومنهم معاوية، بالإضافة إلىٰ أنّ الولاية في الإسلام هي تكليف شرعيّ، وليست مسألة تشريف، والوالي الصالح يقاس بتفانيهِ وإخلاصه لدينه، وحجم الخدمات التي يقدّمها لرعيّته، وقد علّل الإمام عليّ عليه السلام منهجه المشروع في التولية والعزل في كتابٍ بعثه الىٰ معاوية: «وَلَمْ يُنْصَّبْ للنّاس إمامٌ إلاّ لِيرَىٰ مِنْ صَلاحِ الأُمّةِ ماقَدْ كان ظهرَ لمنْ [كان] قَبْلَهُ، أوْ أخفىٰ عَنْهُمْ عَيْبهُ، والأمر يَحدُثُ بعدَهُ الأمْر، ولكُلِّ والٍ رأيٌ واجتهادٌ»[2].

لم نسمع في التأريخ أن والياً أو محافظاً أو حاكم منطقةٍ يعتصم بمنطقته ويعصي الأوامر الصادرة إليه يستقر في محله دون ردع أو حساب، فالأوامر الرسمية تكون إمّا باقالته أو بنقله الىٰ نقطة أُخرىٰ؛ وطبقاً لمراسيم القائد الجديد

---

(١) نهج السعادة: ١٦٧/٤.

(٢) نهج السعادة: ١٦٨/٤، شرح ابن أبي الحديد: ١٥٤/١٦.

الذي يرىٰ صلاح ذلك، وإلّا فإنّ ذلك يعتبر تمرّداً وعصياناً يستحقّ عليه العقوبة والمطاردة لقد عزلَ الامام عليه السلام عدد من الولاة، ونصّب محلهم غيرهم فلم نسمع أن المعزول قال «[لا أعتزل البتَّة] أو قال [لا أعتزل حتىٰ أعرف لِمَ عزلني ولم ولَّـي من أنا أعظم منه وأجوَد سياسةً منه وأشرف أَرومةً منه] أو قال [أنا أسنّ منه وأكثر فقهاً وعلماً منه] أو يدّعي أن أهل البلدة به أرضىٰ وأنه لا يرضىٰ أن يكـون قـد عانىٰ خراب أرضها وفساد رجالها وضياع ثغرها، فلمّا عمَّر البلدة وحصّن الثغر وأصلح الفاسد وقد كلف وتعب وسهر ونـصب، بـعثت رجـلاً يـصير له مـهنأها فيذهب ببردها وحلاوتها، وأَنا قد صُلبت بحرَّها ومرارتـها، بـل تـجد المـعزول صابراً راضياً والمُستعمل قابلاً نافذاً لأمره وقوله»[1]، وعـليّ عليه السلام كـان يـنظر الى ولاة من كانوا قبله قد أمعنوا وبالغوا بالظلم والبغي والسلب والنهب والابتعاد عن أُصول الإسلام وفروعه، فأراد عليه السلام أن ينصب محلّهم من يستأمِنهم عـلىٰ أرواح وأموال وممتلكات الأُمّة، وفوق كلّ ذلك التقوىٰ التي تحجز عن الإنسان جميع الرذائل الدنيوية.

أمّا معاوية فحينما ضُربت مصالحه تمرّد علىٰ الخليفة الشرعي؛ لأنّه قـد تصوّر أنّ الشام هي ملك وراثي له ولعائلته مـن بـعده، وهـذا خـلاف الشـريعة ومنطق العدل والحقّ.

❊ ❊ ❊

(١) رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية للجاحظ): ص٣٩٦.

الباب الثاني

معاوية وآل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

الفَصلُ الأوّلُ

تمرّد معاوية

ومـوقف عـليٍّ عليه السلام

مُقَدِّمَة

لقد أرتأيت أن أبدأ بوضع دراسة لمعاوية وآل النبي ﷺ بعد باب التعريف السياسي وملابساته؛ نظراً لأهمّية الموضوع وعلاقته المباشرة بالرسائل المتبادلة.

إنّ دراسة التأريخ بصورةٍ عامّةٍ أو كتابته يحتاج الى مباشرةٍ دقيقةٍ للحقائق التأريخية، ونظرةٍ فاحصة للوقائع والأحداث، والتدقيق في جميع النصوص الواردة، والاعتماد علىٰ المصادر التي تعطي البيان الواقعي، ولم تتلاعب بها أيادي السلطات الحاكمة التي تقلب الحقائق رأساً علىٰ عقبٍ إن لم تكن قد دوّنت تأريخاً خاصّاً ومزوّراً، وهذا تابع للظروف السياسية الحاكمة علىٰ الوضع العلمي والثقافي، بالإضافة الى اختلاف انتماءات المؤرّخين، وتباين أفكارهم ومعتقداتهم، وهذا ما حدث في كتابة تأريخنا الإسلاميّ بصورةٍ عامة. فالذي يهمّنا ويدفعنا الى التأكيد علىٰ هذا هو قضية تأريخ معاوية الذي لم يعالج بالنقد والتحليل بصورةٍ دقيقة، ثمّ التغافل الواضح عن الحقائق التأريخية والصفحةِ الجهاديةِ البارزةِ والثروةِ العلمية الهائلة بجذورها المتمثّلة والمتأصّلة بآل بيت رسول الله ﷺ، والذين يُعتبرون الامتداد الطبيعيّ لرسول الله ﷺ، وفي هذا الباب سوف نتعرّض للحوادث التي مرّت بهم، ومواقفهم الرسالية، ودورهم العلمي والاجتماعي والسياسي الكامل، ومن خلال نصوص الرسائل المتبادلة

بين الإمام عليٍّ عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان.

السلبيّة المنظمة والحقائق الناصعة:

تعتمد القدرة السلبية علىٰ إحداث الخلل في الصورة المنظّمة والواضحة، الى حجم الإشعاعات التضادّية التي توجّهها، وحالة التضادّ السلبي هذه مارسته قريش ضدّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأثّرت بعض الشيء على الحالة الشعبية العامّة، إلّا أنّ نهايتها كانت مأساويةً لروّاد الحركة السلبية أودت بحياة الكثير من عوامل تلك الحركة وأتباعهم، ثمّ كان الانتصار الحاسم لقوى الجذب الإيجابي بفعاليتها الإيمانية والجهادية التي أجبرت قوى التضادّ السلبيّ على الاندحار والاعتراف بالخسارة الكبرى، إلّا أنّ هذه القوى بقيت تتحرّك تحت رماد نارها تنتظر ريحاً عاصفاً يشعل جذوتها لتمارس فعاليتها السلبية من جديد.

إن الملاحظة الواضحة هي حالة الامتداد السلبي عبر التاريخ والترابط بين عواملها في أوّلها وآخرها، فرهط قريشٍ متمثّل بقائدهم أبي سفيان مثّلَ الانطلاقة السلبية الأُولىٰ ضدّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، ومعاوية مثّلَ حالة الانطلاقة السلبية الثانية والتي تحرّكت من كوامنها، وكان هدفها الأول والأخير بناء حاجزٍ يفصل بين الأمّة وأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وشرعوا أولاً بالتشويه المنظّم لحقائق آل بيت الوحي، ثمّ الحرب النفسية، ثم التصادم المسلَّح.

من خلال المتابعة التأريخية نجد أنّ الاتّهام الباطل والإرهاب بكافّة أشكاله لآل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومن تبعهم أو والاهم في منهجهم كان صورةً حيّةً لحالة الامتداد السلبيّ من تلك الشجرة الملعونة التي كادت للإسلام وأهله، الى الفروع الخبيثة، وكان الصراع طويلاً جدّاً قد رسم معالم خطوطه الدم الأحمر القاني الذي نزف من بني هاشم وأتباعهم.

كانت ملامح ذلك الحقد والبغض قد ظهرت بصورة واضحةً ضدّ أقرب رجلٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله من أهل بيته وأصحابه، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام نتيجةً للمواقف الخالدة والصادقة التي تميّز بها عن غيره، وقد أجمل العقّاد وصف تأريخه بهذه العبارات المؤثّرة حين قال: «إن سيرة ابن أبي طالب مُلتقى العاطفة المشبوبة والإحساس المتطلّع إلى الرحمة والإكبار؛ لأنّ الشهيد أبو الشهداء، يجري تأريخه وتأريخ أبنائه في سلسلةٍ طويلةٍ من مصارع الجهاد، ويتراؤون للمتتبّع من بعيدٍ واحداً بعد واحدٍ شيوخاً جلّلهم وقار الشيب، ثمّ جلّلهم السيف الذي لا يرحم، أو فتياناً عُوجِلوا وهم في نضرة العُمر يحال بينهم وبين متاع الحياة، بل يُحال بينهم أحياناً وبين الزاد والماء، وهم على حياض المنيّة جياع ظماء... وأوشك الألم لمصرعهم أن يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم، حتّى قال شاعر فيلسوف كأبي العلاء المعرّي لا يظنّ به التشيّع، بل ظُنَّت بإسلامه الظُنُون:

وعلى الأُفق من دماءِ الشهيد ... ين عليٍّ ونجلِهِ شَاهَدانِ

فهما في أواخر الليلِ فجرا ... نِ وفي أُولَياتِهِ شَفَقانِ

وهذه غاية من امتزاج العاطفة بتلك السيرة قلّما تبلغها في سير الشهداء غاية، وكثيراً ما تتعطّش إليها سرائر الأُمم في قصص الفداء التي عمرت بها تواريخ الأديان»[1].

السيرة والتحريف:

إن الوقائع التي كوّنت حقائق التأريخ الإسلامي المليء بالصراعات

(١) موسوعة عبّاس محمد العقّاد الإسلامية: ٢ / ٦٨٣.

والمآسي والظلم أخفى صورها الحقيقية من استحوذ على أزمّة أُمور المسلمين من الذين ساروا بالأُمّة باتّجاهٍ معاكسٍ لحركة مبادىء الشريعة، بل تكاد تختفي وقائع السيرة النبوية الصحيحة، بل شُوِّهت حقائقها، والكثير من مبانيها وما ارتبط بها، وقد ظهرت العملية جليّةً في بلاد الشام، وقاد حركتها وتنسيق أمرها معاوية، وعملية التحريف هذه كان من جملة خطوطها العريضة هو الطعن السفياني في المكانه الحقيقية لآل النبيّ ﷺ، والتشكيك في مواقفهم وجدارتهم! بل محاولة مسح آثارهم الجهادية من الأذهان والوجود التأريخي عن طريق طبقة الوعّاظ والمحدِّثين وبعض العلماء ممّن أغرتهم الدنيا وأعمى قلوبهم المال والسلطان، و«كأنّ هذا النفر من المزيّفين من أهل الفتيا في بلاط معاوية قد تحوّلوا إلى رجال دينٍ فاسدين، يرهبون الناس! وكانوا قد أِلفوا أن يتجاسروا على القرآن الكريم، وأن يفتَروا على الله كذباً، فأوَّلُوا الآيات بما شاءت لهم مصالحهم، وبما أراده لهم سيّدهم معاوية؛ ليكون ملكاً على المسلمين كفرعون...

وما دروا أنّ لكل باطلٍ.. باطل الاباطيل، وقبض الريح! وبلغ النفاق بهذا النفر من وعّاظ السلاطين إلى وضع الأحاديث الشريفة في مدح بني أُميّة وذم أبي طالب عليه السلام..! ولِمَ لا؟ لقد تجاسر هؤلاء المرتشون على الله تعالى، فما يمنعهم من الجرأة على رسول الله ﷺ»[1].

لقد امتدّت هذه الحالة من النفاق وتزوير الحقائق الدينية والتأريخية إلى العهود التي تلت هؤلاء، فساروا على نهج أسلافهم في طمس الحقائق الناصعة. فهذا الزبير بن بكّار[2] ينقل في الموفقيات أنّه «قَدِم سليمان بن عبدالملك إلى مكّة

---

(١) علي إمام المتّقين / لعبدالرحمن الشرقاوي: ٢ / ٢٣٢.

(٢) أُنظر وفيات الأعيان / لابن خلّكان: ٢ / ٣٢١.

حاجّاً سنة (٨٢هـ)، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب سِيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه، فقال له أبان: هي عندي قد أخذتها مصحَّحةً ممّن أثق به، فأمر سليمان عشرةً من الكتّاب بنسخها، فكتبوها في رقٍّ، فلمّا صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين وفي بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإمّا أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا! فقال أبان: أيّها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه أن نقول بالحقّ، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا، فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتّى أذكره لأمير المؤمنين لعلّه يخالفه، ثمّ أمر بالكتاب فَخُرِّق، ورجع فأخبر أباه عبدالملك بن مروان بذلك الكتاب، فقال عبدالملك: وما حاجتك أن تَقدِم بكتابٍ ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أُموراً لا نريد أن يعرفوها؟! فقال سليمان: فلذلك أمرت بتخريق ما نسخته»[1].

وفي موقعٍ آخر مع حقيقةٍ ثانية أنّ المدائني قال: «أخبرني ابن شهاب بن عبدالله، قال لي خالد القسري: أُكتب لي السيرة، فقلت له: فإنّه يمرّ بي الشيء من سيرة عليّ بن أبي طالب، فأذكره؟ قال: لا، إلّا أن تراه في قعر الجحيم!»[2].

إنّ هذه الأعمال بأنواعها وأشكالها شوّهت وقائع لا جدال عليها، وحرّفت حقائق اكتنزت في صدور المؤمنين، وطمرت صور المواقف النبيلة والطاهرة لآل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في صدر الإسلام الأول إبّان بناء كيان الإسلام السياسي وتشكيل دولة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنوّرة، وتحمّلوا عناء تلك الأيام وشدّتها،

(١) تأريخ الاسلام الثقافي والسياسي / صائب عبدالحميد: ٥٦ ـ ط ١، الغدير ـ بيروت، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م. انظر الموفقيات للزبير بن بكّار: ٣٣٢ ـ ٣٣٣ / ١٨٤.

(٢) المصدر السابق: ٥٨. أُنظر الأغاني: ٢٢ / ٢١٠، أخبار خالد بن عبدالله القسري.

وتنعّم في مواردها أخيراً آل أبي سفيان وآل مروان!

فلا غرابة إذن أن يقوم معاوية باستعراض كاذبٍ لصورٍ لا وجود لها، بل تجاوز حدّه لينتقل الى حالة الإنكار والتغافل لدور آل بيت محمدٍ ﷺ في رسائله مع الإمام عليٍّ عليه السلام، وفي نصٍّ عجيبٍ محتواه جاء في كتاب معاوية الى أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: «أمّا بعد، فدّعني من أساطيرك، وأكفُفْ عنّي من أحاديثك، واقصر عن تقوّلك على رسول الله ﷺ وافترائك من الكذب ما لم يقل، وغرور من معك والخداع لهم، فقد استغويتهم، ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك، ويعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحلّ، والسلام»[١].

كلام معاوية هذا قد رُسِمت خطوطه على الرقّ بدقّة، والملاحظة المهمّة فيه هي تزييف الحقائق وقلب الوقائع، وإلقاء تبعات أعماله على الإمام عليه السلام.

ولكنّ كلامه المحرِّف للحقيقة والمزيِّف للوقائع تتّضح من خلاله صورة الكذب المغلّف بحلقاتٍ من الدجل الواضح بدعمٍ من روايات أُولئك المرتشين الذين نّوهنا عنهم آنفاً، ودفعت الكثير المضلّلين للتصديق والاعتقاد بالأكاذيب السفيانية.

ولم يكن ذلك في العهود التي خلت، بل إنّما استمرّ هذا الاعتقاد الخاطئ الى العصور التي لحقت، ولا زال البعض كذلك حتى في عصرنا الحالي رغم التحقيقات والدراسات الكثيرة؛ لأنّ معاوية زرع شجرة الكذب، وقام ثلّة ممّن عميت أبصارهم وامتلأ قلبهم غيظاً وحقداً على عليٍّ عليه السلام بسقيها طيلة هذه القرون، ولا زالوا ـ مع الأسف الشديد ـ كذلك، رغم أنّ الإمام علي عليه السلام قد تصدّى لمحاولات معاوية تلك من أوّل لحظة، فعمد الى إرسال رسائل التوضيح والنصح

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٠٧.

والدفاع الصادق ثمّ الإدانة بل نشر الحقائق بصورٍ جليّةٍ بحيث لا يستطيع معاوية ومن شايعه وتابعه أن يغطّيها بغطاء الحقد والتظليل.

وسار الأئمّة الأطهار من آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على نهج عليٍّ عليه السلام في زمانهم، سواء كان ذلك بالسيف أو بالفكر والقلم، لكنّ قوة الإعلام الكاذب للسلطة المهيمنة على مقاليد الأُمور والأموال التي بذلت من أجل ذلك أعمت الكثير من أهل البصائر.

هناك بعض النقاط وردت في رسالة معاوية الآنفة الذكر تُثير العجب والاستغراب، منها:

١ ـ يدّعي أن حديث الإمام عليّ عليه السلام هو نوع من الأساطير

٢ ـ ادعاؤه أنّ الإمام عليّاً عليه السلام يتقوّل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويفتري الكذب عليه.

٣ ـ إنّه خدع ـ أي الامام علي عليه السلام ـ جماعته واستغواهم، وإنّ أمره سينكشف.

٤ ـ إنّ كلّ ما جاء به الإمام عليّ عليه السلام هو «باطل مضمحل» كما عبّر.

ملاحظة سريعة لهذه النقاط الأربع التي ركّز عليها معاوية تجعلنا أمام حقيقة: أنّ معاوية حاول إلقاء الشبهات ودفع صفاته وتبعات أعماله علىٰ الامام عليه السلام وأتّهامه أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها ولصقها به، فسيرة عليٍّ عليه السلام معروفة، وسيرة معاوية لا يمكن أن يغطيها بغبار الجهل.

حقيقة آل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

قبل الدخول في مناقشة ما جاء في رسائل معاوية لعليٍّ عليه السلام حول آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابدّ لنا أن نستعرض ما ورد عن أهل بيت النبوّة صلى الله عليه وآله وسلم في خطب أمير

المؤمنين عليه السلام، حيث بيّن صفاتهم وأهمّية وجودهم بين الخلق، بل أحقّية ولايتهم على الأُمّة إذ قال عليه السلام:

« هُمْ مَوْضِعُ سِرِّه، وَلَجأُ[1] أَمْرِه، وَعيْبَةُ[2] علمِهِ، وَمَوْئِلُ[3] حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وجَبالُ دينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انحناء ظَهْرِه، وَأَذْهَبَ ارتِعَادَ فَرائصِهِ »[4].

إذن إنّهم «موضع سره»، والسرّ الذي يعنيه هو سرّ الرسالة الإلهية، وهم في ذلك مستودع علمه، ولا يحيد هذا الأمر عنهم؛ لأنّـه مـلتجئ اليـهم، فـالاتّصال الروحي والمعنوي بين الرسول وعليٍّ وفاطمة وأولادهم عليهم السلام وثيق لا يمكن أن ينفصل لما فيه من الأسرار الإلهـية التـي لا يـدركها غـيرهم، ولذا فـإنّ وصـيّة النبيّ صلى الله عليه وآله بهم نافذة إليهم، ومن كانوا بهذه المنزلة والصفة فهم المصدر الأصيل لمعرفة أسرار الرسالة المحمدية، وطريق المعرفة الربانية والتي تتيح للإنسان أن يسلك المنهج الذي جاء به القرآن الكـريم والسـنّة النـبوية الطـاهرة؛ لأنّ عـلم الرسول الذي هو علم الباري عزّ وجل مودَع عندهم « كالثَوب يودع العَيْبة »[5].

«وحُكْمه: أي شرعه يرجع ويؤول إليـهم. وكـتبه: يـعني القـرآن والسـنّة عندهم، فهم كالكهوف له؛ لاحتوائهم عليه، وهم جبال دينه لا يـتحلحلون عـن الدين، وأنّ الدين ثابت بوجودهم كما أنّ الأرض ثابتة بـالجبال، ولولا الجـبال لَمادَت بأهلها»[6].

---

(١) اللجأ: ما تلتجئ اليه.

(٢) عَيبَةُ (بالفتح): الوعاء.

(٣) الموئل: المرجع.

(٤) نهج البلاغة: تحقيق د. الصالح: ٤٧.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٠٩/١، ط. الأعلمي.

(٦) المصدر السابق: ١١٠.

ثمّ عبّر عن قيمة وجودهم من خلال قوله عليه السلام: « بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارْتِعَاءَ فَرائصِهِ[(١)] »[(٢)].

القياس الحقيقي:

إنّ معاوية حاول دائماً أن يعدل نفسه بعليٍّ عليه السلام، وأن يرفع من شأن أهله، ويوزن ذلك بشأن آل النبيّ صلى الله عليه وآله، ويستغفل الناس بذلك من خلال الروايات والأحاديث الموضوعة، وهذا خلاف الشرع والعقل والمنطق والواقع، فكيف يقاس قوم « زرعوا الفُجورَ، وسقوه الغُرورَ، وحصدوا الثُبور »[(٣)] بقومٍ « هم أساسُ الدِّين، وعَمادُ اليقينِ، إليهمْ يفيءُ الغالي، وبهِمْ يُلْحَقُ التَّالي. وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الولاية، وفيهم الوصية والوَراثَةُ »[(٤)].

فمعاوية والفئة الضالة المضلّة المحيطة به عملت القبائح المحرّمة والمنكرة بين خلق الله ـ جلّ وعلا ـ وضدّ الدين، واستمرّوا في أعمالهم هذه يرْبونَها، وأشاعوا الفاحشة من خلالها، وزيّنوا للأنفس المريضة سوء الأعمال، بل أوصلت الكثير من الخلق الى حالة الكفر والزندقة والجحود. إنّ أصحاب هذه الصفات الدنيئة والذميمة لا يمكن لها أن تعدل نفسها أو تقيس وجودها بشأن وجود العترة الطاهرة من آل النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّهم أساس الدين وعماد اليقين، ثمّ « جعلهم [أي آل النبيّ] كمقنبٍ[(٥)] يسير في فلاة، فالغالي منه ـ اي الفارط المتقدم ـ الذي قد غلا في سيره يرجع إلى ذلك المقنب إذا خاف عدوّاً ومن قد تخلّف عن

---

(١) الفرائص: جمع فريصة، وهي اللحمة بين الجَنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة.

(٢) نهج البلاغة ـ تحقيق د. الصالح: ٤٧.

(٣) و (٤) نهج البلاغة: تحقيق د. الصالح: ٤٧.

(٥) المقنب: طائفة من الخيل بين الثلاثين الى الأربعين. نهج البلاغة. الصالح.

ذلك المقنب فصار تالياً له يلتحق به إذا أشفق من أن يُتخطّف »[١].

على ضوء هذه المعاني يتبيّن لنا بوضوحٍ تامٍّ أنّ هناك حدّاً فاصلاً وهوّةً عميقةً بين صفات أهل الفجور وأعمدة الدين وأساسه يمنع حالة المقايسة بينهم، ولذلك يذكر إمام المتّقين عليه السلام:

« لا يقاس بآل مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّةِ أَحَدٌ ، ولا يُسَوَّي بهم مَنْ جَرَتْ نعْمتَهُمْ عليْهِ أبَداً »[٢].

ولهذا التفّ صُنّاع الأحاديث السلطانية، ومفسّرو البلاطات، وكتّاب المال والجاه على هذه المعاني الواضحة والدامغة؛ ليؤوّلوا كلاماً غير موضوعيٍّ بَانَ اختلاقُه، وسَقُمَ معناه، وبَعُدَ عن الحقيقة، فادّعوا أنّ المعنيَّ بالفسق والفجور في كلام أمير المؤمنين عليه السلام هم المنافقون أيّام الرسالة النبوية، وهذا المضمون لا يمكن الاتّكاء عليه كسندٍ يوضّح معنى ذلك الكلام؛ لأنّ المنافقين قد كشف واقعهم المزيف القرآن الكريم، وعرّف بأسمائهم الرسول العظيم صلى الله عليه وآله واحداً واحداً وبيّنَ حقائقهم للناس. ثمّ إنّ هؤلاء لم تكن لديهم القدرة في ذلك الوقت على إضافة واختلاق الصفات الحميدة لهم؛ لأسباب كثيرةٍ.

منها: أنّ قريش والعرب تعرف محمداً صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وسلسلة آبائه وأجداده، فلا يمكن أن يتجرّأ أحد على تزييف حقيقة سلسلتهم الطاهرة، في الوقت الذي فضح أهدافهم القرآن الكريم، ونبذهم المسلمون، وانتهى أمرهم الى وبال.

إنّ المعنيَّ بالفسق والفجور هو معاوية ورهطه، ومن جحد الحقّ من

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١٠/١ ط. الأعلمي.

(٢) تصنيف نهج البلاغة ـ لبيت بيضون: ٣٤٠.

أصحابه، وليس غير ذلك؛ **لأنّ الخطاب** ينبئ ارتباطه بـما سـبق، والذي حـاول مقايسة نفسه وأهله وعشيرته **هو** معاوية نفسه، وفي منطقةٍ لا تعرف الكثير عن الحجاز وأهلها سوى من **تردّد بالتجارة** على بلاد الشام، فسهل أمره بحيث انطلى كذبه ودجله وتزويره **للحقائق على** أهل ذلك البلد، ثمّ تمسّك بالقرابة والعمومة مع عثمان بن عفّان، وأظهر **نفسه** كمدافعٍ عن حقّه، وأنه من كتّاب الوحي، وأنّـه ابن سيّد البطحاء آنذاك، **وأنّه أحقّ** من غيره، وأشرف الناس شأناً، وأكثر ارتباطاً بالرسالة المحمدية، **وأفضل منزلةٍ** من آل النـبيّ صلى الله عليه وآله فـلذلك صرّح عـليّ عليه السلام بخطابه الذي أوردناه سابقاً؛ **ليقطع** بذلك دابر كلّ كذّابٍ على الأمّـة مـن أمـثال معاوية وغيره.

❋ ❋ ❋

الفَصْلُ الثَّانِي

حق الولاية والوصاية

حقّ الولاية:

قال الإمام علي عليه السلام في خطابه الذي ذُكر سابقاً: «ولهم خصائص حَقِّ الولاية»[1]، وهذه تعتبر من صلب العقيدة الإسلامية، وأصلاً من أُصولها، وقد أختصّ أمرها بعليٍّ عليه السلام وأهل بيته الذين هم آل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم، وهذا الأمر أنكره معاوية ومن تبعه، كما عمل علىٰ ذلك الناكثون والمارقون بما كانوا ابتعدوا عن أصل الحقّ، وسوموا لأنفسهم ماليس لهم من أهليّه وولاية علىٰ الأُمّة، سواء كان من الناحية الشرعية أو العقلائية، فعليّ عليه السلام ذكر هذا الأمر لتأكيد حقانيّته وحقّه المهدور.

فلو تابعنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوّية المتواترة في هذا الشأن لظهر لنا جليّاً أنّه لا مجال للشكّ أو التأويل فيها، فالقرآن الكريم أشار إليها بوضوح تام، وجلّ المفسّرين بيّنوا معنىٰ الآية الكريمة التالية وأنّها جاءت لبيان ولايةً عليٍّ عليه السلام حين تصدّق بخاتمه وهو راكع: **﴿إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والّذينَ آمَنُوا الَّذين يُقيمُونَ الصَّلٰوة وُيؤتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ راكعُونَ﴾**[2]

قال الآلوسي: وغالب الأخباريّين يقولون على أنّها نزلت في عليٍّ كرَّم الله وجهه. ثمّ ذكر فيها عدّة روايات، إلى أن قال فيما رواه عن ابن عبّاس: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للسائل: فهل أعطاك أحد شيئاً؟

---

(١) نهج البلاغة: تحقيق الصالح، ص٤٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

قال: نعم، وأشار الى عليّ بن أبي طالب.

فقال: علىٰ أيِّ حالٍ أعطاك؟

قال: وهو راكع.

فكبّر النبيّ ﷺ ثمّ تلا هذه الآية[١].

وأنشأ حسّان شعراً أشار فيه الى هذا الأمر فمنه قوله:

فأنزل فيك اللهُ خير ولايةٍ   وأثبتها أثنا كتاب الشرائع

الموصي والوصيّ:

طرح الإمام عليّ ؑ جانباً آخر مهمّاً يرتبط أمره بآل بيت النبيّ ﷺ بقوله ؑ: « وفيهم الوصيّة والوراثة »[٢]، وهذا ثابت عندنا فهو قول الحق والصدق رغم تعدّد الآراء الصادرة من الآخرين منه وتباينها من الذين حاولوا تفسير المعاني بما يتوافق مع آرائهم الخاصّة وأهوائهم، إلّا أنّها علىٰ العموم لا تنكر أبداً في أنّ عليّاً ؑ هو وصيّ رسول الله ﷺ، بيد أنّها تصدّر تأويلاً وتفسيراً غايته حرف الحقائق عن واقعها، فهذا ابن أبي الحديد يقول: «أمّا الوصية فلا ريب عندنا أنّ عليّاً ؑ كان وصيّ رسول الله ﷺ وإنْ خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العِناد»[٣].

---

(١) أنظر كتاب منهج في الانتماء المذهبي لصائب عبدالحميد: ص١٢٨، كذلك المصادر التالية: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي: ص٩٣، معالم التنزيل في التفسير والتأويل للبغوي: ٢٧٢/٢، روح المعاني للآلوسي، تفسير آية «إنّما وليّكم...»، تفسير الكشّاف للزمخشري: ٦٤٩/١، جامع الأُصول لابن الأثير: ٦٥٠٣/٤٧٨/٢، أسباب النزول للواحدي: ص١١٤، وكذلك روىٰ الشوكاني في فتح القدير نزولها في حق علي ؑ عن كثير من المصادر.

(٢) نهج البلاغة: تحقيق د. الصالح: ص٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١١١/١ ط: الاعلمي.

أمّا لو تابعنا الحقائق التأريخية لوجدنا أنّ عملية التأهيل النبويّ لعليٍّ عليه السلام كوصيٍّ بدأت مع أوّل لحظة عاشها عليّ عليه السلام في حِجر النبيّ عليه السلام حتىٰ أخر لحظةٍ تكلّم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولفظ أنفاسه الشريفة وهو في حجر عليٍّ عليه السلام، وهذا ما أثبتته السيرة النبوية المباركة بصورةٍ لا تـقبل الشكّ والتأويـل، وحـديث الدار حينما أعلن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأقربائه قبل غيرهم أنّ علياً عليه السلام وصيّ له، شاهدٌ واقعيّ علىٰ هذا الأمر، وقد جاء ذلك بعد نزول الآية الكريمة: « وأنذِرْ عشيرتَكَ الأقربِينَ »[(١)].

والحديث كما ورد: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع بني عبدالمـطّلب وكـلّمهم بشأن الرسالة والدعوة الى دين الله، قائلاً لهم: «إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة،وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً... فقام عليّ عليه السلام بين القوم وهو أحدثهم سناً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ النبي برقبة علي، ثم قال: إنَّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فأسمعوا له وأطيعوا» فضحك القوم من ذلك وقالوا كلاماً لا يخلو من السخرية والاستهزاء، لأبي طالب: « قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع »[(٢)].

أيضاً عن أنس عن سلمان قـال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: هذا وصـيِّي وموضع سرّي وخير مَن أترك بعدي »[(٣)].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) انظر تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام عليه السلام: ١ / ١٠٠، ح١٣٧ و١٣٨؛ وتأريخ الأُمم والملوك للطبري: ١ / ٥٤٢؛ والكامل في التأريخ: ١ / ٤٨٨؛ ومعالم التنزيل للبغوي: ٤ / ٢٧٨؛ منهج في الانتماء المذهبي: ص٥٩٧؛ شواهد التنزيل: ١ / ٢٧٢ ـ ٣٧٣ ـ ٥١٤ و٤٢٠، ٥٨٠؛ السيرة الحلبية: ١ / ٤٦١؛ كنز العمال: ٣ / ١٣١ / ٣٦٤٦٩.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣ / ١٠٦.

فلا خلاف إذن في أنّ وصيّ رسول الله ﷺ هو عليّ عليه السلام بالإجماع وبالأسانيد المعتبرة، وهو امر يحتاج الى تأمّلٍ ودراسة.

بعد ذلك يكون من حقّنا أن نطرح السؤال التالي:

لماذا كلّ هذا الابتعاد عن الحقيقة؟ بل لماذا الهروب من الواجب الشرعي في الطاعة لعليٍّ عليه السلام مع وجود مثل هذه الحقائق والوقائع والأحاديث المعتبرة والصحيحة، ثمّ الكمّ الهائل من الكتب المختلفة التي أوردت حديث «أنت أخي ووارثي ووصيّي وخليفتي من بعدي»[1]؟!

أعتراف وتأول:

المقطع التالي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد في رسالته «الآن إذ رجع الحقُّ إلى أهله، ونُقِلَ إلى مُنْتقلِهِ» يعقّب عليه ابن أبي الحديد المعتزلي ويفسّر قاطعاً: «وهذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله، ونحن نتأوّل ذلك على غير ما تذكره الإمامية، ونقول: إنّه عليه السلام كان أولى بالأمر وأحقّ بالخلافة لا على وجه النصّ، بل على وجه الأفضلية، فإنّه أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ، وأحقُّ بالخلافة من جميع المسلمين، ولكنّه ترك حقّه لِمَا علمه من المصلحة، وما تفرّس فيه هو المسلمين من اضطراب الإسلام، وانتشار الكلمة؛ لحسد العرب له وضغنهم عليه. وجائز لمن كان أولى بشيءٍ فتركه ثمّ استرجعه أن يقول قد رجع الأمر الى أهله»[2].

هذا الطرح وغيره ممّن يتّفق معه في صيغته ومعناه لا يعني من يعتقد بولاية عليٍّ عليه السلام المغتصبة.

(١) ورد هذا الحديث في المصادر المذكورة سابقاً.

(٢) انظر تفصيلاً أكثر في كتاب شرح نهج البلاغة: ١/١١١. الأعلمي.

إنّ النبيّ ﷺ قد نصّ على الإمام عليه السلام بالوصيّة، وقد وصلنا هذا بالأحاديث المتواترة والمسندة، وهذا هو اعتقادنا الجازم والتام، وما ورد عن بن أبي الحديد يهمّنا منه المنزلة العظيمة والأفضلية التامّة لعليٍّ عليه السلام على غيره كما صرّح به، ثمّ الاعتراف الصريح منه بهذا الأمر الذي يعتبر حجّةً دامغةً على من ينكر مظلومية إمام المتقّين عليه السلام وسلب امتيازه (كأفضل بشرٍ بعد رسول الله ﷺ).

فلو سلّمنا بما قاله ابن أبي الحديد على خلافنا معه في مسألة النصّ بالوصيّة والولاية لكان واجباً شرعياً على جميع الصحابة والأمّة التسليم لأمر استخلاف عليٍّ عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقبول ذلك دونما نقاش.

فاستلام أمر الأُمّة وقيادة مسيرتها لابدّ وأن يكون بيد من له أهلّية متكاملة من بين الصحابة، وأفضلية عظيمة تجعله يتقدم على غيره لهذا الأمر، فالعقل والدين يوجبان ذلك؛ لأنّ مسألة استمرار المسيرة الإسلامية وحفظ كيان دولتها وسلامة أمرها بصورةٍ أعمّ هي من أهمّ المسلّمات والمهمّات الشرعية العظمىٰ بعد وفاة النبيّ الكريم ﷺ، فكيف يمكن للمسلم الذي يهمّه أمر دينه وحفظ كيان إسلامه أن ينصب من لا أهلية له لقيادة الأُمّة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ وباعترافٍ صريح منه «ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني؛ لا أؤثر في إشعاركم»[1]؟!

هذا هو كلام الخليفة الأول! فلماا إذن لا يعود البعض الى رشده ويتّبع الحق، والحق أولى أن يتّبع؟!

* * *

(١) تأريخ الأمم والملوك: ٢ / ٢٤٥.

الفَصلُ الثّالِثُ

دفاع واحتجاج ومواجهة

الدفاع عن الحقّ والصراع المميت:

نقطه مهمّة أشار إليها ابن أبي الحديد تتعلّق بموقف الإمام علـيٍّ عليه السلام مـن حقّه المغصوب، حيث قال: «ترك حقّه لِمَا علمه من المصلحة»، الكلام هنا يثير النقاش حول الموضوع المشار إليه.

فأقول: متى ترك الإمام عليه السلام حقّه والتأريخ يثبت دفاعه عن حقّه رغم مـا تعرّض له من أحداثٍ مزريةٍ وضغوط قاسيةٍ؟!

ألم تكن قضية الاستخلاف قد حُسِمت في سقيفة بني ساعدة بين أبي بكر وعمر وأبو عبيدة الجرّاح أثناء انشغال عليٍّ عليه السلام وبـني هـاشم وبـعض صـحابة رسول الله البارزين في تجهيز ودفن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم؟!

الاحتجاج والمواجهة القاسية:

لقد أورد البعض كلاماً أدّعوا فيه: أنّه لو كان عليّ عليه السلام محقّاً في أمره فلماذا إذن سكت عن قضيته ولم ينهض لها ويطالب بها؟!

أمّا المطالبة فقد جرت واحتجّ الإمام عليه السلام فـي حـينها، واحـتجّت فـاطمة الزهراء عليها السلام معه أيضاً واستمرّت كذلك حتى وفاتها، فالوقائع التأريخية تذكر لنا ما جرى لبضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ووديعته ولبعلها حينما هجم القوم عـلى دارهـا وبيدهم حُزم الحطب مهدِّدين بحرق الدار إن لم يخرج عليّ عليه السلام للـمبايعة، وقـد حدث هذا أمام الملأ العام.

نقل الدينوري في الإمامة والسياسة: أنّ أبا بكر قد بعث اليهم [أي الى عليٍّ ومن كان في داره حينها] عمر بن الخطاب «فجاء فناداهم وهم في دار عليٍّ، فأبوا ان يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجـنّ أو لأُحـرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة! فقال: وإن!»(١).

ثمّ قال الدينوري: « فوقفت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ على بابها، فقالت: لا عهد لي بقومٍ حضروا أسوأ محضرٍ منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً »(٢).

ثمّ بعد ذلك جرى ما جرى من أحداث تُدمي القلوب، حيث « أتوا بـاب فاطمة عليها السلام فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صـوتها: يـا أبتِ يـا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها أنصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم »(٣).

ثمّ رُكلت باب دار فاطمة بقوةٍ من قبل مَن بقي من القوم، وكانت خلفها بنت النبيّ ﷺ وهي تستغيث ألماً من شدّة دفع الباب حتّى سقط جنينها مـن بـطنها وسقطت أرضاً وكان ذلك بداية للشروع بالهجوم على الدار! ثم اقتيد عليّ عليه السلام بعد ذلك للبيعة مقيّداً بحمائل سيفه ولم يبايع وأُطلق سراحه!!

فأيّ تنازلٍ من عليٍّ عليه السلام حصل بمحض إرادته كما يدّعي البعض؟!

الخليفة الأول ينتحب:

الملفت للنظر والمثير للاستغراب هو بكاء أبي بكر حين تحدّث مع فاطمة

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ١٢.

(٢) و(٣) المصدر السابق: ١ / ١٣.

الزهراء عليها السلام، طالباً منها العفو والصفح والرضا، والحادثة رواها الدينوري هي: أنّ عمر قال لأبي بكر: «انطلق بنا الى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها الى الحائط، فسلّما عليها فلم تردَّ عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، أغضبناك في ميراثك منه وفي زوجك! فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد اسخطني؟! قالا: نعم، سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمّ أنتحب أبو بكر وبكى حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاةٍ أُصلّيها، ثمّ خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجلٍ منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي!!»[1].

ونلاحظ على هذا النصّ ما يلي:

أولاً: انه منقول من أحد المصادر المعتمدة والمعروفة لدى أبناء الإسلام.

ثانياً: إذا كان الخليفة الأول لم يشعر بتأنيب الضمير وكان محقّاً في سلوكه مع عليٍّ عليه السلام وآل النبيّ صلى الله عليه وآله فما الداعي إذن لتكرار طلبه على فاطمة الزهراء آمِلاً منها الرضا والعفو؟

ثالثاً: لماذا انتحب الخليفة الأول وبكى حينما حدّثته فاطمة من أنّه

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ١٤.

اسخطها وأغضبها وذكّرته بحديث رسول الله ﷺ بهذا الشأن؟

هل أبكته الخشية من الله في تلك اللحظة، أم صدق الحديث الذي هزّ سمعه وأرهبه وأبكاه؟!

إنّ ذلك الموقف هو أوّل مرحلة من الاعتراف الضمني بأنّهم ابتعدوا عن وصية رسول الله ﷺ وعدم تقييدهم بما سنّه النبيّ ﷺ للأمّة.. وهل هناك إنكار بعد هذا لما نقول..؟!

تقيُّدُ عليّ بوصيّة الرسول ﷺ:

إنّ أحداثاً جرت بعد وفاة النبيّ ﷺ كادت تعصف بالكيان الإسلامي، فالأحداث المزلزلة كانت هزّةً عنيفةً وصعقةً قويةً أذهلت الجميع بوفاة قائدهم العظيم، ثمّ بدأ صراع القوى وتنازع الأفراد للسيطرة على مقاليد الأُمور، وتلا ذلك أحداث مهمّة منها الارتداد، وتحرّك أهل النفاق، وظهور عددٍ لا يُستهان به من الدجّالين والطامعين هنا وهناك، واتّساع دائرة البلبلة والفرقة، كلّ هذا جعل علياً عليه السلام ينسحب من ساحة الصراع، مؤثِراً السكوت بعد النزاع والمطالبة خوفاً من ضياع الإسلام وتشتّت الأُمّة وشقّ عُرى المسلمين، وفي ذلك يقول عليه السلام: « **أمّا بعْدُ، فإنَّ اللهَ سُبحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ نذيراً للعالمين وَمُهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر مِنْ بعدهِ. فواللهِ ما كان يُلقى في رُوعي (أي قلبي) ولا يخطر ببالي أَنَّ العرب تُزعِجُ هذا الأمْرَ من بَعدِه ﷺ عن أَهْلِ بَيتِهِ، وَلاَ أَنَّـهُمْ مُنَحُّوهُ عنّي من بعدِهِ! فما راعني إلّا انثيالُ النَّاسِ عَلىٰ فُلانٍ (أي انصبابهم على أبي بكر) يُبَايُعونهُ، فامسَكتُ حَتّىٰ، رَأَيْتُ راجعَةَ النَّاسِ قَدْ رجعتْ عن الإسلام (يقصد أهل الردّة كمسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة بن خويلد) يدعون الى محقِ دين محمدٍ ﷺ، فخشيتَ إنْ لَمْ أَنْصُرِ الإسلام وأَهلَهُ أَنْ أرى فيه ثلماً أو هدماً**

تكونُ المصيبةُ به عَلَيَّ أَعظَمَ من فَوْتِ ولايتِكُمْ»[(١)].

بقي أن نعلم أنّ هذا الموقف نابع من الالتزام التامِّ بوصايا رسول الله ﷺ، التي اسرَّها لعلي ﵇ بالذات في التضحية بكلّ شيءٍ من أجل المحافظة على دين الله، حتى ولو كان ذلك على حساب حقّه في الولاية التي نصّ عليها كتاب الله سبحانه وتعالى، وأشار إليها رسول الله ﷺ عدّة مرّاتٍ أمام الملأ.

فموقف عليٍّ اتّجاه استمرارية المطالبة بحقّه المشروع كان له مبرِّراته الشرعية، ولو كان غير عليٍّ ﵇ لألّب القوم وعبأ جموعهم وخاض القتال لمصلحته الخاصّة، فعليّ قد خاض غمار المواجهة في الوقت المناسب، مفوّتاً الفرصة أمام أعداء الإسلام من المنافقين والمنتفعين كي لا يستغلوها لصالحهم فاتّخذ ﵇ هذا الموقف الصحيح بحكمة جاعلاً وصية رسول الله ﷺ نصب عينيه وقد أشار ذلك حينما سأله الأشعث بن قيس مرّةً قائلاً: «يا أمير المؤمنين، إنّي سمعتك تقول: ما زلت مظلوماً، فما منعك من طلب ظُلامتك والضرب دونها بسيفك؟! فقال ﵇: يا أشعث، منعني مِنْ ذلك ما منَعَ هارونَ، إذ قال لأخيه موسى: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي[(٢)] وقد قال له موسى حيْنَ مضَى لميعاد ربِّه: إنْ رأيتَ قومي ضَلُّوا واتَّبَعُوا غيري فنابذْهُمْ، فإن لم تجدْ أعواناً فاحقِنْ دَمَكَ، وَكُفَّ يدكَ، وكذلك قال لي أخِي رسُولُ الله ﷺ فلا أُخالِفُ أمرهُ»[(٣)].

ولم يكتفِ الإمام علي ﵇ بهذا الموقف العظيم والتمسّك الرائع والإيماني

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص٤٢٢.

(٢) سورة طه الآية ٩٤.

(٣) تصنيف نهج البلاغة: ص٤٢٨.

بوصية حبيبه وابن عمّه رسول الله ﷺ بحفظ وجود هذا الدين، بل اتّخذ أشدّ المواقف صرامة اتّجاه المنافقين، وهو عليه السلام لا يريد التأثير سلبياً على كيان الإسلام رغم شرعية حقه كوصيٍّ للنبيّ الكريم ﷺ وآثَرَ السكوت طيلة الفترة التي بدأت مع استخلاف الاول حتى مقتل الثالث حيث إنّ تمسّكه بحقه «كان مسألةً صعبة للغاية؛ وذلك لأنّه كان يسحب الشرعية من خلافة من سبقوه، أبي بكر وعمر وعثمان، الأمر الذي من شأنه أن يُحدث بلبلةً شديدةً في أوساط المسلمين لا يستفيد منها في ذلك الظرف إلا أعداء الإسلام»(١).

* * *

(١) الإمام علي ومشكلة نظام الحكم للدكتور محمد طيّ: ص١٦.

الفصل الرابع

جهاد مرير
وحقائق ثابتة بمواقف جريئة

الحقيقة الثابتة:

إنّ الوصيّة المشار إليها آنفاً هي حقيقة أساسية كـافية فـي اعـتقاد كـافّة المسلمين ولا يمكن إنكارها، إلّا أنّه قد تآلب المنحرفون والمنافقون على تعييبها أو حرف صيغتها وتأويل مفاهيمها أو درجها ضمن عناوين أُخـرى مـن قـبيل: القضايا العائلية، والأُمور الشرعية الثانوية، والتقليل من المسـؤولية الاعـتقادية فيها، أو تحديدها في مجالاتٍ معيّنةٍ، وما شابه ذلك كي يحرف أعداء الاسلام نظر الأُمّة نحوها، والتشكيك بالوصية بأنّها من صلب العقيدة الإسلامية، وهناك مـن صرّح على أنّها ليست ولايةً للأمر وقيادة للمسلمين وإمامةً للأُمّة، وكما أشار ابن ابي الحديد الى ذلك بقوله: «ولسنا نعني بالوصية النصَّ والخلافة، ولكـنّ أُمـوراً أُخرى لعلّها ـ إذا لُمحت ـ أشرف وأجلّ»[1].

ولم يوضّح ابن أبي الحديد أكثر من ذلك!!

إلّا أنّه ذكر رأيه في أنّ الوصية لا تعني النصّ والخلافة كما بيّن ذلك ولكنّ مضامين الحديث النبويّ التالي تكون مصداقاً لقولنا، وشاهداً واضحاً على تأويل معاني هذه المفاهيم وطرحها بغير صورتها الحقيقية على الأُمّة الإسلامية حـيث أشار الرسول الكريم ﷺ الى علي عليه السلام بوضوح تام، لا يقبل الشك والتأويل إذ قال ﷺ: «**لا ألفيّنكم بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبةٍ**

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ١١١.

كبحر السيل الجرّار، ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل الكتاب كما قاتلت على تنزيله »[(١)].

إنّ هذا الحديث ورد ضمن سياق تعريف الأُمّة بمن يلي أمرها من بعده، وبالنصّ الواضح « ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي »، كذلك قصَدَ النبي محمّد ﷺ تنبيه العقول من خطر التأويل والتحريف، ثمّ ذكر ﷺ: أنّ علياً عليه السلام سيقاتل على تأويل الكتاب كلّ المنحرفين والمنافقين والنفعيّين، ومن يجرؤ تأويل كتاب الله عزّ وجلّ لا يصعب عليه تحريف سنّة النبيّ ﷺ أو تأويل معاني أحاديثه ﷺ بما تقتضيه أهواؤه ومنافع السلاطين الشخصية، ولو أمعنّا النظر جيداً في الحديث الشريف للاحظنا أنه لو كانت الوصية والأُخوّة التي كان يقصدها رسول الله ﷺ كما فهمها الاخرون فلا داعي اذن لأن يصف علياً عليه السلام بأنه يقاتل على التأويل، والذي يقاتل هو ولي الأمر الذي جُمعت فيه الخصال الشاملة لقيادة الأُمّة بعد النبيّ ﷺ.

الحدّ الفاصل:

إنّ الإمام عليه السلام حينما يتحدّث عن أهل البيت عليهم السلام يوضّح حقيقتهم ويثبت أحقيّتهم بالولاية والوصية لمن غفل عن ذلك أو تغافل، ويدلّل على ذلك بحضورهم الجهادي وواقعهم الإيماني وعلوّ شأنهم في العلم والمعرفة وقد قال عليّ عليه السلام: « نحن شجرة النبوّة، ومَحَطُّ الرِّسالَةِ، ومُختَلفُ الملائكةِ وَمَعَادِنُ العِلْم، وينابيع الحكم، ناصرنُا ومُحبُّنا ينتظرُ الرَّحمة، وَعَدُوُّنا ومبغِضُنا ينتظرُ السَّطْوَةَ »[(٢)].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٥ / ٢٠٩؛ والمستدرك على الصحيحين للحاكم: ٣ / ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة: تحقيق الصالح ـ ص١٦٢.

خمس صفاتٍ لا يعد لها شيء، خمس حجج مُلزمة للمسلم بالتمسّك بقيادة آل النبي ﷺ وأتّباع طريق هدايتهم.

براهين تدفع المرء لولائهم ومخالفة أعدائهم، فالناصر والمحبّ لهم ينتظر الرَّحْمَةَ الإلهية والعدوّ والمبغض مصداقان للمنافق، ومصير هؤلاء العقاب الشديد وقد أشار عليه السلام في إحدى رسائلة الى معاوية قائلاً له: «أَلَا وَإِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ كَذٰلِكَ، لَا يُحِبُّنَا كَافِرٌ وَلَا يُبْغِضُنَا مُؤْمِنٌ»[1]. يعزّز هذا حديث رسول الله ﷺ المشهور: «لا يبغضك اِلّا منافق»، وإذا ما علمنا أنّ المنافقين في الدرك الاسفل من النار فإنّ من وجّه حقده وكراهيته لعليٍّ عليه السلام فمصيره النهائي النار الأبدية.

حديث آخر يرتبط بالحبّ والبغض لعليٍّ عليه السلام يوضّح الحقيقة التي ذكرناها آنفاً: «أُوصي من آمن بي وصدّقني بولاية عليّ بن أبي طالب، فمن تولّاه فقد تولّاني، ومن أحبّه فقد احبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ»[2].

إنّ حبَّ عليٍّ عليه السلام ليست كلماتٍ ينطقها اللسان وتتحرّك على الشفاة، بل إنّما تعني الالتزام التطبيقي الكامل بكلّ أُمور الشريعة الغرّاء، من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ، وهدى أهل بيته عليهم السلام الذين استُودِعوا سرّ هذه الرسالة، كما ذكر عليّ عليه السلام في رسالته الىٰ معاوية المزايا الخمس المتعلقة باهل بيت النبوة عليهم السلام وهنّ:

١ ـ شجرة النبوّة.

٢ ـ محطّ الرّسالة.

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٥٧.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٢٣٦؛ كنز العمال: ١١ / ٣٢٩٨٣؛ تأريخ دمشق، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام: ٢ / ٤٨٦ / ١٠١٤ / ١٠١٨ ـ المستدرك: ٣ / ١٢٢.

٣ـ مُختلفُ الملائكة.

٤ ـ مَعادِنُ العلم.

٥ ـ ينابيع الحكمة.

ثم يضع أمير المؤمنين عليه السلام المحصّلة النهائية لتلك الأقوال والاحاديث بقوله عليه السلام: « بنا يُستعطى الهُدىٰ، ويُستجلى العَمى »[1].

الهروب من الحقيقة:

بعد أن عرضنا مختصراً بعض الحقائق حول آل النبيّ صلى الله عليه وآله نكشف هنا بعض الوقائع التي حاول معاوية إخفاءها، من خلال كلمات الإمام عليٍّ عليه السلام، فقد حاول معاوية الابتعاد عن الحقائق الناصعة التي تميّز بها آل النبيّ عن غيرهم، بل سعى جاهداً في رسائله للإمام عليه السلام التقليل من شأنهم في المحاجّة وإن لم يُخفِها صراحةً حتّى عن أقرب الناس إليه، والسبب في ذلك شعور معاوية وإحساسه بالحقارة أمام التأريخ الأسود لأبي سفيان وآله، والذي لا يمكن أن يوازي التأريخ الناصع والحافل لآل النبيّ صلى الله عليه وآله، قد حاول معاوية علناً تشويه التأريخ المجيد، إلّا أنّه فشل في ذلك، وهذه واحدة من رسائل الإمام علي عليه السلام الشعرية يضع معاوية أمام حقائق يعلمها في قرارة نفسه وينكرها أمام جمهوره:

مُحمّدُ النبيُّ أَخي وَصِنْوي | وَحمزَةُ سيِّدُ الشُّهداءِ عَمِّي
وجعفرُ الّذي يُضْحِي ويُمْسِي | يطيرُ مع الملائكَةِ ابْنُ أُمِّي
وَبِنْتُ محمدٍ سَكني* وعرسي | مَنُوْطٌ لَحْمُها بدَمِي ولَحْمي

---

(١) نهج البلاغة. تحقيق الصالح: ص٢٠١.

(*) السكن: كلّ ما سكنت إليه واستأنستُ به.

وسبطا* أحمدٍ ابناي منها فأيّكُمُ له سهمٌ كسهمي
سبقتُكُمُ إلى الإسلام طُرّاً على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجَبَ لي ولايتَهُ عليكم رَسولُ اللهِ يَوْمَ غديرِ خُمٍّ
فويْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لمن يَلقْى الإلَه غداً بظُلمي (١)

«فلمّا وقف معاوية على الكتاب قال لبطانته: اخفوا هذا الكتاب، وإيّاكم وأن يطّلع عليه أحد من أهل الشام فيميلوا الى ابن أبي طالب» (٢)، وقد صح قول عمرو بن العاص حينما أدانه معاوية متّهماً إياه بأنّه يعظّم علياً عليه السلام كثيراً وقد فضحه، فقال له عمرو بن العاص: «وأمّا اعظامي عليّاً فإنّك بإعظامه أشدّ معرفةً منّي، ولكنّك تطويه وأنا أنشره. وأمّا فضيحتي فلم يفتضح أمرؤٌ لقي أبا حسن» (٣).

الكتاب الشعري الآنف الذكر ينطوي علىٰ ادلّة كاملة للاحتجاج وقد بيّنّا مطالبها سابقاً؛ حتى أنّ بعض الصحابة كانوا يتعجّبون ويستغربون كيف أنّ معاوية يعدل نفسه بعليٍّ عليه السلام؟ فأيّ زمانٍ هذا؟! كما يقولون، وماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان حيّاً ويسمع ذلك؟

إنّ عليّاً عليه السلام في أبياته الآنفة الذكر قد بيّن خصائص عظيمةً وبارزةً ترتبط بشخصه العظيم وكيانه الشامخ، ولا يمكن لأحدٍ إنكارها وإبعادها عن واقعيتها.

وقد قال عليّ عليه السلام: **« أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وأبن عمّه ولا يقولها بعدي إلّا كذّاب »** (٤).

(*) سبطا أحمد: أي الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٦٢.

(٢) شرح النهج: ١٥ / ١٢٤.

(٣) نهج السعادة: ٤ / ١٦٣.

(٤) العقد الفريد: ٤ / ٢٨٧.

وكذلك قالت عائشة: «ما رأيتُ رجلاً أحبَّ الى رسول الله ﷺ منه، ولا رأيت امرأةً أحبَّ إليه من امرأته»[١].

هذه شواهد ناطقة على عظم المكانة وبروزها على الآخرين، فمن له سهم كسهم عليٍّ عليه السلام في الفضائل.

آل النبيّ ﷺ والجهاد الطويل:

لم يذكر لنا التأريخ أن هناك بيتاً أعظم جهاداً وأكثر فضلاً وعلماً وأشدّ غيرةً على الدين الحنيف من بيت آل رسول الله ﷺ، فقد صنعوا المجد في التأريخ، وسطروا فيه صفحات النور، وضربوا أمثلةً رائعة للفداء في سبيل الله، وخطّوا مسيرةً طويلةً زاخرة بالمعاناة والآلام، وامتشقوا سيوفاً لم تُغمد بعد قد شُهرت بوجه الكفر والشرك والظلم والانحراف ومنذ أن تآلبت تلك القوى البغيضة ضد الاسلام واحكامه الصحيحه.

نعم هؤلاء آل محمد ﷺ أبو طالب وآل عبدالمطلب وعلي وفاطمة وبنوهم الذين رسموا بأرواحهم الطاهره وبدمائهم الزكية مسار التأريخ الاسلامي والانساني للبشرية عامةً وللمسلمين خاصّةً، فكيف يتجرّأ وعّاظ السلاطين من جياع فتات موائد بلاط معاوية على أولئك العظام، فيكتبون ما يروق لسيِّدهم، أو يتعامون ويتغافلون عن تلك الحقائق ليخفوها تحت جلابيبهم المحمّلة بالآثام والأوزار، ونسوا أنّ النور المحمديَّ في آله لا يمكن حبسه وراء تلك الخرق التي تبلى، وهدفهم بذلك تطييب نفس معاوية السقيمة بحسدها من وجود عليٍّ عليه السلام وآل النبيّ ﷺ ويا عجباً يستطيع هؤلاء الطُغام إنكار حوادث الرسالة النبوية بمسيرتها في أيامها الاوُلى وحتى وفاة نبي الهدى والرحمة ﷺ؟! كلّا إنّها

(١) المصدر نفسه.

حقائق تأريخية خطّت حروفها بماء الذهب من السيرة النبوية الطاهرة وآل بيت الوحي الكرام.

وأغرب ما في ذلك محاولة معاوية النفوذ إلى تحقيق مآربه تحت غطاء أُولئك المنحرفين والمحرِّفين.

إنّ الإمام علياً عليه السلام دمغ معاوية برسائل تترى أربكته حقيقتها وأزعجته مضامينها، وألجمته مواقفها الشامخة لآل رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد طرح ذلك أمير المؤمنين بصورة التذكير والإشارة، فمعاوية يعرفها تمام المعرفة ويخفيها حسداً وحقداً.

فعلي عليه السلام يقول له: «فكان إذا احْمَرَّ الْبأْسُ وَدُعِيَتْ نِزالَ[1]، أقام أهْلَ بيتِهِ فاستقْدَمُوْا فَوقَي أصحابَهُ حَرَّ الأَسِنَّةِ والسيوف، فقُتِلَ عُبيدةُ[2] يوم بَدْرٍ، وحَمزةُ[3]

---

(١) «دعيت نزال» دعت الدعاة كل واحد من المتحاربين أن انزلوا عن متن الخيل والابل وحاربوا راجلاً، ويجيء ايضاً بمعنى: نزلوا الىٰ ساحة القتال فتضاربوا. نهج السعادة: ١٨٠/٤.

(٢) هو عُبَيْدةُ بن الحارث بن عبدالمطّلب بن عبدمناف بن قصي، وأمّه سُخلية بنت خزاعي وكان عبيدة أسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله بعشر سنين، وكان يكنى أبا الحارث أيضاً. قَتَلَ عبيدة بن الحارث شيبة بن ربيعة يوم بدر، فدفنه رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالصفراء، وكان عبيدة يوم قُتِل ابن ثلاث وستين سنة. عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب لابن عنبه.

(٣) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أسد الله ورسوله، وعم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يكنى (أبا عماره) له مواقف خالده وعظيمة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله والاسلام إبّان البعثة النبوية، استشهد يوم أُحدٍ على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة النبوية وهو يومئذٍ ابن تسعٍ وخمسين سنة، وكان أسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله بأربع سنين، قتله وحشي بن حرب وشقّ بطنه، وأخذ قطعةً كبيرةً من كبده فجاء به الى هند بنت عتبة بن ربيعة ـ وهي أم معاوية بن أبي سفيان ـ فأخذت قطعةً منه فمضغتها، ثمّ لفظتها، ثمّ جاءت الى مصرعه فمثّلت به، وجعلت من أعضائه مسكتين ومعضدين وخدَمَتين حتى قدمت بذلك وكبده مكه، وقد نَزَل في قبره رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وبعض الصحابة (أُنظر الطبقات: ٣ / ٨ ـ ١٢).

يوم أُحُدٍ، وجعفرٌ[١] وزيدٌ يَوْمَ مُؤتَةَ، وأراد لله من لو شئتُ ذَكرْتُ اسمَهُ مِثْلَ الَّذِيْ اراِدُوْا من الشهادَةِ مع النبيّ ﷺ غير مَرَّةٍ إلاّ أَنَّ آجالَهُم عُجِّلَتْ، وَمنّيته أُخِّرتْ»[٢].

أعظم الأيام شدّةً، وأقساها ظرفاً على رسول الله ﷺ تلك المرحلة التي لم يثبت فيها إلّا الثلة الصالحة من أصحابه، صراع مرير مع قوى الشرك، حصار مميت في شعب أبي طالب، مقاطعة ومطاردة، حرب معلنة، ودفاع مستميت عن الدين الجديد في شبه جزيرة العرب، إنّها ـ باختصار ـ أدوار مرحلة التأسيس، وكانت أعظم المواقف وقعاً وأثراً في التأريخ هي تلك التي قام بها آل النبيّ ﷺ

---

(١) جعفر بن أبي طالب: يكنّى بأبي عبدالله، وأبي المساكين لرأفته عليهم وإحسانه إليه، وكان قد هاجر الى الحبشة مع جماعةٍ من المسلمين والمسلمات الى الحبشة «فراراً بدينهم، فبعثت قريش عمرو بن العاص ـ صاحب معاوية ـ وعمارة بن الوليد بن المغيرة وأمروهما أن يسرعا ففعلا» حتى يلحقا بالمسلمين ويوقعا بهم أمام النجاشي بعد تقديم الهدايا له. وفشلا في ذلك «أنظر تأريخ الاسلام للذهبي: ص١٨٨» وقد رجع جعفر الى المدينة المنورة فوصل الى رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر «فقَبّل بين عينيه، واحتضنه وقال: ما ادري بأيّهما أنا أُسَرُّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟» (انظر السيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ٥).

ولمّا جهّز النبي ﷺ اصحابه الى مؤته من أرض الشام أمَّر عليهم زيد بن حارثة، فان قُتل فجعر بن ابي طالب، كما ذكر ذلك اليعقوبي في الجزء الثاني من تأريخه، قاتل حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ الراية بيده اليسرى وقاتل حتى قطعت يده اليسرى أيضاً. فاعتنق الراية وضمّها الى صدره حتى قتل، ووجد فيه نيّف وسبعون أو اكثر ما بين طعنةٍ وضربةٍ ورمية، ورأى النبيّ ﷺ مصرعه ومصرع أصحابه، وقال «زارني جعفر في نفر من الملائكة له جناحان يطير بهما، ولهذا يقال لجعفر: ذو الجناحين، والطيار في الجنة، وكان مقتله سنة ثمانٍ من الهجرة، وعمره إحدى وأربعون سنة، وحزن عليه النبيّ ﷺ حزناً شديداً، (انظر عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب: ص٣٥).

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٨٠.

في تثبيت دعائم الدين والدفاع عنه، حيث بذلوا المال والأنفس في سبيله، وخاصّةً في الظروف العسيرة جداً والأيام الصعبة، والتي أَحرَجت في حينها ممّن كان مع رسول الله يقاتل، بل أهتزّت مواقع البعض، فولّوا مُدبرين بعيداً عن جوّ المعركة وكتاب الله صريح في ذلك حيث يقول الباري عز وجل: « إِنَّ الَّذينَ تولَّوا مِنكُم يَومَ التقى الجَمعانِ إِنَّمَا استزلَّهُم الشيطان ببعض ما كسبوا.. »[1].

« ولقد نَصَركُمُ اللهُ في مواطِنَ كثيرةٍ ويوم حُنينٍ إذا أعجبتكُم كَثرتُكم فَلَمْ تُغْنِ عَنكُم شيئاً وضاقت عَلَيكُمُ الأَرضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرِرينَ »[2].

صور الإدبار التي حصلت لم يركِّز عليها المؤرخّون كثيراً إلّا إشارات عابره، وصور الجهادوالمواقف العظيمة والمناقب المعروفة لعليٍّ وآل النبي ﷺ كانت تُخفى، وفي بعض الاحيان تُمحى من كُتب السيرة حتى لا يطّلع عليها المسلمون.

حتى معاوية في حياته ومن خلال رسائله سار على هذا المنحى والاتّجاه في محو أو إخفاء أو تشويه صور تلك المواقف العظيمة والسجايا المميَّزه لامير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيت النبوة عليهم السلام وكأن شيئاً لم يحدث، أو الإتيان بما يشابهها من الفضائل والمناقب له ولآل أبي سفيان وغيرهم، وعلى هذا الأساس يشير الإمام عليّ عليه السلام في طيِّ الرسالة الآنفة الذكر الى نفسه الكريمة، معبّراً في ذلك من أنّه: يا معاوية، لو اردتُ أن اوضّح لك أكثر من ذلك فهناك من آل النبيّ عليهم السلام طلبوا الشهادة في سبيل الله وخاضوا الغمار من أجل ذلك وسط حرّ السيوف والقنا، ولكنّ إرادة الله سبحانه وتعالى في تحديد الآجال هي التي حالت

---

(١) آل عمران: ١٥٥.

(٢) التوبة: ٢٥.

دون الحصول على ذلك الشرف الرفيع والوسام العالي، وعلي وأهل البيت الطاهر عليهم السلام ليسوا كغيرهم ممّن كان يغطّي رأسه في الرمال خوفاً من الموت، فقد ذكر ابن الأثير في الكامل مشيراً الى أحداث معركة أُحدٍ قائلاً: «وانتهت الهزيمة بجماعةٍ من المسلمين، فيهم عثمان بن عفّان وغيره الى الأعوص، فأقاموا به ثلاثاً، ثمّ أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لهم حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة»[١].

فالذي يستحقّ الإشادة والإطراء والخلود مَن كانت روحه علىٰ كفّه في تلك الأيام العسيرة التي مرّت على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام بصورةٍ أشمل، من قلّة الناصر، وكثرة العدوّ، وتكالب الأحزاب ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدِّين الغضّ، ومن اراد الحديث فليذكر ويذكرّ من هو الرجل الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بدرٍ، وأُحدٍ، والخندق، وخيبر، وفتح مكّة، وحنين، ألم يكن عليّ بن أبي طالب صاحب تلك المشاهد الواقعية التي تعطي الدلالة على عظمة جهاد هذا الرجل وسُموِّه، وما أجمل ما أجاب به الامام علي عليه السلام معاوية الذي أخفى الحقيقة وأنكر الواقع في كلامه قال له عليه السلام: « **فإنّك لَذهّابٌ في التيه، روّاغٌ عن القصد** ».

ثمّ أضاف الإمام عليه السلام مؤكّداً: « **ألا ترى غير مُخبرٍ لَكَ؛ ولكن بنعمةِ اللهِ أُحَدِّثُ أنَ قوماً استُشْهِدُوا في سبيل اللهِ من المهاجرين والأنصار، ولكُلٍّ فَضْلٌ، حتَّى إذا استُشْهِدَ شَهيدُنا قيلَ: سَيِّدُ الشُّهداءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين تكبيرةً عند صلاته عَلَيْهِ؟!**

أولاَ ترى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أيْدِيهِمِ في سبيلِ اللهِ ولكُلٍّ فَضْلٌ، حتَّى إذا فُعِلَ بواحِدِنا ما فُعِلَ بواحِدِهِمْ، قيل: الطَّيَّار في الجنَّةِ وذُو الجناحَيْنِ؟! »[٢].

---

(١) الكامل في التأريخ: ١ / ٥٥٤.

(٢) شرح النهج: ١٥/١٩٣.

بيانات واقعية تعبّر عن الموقع البارز والمتقدِّم الذي تـميّز بـه شـهداء آل النبيّ ﷺ مع عظمة وصيانة مكانة شهداء الإسلام كافّة، إلّا أنّ ما حصل عليه آل النبيّ ﷺ من درجةٍ أرفع وصـفاتٍ وُسِـمُوا بـها دون غـيرهم يـجعل القـارئ والسامع يقف حائراً أمام عظمتهم مجلِّلاً لهم تلك المكانة السامية التي رفعهم الله سبحانه وتعالى إليها.

وهذا الأمر لا يمكن أن يغطّيه غبار الحقد أو يُمحي صـورَه مـن سـلسلة التأريخ الإسلامي بالأكاذيب والدجل، فهذا حسان بـن ثـابت شـاعر الرسـول العظيم ﷺ في معرض ردّه على أبي سفيان يذكر مواقف آل النبيّ ﷺ بأبياتٍ من الشعر قائلاً:

ذكرتَ القرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ... ولستَ لزُورٍ قـــلتَهُ بـــمُصيبِ
أتعجبُ أن أقصَدتَ حمزَةَ مـنْهُمُ ... عشـــاءً وقـــد سـمّيتَهُ بـنجيبِ!
ألم يـــقتلوا عـمراً وعـتبةَ وابـنَه ... وشيبةَ والحجّاجَ وابـنَ حـبيبِ؟!
غداةَ دعا العـاصي عـليّاً فَـراعَـه ... بـضربةِ عَـضبٍ بـلّهُ خـضيب[1]

فالدفاع المستميت عن الإسلام بالدماء الزكية كان العـلامة المـميزه لآل رسول الله ﷺ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، فالخصوصية المميِّزة لهم بعد شهادتهم استحقّوها عن جدارةٍ فائقة، فرسول الله ﷺ حينما يطلب جمع شهداء معركة أحدٍ لغرض الصلاة عليهم، يُظهِر بذلك مكانة الشهداء كافّة فأعـطى كـلّ شهيدٍ حقَّه حيث قال ﷺ: «**ضعوهم فأنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة، وكـان حمزة أوّل من كُبّر عليه**»[2].

---

(١) الكامل في التأريخ: ١ / ٥٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥ / ٣٨.

ثمّ أعطى حمزةَ وساماً آخر تميّز به عن الاخرين، فقد استثنى الرسول ﷺ حمزة (رضوان الله عليه) من بين الشهداء بالتكبير عليه عند الصلاة سبعين مرة، ولمكانته العالية في الإسلام فقد لُقِّب بسيد الشهداء في زمانه ولأجل ذلك كان يدفن بقية الشهداء بجنبه، وذلك حينما يؤتون بالشهيد ـ كما في أغلب الكتب التأريخيه ـ فيضعونه إلى جنب حمزة فيصلّي على الاثنين.

أمّا جعفر بن أبي طالب[1] الذي استُشهد في معركة مؤتة فقد لقّبه رسول الله ﷺ بالطّيار، حيث عوّضه الله عن يديه المقطوعتين في المعركة بجناحين يطير بهما في الجنّة.

ثم يعرِّج الإمام فيتحدّث عن شخصيةٍ اخرى في كتابه، إلّا أنّه لم يسمِّ تلك الشخصية تنزّهاً قائلاً: « ولولا ما نهى اللهُ عنْهُ من تزكية المرءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذاكرٌ فضائِلَ جَمَّةً تعرِفُها قُلوبُ المؤمنين، ولا تُمجُّها آذانُ السَّامعينَ »[2]، يشير الإمام بذلك الى نفسه المباركة، «أي لذكرتُ فضائلي ومناقبي التي لا ينكرها ولا يردّها إلّا مكابر معاند»[3].

إنّ الإمام علياً عليه السلام ركّز في خطابه الموجّه الى معاوية على حقائق حاول معاوية إنكارها وطمسها، وهي أحداث صدر الإسلام، وكان فيها لعليٍّ عليه السلام الموقع البارز والمهمّ بعد رسول الله ﷺ، وقد تجاهلها معاوية وكأنّه لم يشهدها هو أو لم يسمع عنها شيئاً؛ لأنّه لم يحصل منها على أيِّ شيءٍ يُذكر، ولأجل ذلك كان الإمام عليه السلام لا يُعير أهمّيةً لإهمال معاوية وتحجيمه تلك الأحداث، فيضع

---

(١) أوردنا آنفاً نبذةً عن حياته (رض).

(٢) حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة للبيهقي: ٢ / ٤٣٥.

(٣) المصدر السابق: ٢ / ٤٤٠.

الإمام عليه السلام مكانه ابن ابي سفيان في موقع عدم الأهليّة، وينزله المنزلة الدنيئة التي تستحقّ، فيقول عليه السلام له: «ألا ترى غير مخبرٍ لك؟، ولكن بنعمة الله أُحدِّث »[١]، «أي لست عندي أهلاً لِأَن أُخبرك بذل أيضاً، فإنّك تَعلَمه، ومن يعلم الشيء لا يجوز أن يُخبَر به؛ ولكن أذكرُ ذلك لأنّه تحدُّثٌ بنعمة الله علينا، وقد أُمرنا بأن نحدِّث بنعمته سبحانه»[٢].

النقص الواضح:

إنّ الحديث عن آل محمدٍ صلى الله عليه وآله لم ينتهِ في كتاب واحد، فقد تعدّدت الأساليب وتنوّعت أدواره فيه؛ لأنّ وجود آل محمدٍ صلى الله عليه وآله بثقلهم الجهادي والمعنوي سيعرقل أعمال وحركة معاوية السلطوية، فقام ابن أبي سفيان بتفعيل حركة تحريف الحقائق التأريخية، واستخدم لهذا الأمر الرسائل والمنابر واساليب أخرىٰ، فالهدف الأساس لهذه العملية هو تحجيم المواقف المشرقة لآل النبيّ صلى الله عليه وآله والاستخفاف بها إن لم يستطع السعي الى محو ذكرها نهائياً.

أمّا الدور الآخر الذي قام به معاوية: هو ربط شخصه وكيانه الاجتماعي بأهداب وقائع تأريخيةٍ لا صلة له فيها أساساً، غايته التمسّك بها أو الاحتجاج من خلالها؛ نتيجةً لضغط واقع النقص الكبير في تركيبته على وضعه الشخصي وسيرته العامّة، بل وأيضاً شعوره بالضِعة أمام عليٍّ وآل النبي عليهم السلام، فأخذ مساراً أخراً في الطرح، محاولاً فيه الابتعاد ما امكن عن المواجهة الخاسرة، فاستعان بمطالب الخلاف الأُخرى ليطمس الحقائق والآثار المعنوية لآل النبي صلى الله عليه وآله

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١٥ / ١٨١.

(٢) المصدر السابق: ١٥ / ١٩٣.

ووجودهم الحيّ، وظلّ هذا الشعور بالنقص يلاحق بني أُمية أيضاً خلال حقبة تسلّطهم على رقاب المسلمين، بل وصل الحقد فيهم الى حدّ كراهية أُمّ القرى وطيبة مدينة النبيّ ﷺ؛ لأنّها رمز تأريخ آل النبي ﷺ الحافل وآثارهم الخالدة، فضربوا البيت الحرام مرّتين بالمنجنيق، وأحرقوا الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، ووضعوا السيف برقاب المسلمين الساكنين في وسطها وحولها، وعلى من تعلّق مستجيراً بأستارها وهو عبدالله بن الزبير بن العوّام، وأُمّه أسماء بنت أبي بكر الخليفة الأول.

أمّا مدينة النبيّ ﷺ المنوّرة ففي مرّاتٍ عديدةٍ سُلبت، ومضى القتل الدامي في أهلها، وجرى الانتقام القاسي على أبناء الصحابة وأحفادهم، بل الأكثر جرحاً من ذلك سبُوا نساءهم، وأفضع من ذلك افتضّوا بكارة أكثر من (١٠٠٠) ألف فتاةٍ عذراء من بنات المدينة الآمنة وإلى جوار قبر رسول الله ﷺ وتحت قيادة (مسرفٍ) أو (مجرمٍ) وهو مسلم بن عقبة المرّي[١]، ولم يراعوا حرمةً لرسول الله ﷺ ولم يحفظوه في أهله وأصحابه، فهل بعد ذلك من يدّعي الدفاع عن هؤلاء القتلة الطُغام؟! وهل هناك من يبرّر مواقفهم ويبحث عن دليلٍ ليستدلّ به على أنّهم مسلمون ومؤمنون؟!

فيا لَلعجب ممّن يقف مدافعاً عن هؤلاء!

إنّ رسول الله ﷺ قد أبلغ المسلمين حينما أشار الى حرّة المدينة فتنبّأ بما يجري عليها بعده قائلاً: «يُقتَل بهذه الحَرَّةِ خيار أُمّتي بعد اصحابي»[٢]، وقال

---

(١) أنظر الإمامة والسياسة: ١ / ٢٠٩ ـ في قدوم جيش الشام الى المدينة.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى: ١ / ٩٥؛ ونقل ذلك أيضاً في البداية والنهاية: ٦ / ٢٣٤؛ ودلائل النبوّة للبيهقي: ٦ / ٤٧٤.

أَنَس بن مالك: «قُتل يوم الحرّة سبعمائة رجلٍ من حملة القرآن فيهم ثـلاثة مـن اصحاب النبيّ ﷺ»(١).

عقدة النقص التي تلاحق بني أُمّية متى واينما حـلّوا ظـلّت تـتفاعل فـي ذواتهم، فارتكبوا اكثر الجرائم بشاعةً، وعمدوا الى تشويه كلّ حقائق التأريـخ، فأصبح تاريخ المسلمين غير الذي كان، وفي قصّة سليمان بن عبدالملك مع أبان بن عثمان خيرُ شاهدٍ ودليل.

سابقة الإيمان:

هل يحتاج معاوية الى التعريف بمن سبق إيمانه الآخرين؟

وهل كان ابن أبي سفيان خارج نطاق دائرة الصـراع بـين قـوى الإيـمان وشراذمة الشرك؟

فإذا كان جواب السؤالين نـفياً فـلماذا إذن هـذا الطـرح مـن قـبل أمـير المؤمنين عليه السلام.

إنّ من المسلَّم به أنّ معاوية عاش حياته حتى فتح مكّة عام (٨ هـ) وسـط الأحداث كلّها، فبيت أبيه كان وكر الشرك والكفر، والتخطيط للمؤمرات يمرّ عن طريق هذا البيت.

فكيف إذن يتغافل معاوية عن حقيقةٍ مـن حـقائق السـيرة النـبوية، انـها كالشريط السينمائي لا تغرب عن باله أبداً، إلّا أنّه لا يستطيع أن يظهر سابقة إيمان عليٍّ عليه السلام في حديثه؛ حيث تسقط حجّته أمام أهل الشام الذيـن «لا يـعرفون إلّا

(١) إعلام الورى بأعلم الهدى: ١ / ٩٦؛ وأنظر: الكامل في التأريخ: ٤ / ٥٩٣؛ وتأريخ الطبري: ٣ / ٣٥٢؛ ومروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣ / ٦٨، العقد الفريد: ٣٥٤/٤.

معاوية رمزاً وعنواناً للإسلام، وأن الباطل والضلال في خِلافه!!»[١].

فلم يكن من سبيل أمام الإمام عليٍّ ﷺ في هذا الجوّ الإعلامي السفياني المزيّف وفي ظلّ التعتيم الكامل على سيرة أهل البيت ﷺ، إلّا أن يفضح معاوية في الكتب المرسلة إليه، التي يقرأ بعضها على الملأ من خواص مجلسه، أو تصل الى بقية الناس بصورة أو بأخرى، وربّما تدق أسماع من كان في أُذنيه وقراً كما أشار الامام ﷺ إلى ذلك في احدى رسائله «وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها ولكنّي أطلقت لك منها قدر ما سنح من ذكرها»[٢]، أي «لعلّ المعنى لست أنت المقصود بها لحقارتك كقوله ﷺ «غير مخبر لك» أو لعلمي بأنّك لا تقبل حججي ولا تؤمن بها أو لأنك عالم بها ولا فائدة في اخبار العالم بل قصدي بذكرها إلى غيرك من السامعين لعلّه يؤمن بها من أنكرها ويطمئن بها قلب من آمن بها»[٣] إلّا في حالة إخفائه الكتب، والذي حدث مرّةً أن أخفى الكتب حتى عن خواصّه، وليس عن مجلسه فقط لئلّا يفتضح أمره.

ومن جملة الحقائق التي لا يمكن إخفاؤها هو السبق الإيماني لأهل البيت ﷺ، حيث يقول الإمام عليّ ﷺ: «**إنَّ محمّداً صلّى اللهُ عليه [وآله] وسَلَّمَ، لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد [لَهُ] كنّا أهل البَيْتِ أوّلَ من آمن به، وصَدَّقَ بما جاءَ به. فلبثنا أَحوالاً مُحرَّمَةً وما يَعْبُدُ الله في رَبْعٍ ساكنٍ من العرب غيرُنا**»[٤].

هذه هي الحقيقة التي لا خلاف عليها، إلّا ما تناساه معاوية.

سبقوا الجميع في الإيمان بالله تعالى.

---

(١) ابن تيمية حياته وعقائده: ٢٨.

(٢) بحار الانوار: ٣٣ / ٥٩.

(٣) المصدر السابق: ٣٣ / ٧١.

(٤) نهج السعادة: باب الكتب ٤ / ١٧٧.

صدّقوا بالرسالة الإسلامية وكانوا أول الخلق، في حين ظلّ الآخرون على وثنيتهم، ولم يؤمن بعضهم إلّا بعد سنين طويلةٍ ذكرها الامام علي عليه السلام بـ(أحوالاً)، وهذه هي إشارة واضحة الى معاوية وأهل بيته.

لقد كان أهل البيت عليهم السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله يعانون ويقاسون من ظلم قريشٍ لهم وحصارهم ونبذهم في شعب أبي طالب في الجبال المحيطة بأُمّ القرى، ومع شدة هذا الحصار وآلامه ازداد إيمانهم، وقوى عزمهم، ولم يثنهم ذلك عن التمسّك بمبدئهم.

ثمّ اضاف الإمام عليه السلام حقيقةً أُخرى من أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا على ذلك سنين طويلةً، ولم يكن يعبد الله في أرض العرب غيرهم مع ثلّةٍ من المؤمنين؛ وهؤلاء من المستضعفين.

لو جاز لمعاوية التحاجج مع عليٍّ عليه السلام لكان عليه أن يستحي من تأريخه المظلم وأهل بيته.

إنّ المواقف العظيمة لأهل البيت عليهم السلام هي التي صانت الإسلام وهو في مهده، وأبطلت محاولات الكفر وأهله لأطفاء نور هذا الدين المبين وإقصاء أهله عن أداء دورهم لإحياء هذا الشرع المقدّس والدفاع عنه وحفظه على مرِّ العصور والأجيال حتّى قيام قائمهم (عجّل الله فرجه الشريف).

الثبات الرائع:

في الكتاب الجوابي الذي أرسله الإمام عليه السلام الى معاوية مع أبي مسلم الخولاني أسعرض فيه سلسلة الأحداث المهمّة التي وقعت بعد بعثة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله عليه السلام: « **فأراد قَومُنا قَتْلَ نبيِّنا واجتياحَ أصْلنا، وَهَمُّوْا بنا الهُمْوم، وَفَعَلُوْا بِنَا الأَفاعِيلَ، فمنعُوْنا المِيرةَ، وأَمسكوا عَنَّا العَذْبَ، وأحْلسُوْنا الخوفَ،**

وجعلوا علينا الأرصادَ والعُيُونَ، واضطرُّونا إلى جبلٍ وعر »[1].

وتحمل طبيعة الكلمات الواردة المعاناة القاسية، فمسيرة الرسالة المحمدية لم يكن طريقها معبّداً بالورود أو خالٍ من المواجهات العنيفة.

وصل حقد قريشٍ الى التصميم النهائي والقطعي بقتل النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، واجتثاث أُصولهم والى الأبد. محاولات قريش على هذا الطريق لا رحمة فيها أبداً.

عليّ عليه السلام يذكّر معاوية بما فعله رهطه، وكيف أنّ قريشاً سلكت مختلف المسالك الشيطانية واتّبعت الأساليب الرهيبة لمحو هذا الدين وإبادة أتباعه؟!

لم يكن هناك شيء يخطر على بال مجرمٍ قاسٍ أو طاغوتٍ جائرٍ إلّا فعلوه مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام.

كتبوا الصحيفة السوداء، وتحالفوا فيها ضدّ النبي وأهل بيته عليهم السلام من بني هاشم!

دفعوهم قسراً الى الجبال الصخرية الوعِرة والمحيطة بمكّة وبالتحديد الىٰ شعب أبي طالب، وفعلوا بهم مختلف الأفاعيل.

منعوا عنهم الطعام والماء والاتّصال بالمجتمع.

وكان فيهم أبو طالب عليه السلام عمّ النبي صلى الله عليه وآله وأب عليٍّ عليه السلام على كبر سنّه وشدّة مرضه حتّى مات.

وخديجة أمّ المؤمنين تصارع المرض في الوادي القاحل حتى ماتت، وكان موت الاثنين فاجعة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وسمّي العام الذي ماتا فيه

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٧٧.

بعام الحزن.

عانوا من ذلك سنين بأيّامها ولياليها حتى أكلوا القدَّ.

وأضاف الإمام عليه السلام قائلاً: **« ثمّ جعلوا الخوف ملازماً لنا بقيامهم جميعاً على لوازم المعاداة »**.

نشروا العيون والجواسيس على الجميع حتّى لا يصل الى بني هاشم شيء ممّا يحتاجونه.

وهذه مقارنة سريعة يتوضح لنا من خلالها مدى التباين الكبير بين من كان يعيش وسط أجواء الرقص والغناء وأكواب الخمور والقيان وصاحبات الرايات، والانغماس في الحياة الناعمة المترَفَة، تظلّلهم الأصنام التي يعبدونها من دون الله، وهؤلاء هم رهط معاوية... أهله وعشيرته وأحبّاؤه.

وبين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار، حيث يعيشون في تلك الفترة وسط الأجواء الخانقه، والمعاناة المدمّرة وقد افترشوا الحجر والمدر، وتوسدوا التراب، ليس معهم شيء سوى تلك الأعشاب البرّية الجافه. جوع وعطش وظرف صعب لا يُطاق، وحرب نفسية لا تُحمل، مقاطعة ليس لها مثيل، بل الحرب بعينها وإن لم تكن بالسيف والرمح وقد وصفها أمير المؤمنين في كتابه قائلاً: **« وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا كتاباً لا يُؤاكِلونا ولا يشاربُونا ولا يُناكحونا ولا يُبايُعونا، ولا نأمن فيهم إلّا مِنْ موسمٍ الى موسِم، فعَزمَ الله لنا على منعه، والذبّ عن حوزته، والرَّميَ من وراء حُرمَتَهِ، والقيام بأسيافِنا دُوْنَهُ في ساعات الخوف بالليل والنَّهارِ »**.

إذن من الذي ثبت وذبَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ومن الذي تحمّل كلّ تلك المصاعب؟

ومن الذي كان حمى لدين الله وهو لا زال غضّاً طريّاً تُهدِّده رياح الجهل

والكفر والعصبية في كلّ لحظة؟

ألم يكن أبو طالب وعليّ وجعفر وأهل بيته هؤلاء هم آل النبيّ؟! في وقتٍ كانوا «يتوقّعون الموت جوعاً صباحاً ومساءً؛ لا يرون وجهاً ولا فرحاً، وقد اضمحلّ عزمهم وانقطع رجاؤهم، فمَن الذي خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمدٍ ﷺ إلّا عليٌّ عليه السلام وحده؟!

وما عسى أن يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة مِنْ تقصّي معانيها، وبلوغ كُنهها وفضيلة الصابر عندها؟»[1].

هذا هو عليّ عليه السلام في صموده الرائع.

هؤلاء هم أهل بيت النبوّة في مواقفهم المشرّفة..

كانوا جميعاً سدّاً منيعاً بوجه أعداء رسول الله ﷺ..

هذه هي الفئة الطاهرة المجاهدة التي حاول معاوية تشويه وجهها المشرق لدىٰ الأُمّة؛ لتحلو له الحياة بلذاتها بعيداً عن واقع الإسلام وصورته الحقيقية، وليبتدع له ديناً منهجه سفياني غلافه إسلامي!

فعليّ التضحية والفداء ـ هو «صاحب الخلوات برسول الله ﷺ في تلك الظلمات؛ المتجرّع لغصص المرار من أبي لهبٍ وأبي جهلٍ وغيرهما، والمصطلي لكلّ مكروهٍ، والشريك لنبيّه في كلّ أذى، وقد نهض بالحمل الثقيل، وبان بالأمر الجليل، ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشِعْبَ على هيئة السارق ويخفي نفسه، ويضائل شخصه.

حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كُبراء قريش، كمطعم بن عديٍّ وغيره، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح، وهو على أشدّ

(١) شرح النهج: ١٣ / ٢٥٤.

خوفٍ من أعدائهم كأبي جهل وغيره؟ ولو ظفروا به لأراقوا دمه»[١].

أيّة صورةٍ رائعةٍ للجهاد والثبات رسمها في حياته مع محمدٍ ﷺ!

أيّة تضحيةٍ هذه من أجل أن تُحفظ حياة محمدٍ ﷺ من أذى المشركين!

وما أروعه من فداء!!

إذن كيف يحلو لمعاوية وغيره أن يعدلوا أنفسهم مع عليٍّ عليه السلام ومجده التليد؟!

* * *

(١) شرح النهج: ١٣ / ٢٥٤.

الباب الثالث

الدنيا لدى
عليٍّ عليه السلام ومعاوية

المعادلة السلبية:

ليس من السهل على مؤرخ التأريخ وحقائقه أن يزّور حقائق تتعلّق بالشخصيات العملاقة التي تتميّز بارتباطٍ معنويٍّ مع جماهيرها وأتباعها بإلقاء نظرةٍ سلبيةٍ على صورة ذلك الرمز المثالي للأجيال، ناهيك عن أنّها جريمة كبرىٰ بحقّ التأريخ والأجيال اللاحقة فلا يستطيع أحد ما أن يمحو أو يعتّم على الحقائق الناصعة التي يمتاز بها قائد أو شخصية لها دور بارز في التأريخ أو يزيل ذلك عن أذهان الأُمّة التي عاصرته، واستقت من عذب نميره وفي شتّى الأصعدة خلال تلك المسيرة والحياة العامة لتلك الشخصية، كما لا يمكن لقاصٍّ أن يغيّر الدور الفعّال لبطل ويعطيه لآخر لا يستحقّ تلك السِمات إلّا بتغيير تلك الشخصية جسماً وروحاً، وهذا محال على أحد، فكيف بتقمص شخصية كعليٍّ عليه السلام؟!

ربّما تمرّ حالة تردٍّ وتراجعٍ في عرض الحقائق بصورتها الواقعية إلّا أن تلك الحالة لا تأخذ إطاراً عامّاً شاملاً على مرّ العصور، لكن من اليسر أن يسعى طلّاب الجاه والمنصب وعبّاد المال ووعاظ السلاطين الى تزيين صورة قائدٍ منحرفٍ أو ظالمٍ اشتهر بظلمه من خلال ابتداع صورٍ وهميّةٍ تمثالية الشكل والمعنى، تعطي جانب التعظيم والزهو ولو فترةٍ قصيرة، إلّا أنّ الحقيقة لا تُحجَب بالأنوار الباهتة المصطنعة.

فالذي أُريد بيانه هو: أنّ المقارنة بين عليٍّ عليه السلام ونظرته الى الدنيا وبين معاوية وسعيه وراءها ليس شيئاً ابتدعه، ولا هي قضية أستطيع أن أُخفيها، إنّما

هي حقيقة ثابتة كحقيقة وجود الكواكب والنجوم في السماء، وهل تحجب عن النظر في هذا الكون الرحب؟!

إنّ الصفات والاعتقادات المميزة لكلّ طرفٍ انعكست صورها في الرسائل المتبادلة بين الإمام عليٍّ عليه السلام ومعاوية أيضاً. فعليّ عليه السلام طالما دأب في تحذير معاوية من مخاطر الانزلاق في متاهات الدنيا، وضياع كلّ شيءٍ لديه أمام ربّه، إذ لا تدوم دنياً بهيجة لأحدٍ من الخلق مهما تنزّهت وتعالت شخصيته وسمت منزلته، بل مهما ملك واستطالت له الأُمور فإنّ النهاية الحتمية هي الموت وسيسدل الستار عليه وتنتهي آمانيه وتصوراته الوهمية، إن لم تكن هذه الدنيا تغدر به في لحظةٍ من لحظاتها.

إنّ الإمام علياً عليه السلام بتحذيره معاوية كان يرى أنّه لا بدّ من أداءٍ للواجب الشرعي، والدعوة الى الله، وترك ما يتعارض وأصل الدين.

لقد كشف الإمام عليّ عليه السلام حقيقة هذه الدنيا بقوله: «وأَنَّ الدنيا لَمْ تَكُنْ لتستقِرَّ إلّا على ما جَعَلَها اللهُ عليه من النعماء والابتلاء، والجزاء في المعادِ، أو ما شاءَ ممّا لا تعلم»[(١)].

بهذه الصيغة الإرشادية والتوجيه استمرّ عليّ عليه السلام في نهجه مع معاوية، رغم علمه عليه السلام بأنّ كلامه معه لا فائدة منه، إلّا أنّه يعتقد بأداء الواجب الشرعي الملقى على عاتقه من النصيحة فإنّ «الدين النصيحة».. وإليك هذه الرسالة التي بعثها الى اليه، وقد تضمّنت تبياناً واضحاً لواقع الدنيا ونصحاً وإرشاداً له. فقال عليه السلام: «أمّا بعد، فإِنَّ الدُّنيا دارُ تجارةٍ، وربحها أو خُسْرُها الآخرة، فالسعيد من كانت بضاعتُهُ فيها الأعمالَ الصالحةَ، ومن رأى الدُّنيا بعينها وقدَّرها بقدرها، وإنّي لأَعِظُكَ مع

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص٨٩٩.

عِلمي بسابق العلم فيْكَ ممّا لا مَرَدَّ له دُونَ نفاذه، ولكنّ الله تعالى أَخذَ على العُلماءِ أَنْ يُؤَدُّوا الأمانةَ، وأن ينصحوا الغوي والرشيدَ، فاتَّقِ اللهَ، ولا تكن ممّن لا يرجو للهِ وقاراً؛ ومن حقَّتْ عليه كلمةُ العذاب، فإِنَّ اللهَ بالمرصاد، وإِنَّ دنياكَ ستدبُر عنك، وستعود حسرةً عليك فاقلعْ عمّا أنت عليه من الغيِّ والضَلالِ على كِبَرِ سِنِّكَ وفناءِ عُمرِكَ، فإِنَّ حالك اليوم كحال الثَّوبِ المهِيلِ الذي لا يصلح من جانبٍ إلّا فسدَ من آخر»[١].

الأمر الذي يجب تأكيده أنّني لستُ في مجال البحث عن الدنيا وحبّ الدنيا وموقف الإسلام من ذلك، ولم يكن في منهجي في البحث التعرّض الى هذا الموضوع بقدر ما يهمّني استظهار الحقائق من الرسائل المتبادلة، ودعم ذلك بكلام أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في نهج البلاغة، مع تثبيت الحقائق واستخراج دلالاتها من مصادرها المعتمدة.

احذر الموت:

لا أُريد أن أُضيفَ أمراً أو أُصوِّرَ واقعاً معروفاً تصويراً جديداً، إنّما غرضي الحديث عن حقائق يعرفها الجميع من باب الإشارة الضمنية لما قد يقع فيه البعض من تصوراتٍ غير واقعيةٍ منقولةٍ إليه عِبرَ كتبٍ مزيّفة، أو تاريخ محرَّف.

فحياة عليٍّ عليه السلام لم تكن شيئاً خافياً على أحد، بل كانت نوراً ساطعاً أقرَّ به القاصي والداني فهو «لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوباً جديداً، ولا اقتنى ضيعة ولا ربعاً، الا شيئاً كان له بينبع مما تصدق به وحبسه»[٢].

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٠٢.

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٤١٩.

ومرة دخل ضرار بن ضمرة على معاوية وافداً، «فقال له: صف علياً، قال أعْفِني يا أمير المؤمنين قال معاوية: لابد من ذلك، فقال أما إذا كان لا بد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصْلا، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يعجبه من الطعام ما خشن، ومن اللباس ما قصر، وكان والله يجيبنا إذا دعوناه، ويعطينا إذا سألناه، وكنا والله ـ على تقريبه لنا وقربه منا ـ لا نكلمه هيبة له، ولا نبتدئه لعظمه في نفوسنا، يبسم عن ثغرٍ كاللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويرحم المساكين، ويطعم في المسْغَبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة، يكسو العريان، وينصر اللهفان، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، وكأني به وقد ارخى الليل سدُوله، وغارت نجومه، وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غري غيري، ألي تعرضت أم إليَّ تشوفت؟ هيهات هيهات!! لا حان حينك، قد أبَنْتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، عمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق»[١].

أنّ التعصّب الأعمى والبغض لعليٍّ عليه السلام أخفيا تلك الصفحات البيضاء من حياة هذا الرجل العظيم وطوتها القلوب السقيمة في ثناياها المظلمة، وأنكرها مَن سوّلت له نفسه بأن لا يُبيح إلّا لباطل، أو ولا يخدم إلّا لدناءةٍ وطمع في مالٍ أو منصبٍ أو خدمة مساومةً لعدوٍّ جهولٍ وظلومٍ من المستكبرين.

ولكنّ علياً عليه السلام أجلّ من أن أصفه بكلماتٍ قد لا تصل إلى كُنه معرفته، فهو رجل الآخرة، والزاهد الأول، وصاحب اليقين التامّ، الدنيا عنده ممر الى العالم الثاني، هو الصائن لمبادئ السماء؛ والذي سقط شهيداً من أجلها، العاشق لله تعالى

---

(١) المصدر السابق: ٢ / ٤٢١.

بكل وجوده، ولم يكن رافضاً للدنيا كدار عملٍ صالح ومزرعةٍ للآخرة، كان فيها كما أراد الله سبحانه لعباده، أمّا معاوية فقد جعلها دارَ البقاء، لا دار الفناء، مكان اللذّة والمتعة والانتفاع، نسي فيها مصيره المحتوم، عمل فيها من اعتقد بالخلود الدائم فنسي أمر ربّه وقضاءه فخسر كلّ شيء، مثالبه عظيمة منها شرب الخمر، كما أخرج ذلك الامام أحمد في سنده (٣٤٧/٥)، (٤٧٦/٦ ح ٢٢٤٣٢)، وابن عساكر في تاريخه (٢٦ / ١٩٧ ـ ١٩٨ رقم ٣٠٧١)، وفي مختصر تاريخ دمشق (١١ / ٣٠٦) وكذلك (٢٦ / ٢٠٠ رقم ٣٠٧١ و(٧ / ٢١٣) وفي تهذيب تاريخ دمشق: (٧ / ٢١٦)، وكذلك في تاريخ مدينة دمشق: (٢٧ / ٣١٢) و(٧ / ٣٤٦)، وكذلك ابن حجر في الاصابة: (٢ / ٢٩١) و(٢ / ٤٠١) ولخّصه في تهذيب التهذيب: (٦ / ١٩٢) و(٦ / ١٧٣)، وابن الاثير في أُسد الغابة: (٣ / ٤٥٨ رقم ٣٣٢٢) و(٣ / ٢٩٩)، على اختلاف الطبعات.

وهناك مثالب اخرىٰ منها أكل الربا، واستلحاق زياد بن ابيه، قتله الصلحاء من الصحابة والتابعين، لبسه الحرير والذهب، وترك التكبير المسنون في الصلاة[1]، وغيرها من الافعال التي تدلل على عشقه الدنيا وارتباطه بها، ففي رسالة لعليٍّ عليه السلام، إلى عمرو بن العاص يقول فيها: «فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امرىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِه، وَيُسَفِّهُ الحلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ؛ اتِّبَاعَ الكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ بِمخَالِبِهِ، وَيَنتَظِرُ مَا يُلْقَى إِليهِ مِنْ فَضَلِ فَرِيستِه فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتكَ»[2].

يقول ابن ابي الحديد في شرحه «فأما قوله عليه السلام في معاوية: «ظاهرٌ غيُّه»، فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه؛ وكلُّ باغٍ غاوٍ.

---

(١) يراجع كتاب الغدير: ٩ / ٢٥٥ لمعرفة مصادر تلك المثالب.

(٢) شرح النهج: ١٦ / ١٦٠.

أمّا مهتوك ستْره، فإنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جُلَساء وسمّار، ومعاوية لم يتوقر، ولم يلزم قانون الرياسة إلّا منذ خرج على أمير المؤمنين [علي عليه السلام]، واحتاج إلى الناموس والسكينة، وإلّا فقد كان في أيّام عثمان شديد التهتك، موسوماً بكلّ قبيح، وكان في أيّام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه، إلّا أنه كان يلبس الحرير والدِّيباج، وَيشرَب في آنية الذهب والفضّة، ويركب البَغلات ذواتِ السروج المحلّاة بها، وعليها جِلال الدِّيباج والوَشيْ؛ وكان حينئذ شابّاً، وعند نزَق الصِّبا، وأَثَر الشبيبه، وسكْر السلطان والإمْرة، ونقل الناسُ عنه في كتب السيرة أنّه كان يشرب الخمر في ايام عثمان في الشام..»[1]، حذّره الامام عليه السلام كثيراً من كثرة مفاسده وحبّه لدنياه وطغيانه، إلّا انه لم يتعظ من تحذير عليٍّ عليه السلام ولم تفزعه كلمات الله تعالى في الكتاب المبين، ولا أحاديث النبيّ الكريم حول ذلك، ولا وصف علي عليه السلام لها وتفصيل الاحوال فيها له، ومنها قوله عليه السلام « أمّا بَعْدُ، فإنّ الدُّنيا حُلوَةٌ.. خَضِرَةٌ ذاتُ زينةٍ وبهجةٍ، لم يَصْبُ إِلَيْها أَحَدُ إلّا شَغلتهُ بزينتها عمّا هُوَ انْفَعُ لَهُ مِنْها، وبالآخرةِ أُمِرْنا، وعليها حُثِثْنا، فَدَعْ ـ يا معاويةُ ـ ما يفنى، واعملْ لما يبقى، إحذَر الموتَ الَّذِي إليهِ مصيرُكَ، والحسابَ الَّذِي إليهِ عاقبتُكَ، واعلَمْ أَنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً حال بينه وبين ما يكره، ووفَّقَهُ لطاعتِهِ، وإذا أَرادَ اللهُ بَعبْدٍ سُوءاً أَغْراهُ بالدُّنيا وأَنْساهُ الآخرة، وبَسط لهُ أَمَلَهُ، وعاقهُ عمّا فيه صلاحُهُ »[2].

ونختم هذا الفصل بالتحذير العلويِّ الشديد لمعاوية: « فاتَّقِ اللهَ يا معاويَةُ في نفسِكَ، وجاذب الشَّيطانَ قيادَكَ، فإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعةٌ عَنكَ، والآخِرةُ قَريبةٌ مِنْك »[3].

---

(١) شرح النهج: ١٦ / ١٦١.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٦٦.

(٣) شرح النهج: ١٦ / ١٣٢.

جوامع الأقدار:

من الأحداث التي تُثير الاستغراب والعَجَبْ أن يكون معاوية بن أبي سفيان ندّاً لعليٍّ عليه السلام، ويكون مقابلاً له، رغم الفوارق الواسعة جداً بينهما والبون الشاسع المعروف لدى كافّة أبناء الأمّة، بل ولدى غير المسلمين من المنصفين أيضاً، فهذه هي الدنيا إن صحّ التعبير عنها مع الشيطان ورجاله وأنصاره وغم ذلك فلا يصحّ أن يترك الشيطان وجنده ومن لفّهم بحباله يصولون ويجولون دون رادِع، وإلّا لأصبحت البشرية في ضياعٍ وتيهٍ، وإهدارٍ للحقوق، وإزهاق للأرواح الطيبه والبريئة ظلماً وعدواناً، بل ضياع كامل للمجتمعات البشرية جمعاء.

إنّ هذا الواقع المرّ يفرض نفسه على طبيعة الحياة الاجتماعية مع وجود الرسل والأنبياء، الذين جاؤوا بالرحمة الإلهية لتصحيح مسار البشرية، بل الأشدّ من ذلك الوقوف بوجه العصاة المردة ومحاربتهم، بعد نصحهم وإرشادهم لمعالم الحقّ والشريعة السماوية السمحاء ومع ذلك نجد الطغاة لا يريدون أن يواجهوا رسل ربّ العالمين بل يحاولون التشّبث بكل شيءٍ الوصول منزلةٍ أعلى من هؤلاء الرسل والأنبياء، وحينما لا يستطيعون المواجهة يدفعون عبيدهم الى قتل الأنبياء والرسل وبأيّةِ وسيلةٍ كانت، ويحاولون الإطاحة بمن دون هؤلاء وينالون من الأولياء والأوصياء وأولادهم وأتباعهم ومحبّيهم الصالحين، كما فعلوه مع الثلّة الطاهرة من أصحاب النبيّ كأبي ذرٍّ وعمار وغيرهم، وكمالك بن الأشتر وحجر بن عدي وميثم التمّار وغيرهم من أصحاب عليٍّ عليه السلام وكأصحاب وذرّية الحسن والحسين وشيعتهم الى يومنا هذا.

وفي هذا المسار حاول معاوية أن يعدل نفسه بعليٍّ عليه السلام رغم التفاوت العظيم بينهما، ممّا جعل الامام علياً عليه السلام يذكّر معاوية قائلاً: «لَئِنْ جمعتني وإيَّاكَ جوامِعُ الْأَقدَارِ لاَ أَزالُ بباحتك حتّى يحكمَ اللهُ بيننا وهُوَ خيرُ

الحاكِمين»[١].

إن هذا التصادم أو التدافع كان ضمن القوانين والسنن الإلـهية، ولا يـجوز لقوى الخير الانسحاب أو التردد لأجل الحق والدفاع عن الحـقوق وإن كـثرت التضحيات، والإمام عليه السلام يؤكّد في كتابه الى معاوية على ذلك الابتلاء، بأنّ الدنـيا بما أنّها دار عملٍ للآخرة فلا بدّ إذن من الصراع والمجاهده «**فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعلَ الدُّنْيَا لِما بَعْدَها، وَابْتلَىٰ فيها أَهْلَهَا؛ ليعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عملاً، ولَسْنَا للدُّنْيَا خُلقْنَا، ولا بالسَّعْي فيها أُمِرْنَا، وإنَّمَا وضُعْنَا فيها لِنُبْتَلَي بها، وقد ابتْلاني بك وابْتَلاَكَ بي، فجعَل أَحَدَنا حُجَّةً على الآخر**»[٢].

وعلى أيّة حالٍ فإنّ الدنيا تدور بأهلها هكذا: «وأعجب وأطرب ما جاء به الدهر ـ وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة ـ أن يفضي أمر عـليٍّ عليه السلام الى أن يـصير معاوية نِدّاً له ونظيراً مماثلاً، يتعارضان الكتب والجواب، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول له عليّ عليه السلام كلمةً إلّا ردّه بمثلها وأخشن مَسّاً منها، فليت محمداً صلى الله عليه وآله كان شاهدَ ذلك؛ ليرى عياناً لا خبراً أنّ الدعوة التي قام بـها، وقاسى أعظم المشاقّ في تـحملها، وكـابد الأهـوال فـي الذبّ عـنها، وضـرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيّد أركانها، وملأ الآفاق بها خلَصت صفواً عفواً لأعدائه الّذين كذّبوه، لما دعا إليها وأخرجوه عن أوطانه لما حضّ عليها، وأدمَوْا وجهه، وقتلوا عمّه وأهله، فكأنّه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم؛ كما قـال أبـو سفيان في أيّام عثمان وقد مرّ بقبر حمزة وضربه برجله، وقال: يا أبا عُـمارة! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به! ثـمّ آل

(١) حدائق الحقائق: ٢ / ٥٤٩.

(٢) المصدر نفسه.

الأمر الى أن يفاخر معاويةُ علياً كما يتفاخر الأكفاء والنظراء!

إذا عـــيّر الطـــائيَّ بـــالبخل مـــادِرٌ
وَقـــرّعَ قُسّـــاً بـــالفهاهة بـــاقلُ

وقـــال السُّـــها للشّـــمسِ: أنتِ خـفيَّةٌ
وقـال الدُّجَـى: يـا صـبحُ لونُك حـائلُ

وفـــاخرتِ الأَرضُ الســـماءَ ســـفاهةً
وكـــاثرت الشُـــهبَ الحـــصا والجـنادلُ

فـــيا مـــوتُ زُرْ إنَّ الحـــياة ذمـــيمةٌ
ويا نفسُ جِـدّي إنّ دهـرَك هـازل!»[1].

وأطرف من ذلك كلّه: أنّ معاوية يعِظُ الإمام علي عليه السلام وكأنّه يريد أن يبصِّرَه بتعاليم الشريعة الإسلامية ومناهجه، فأصبح معاوية الواعظ المعلِّم واصبح باب علم الله ورسوله ـ الإمام عليّ عليه السلام ـ الإنسان الذي لا يفقه من دينه شيئاً!

إنها مهزلة الدهر، وليست بعدها مهزلة أن يقوم معاوية بهذه الأعمال، وقد ذكر ذلك إمامُنا عليه السلام في رسالةٍ له الى معاوية قائلاً له: « يا بْنَ هِنْدٍ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لنا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، وَلَقَدْ قَدِمْتَ فَأَفْحَشْتَ، إذْ طَفِقْتَ تُخبِرُنَا عنْ بَلاءِ اللهِ تـعالى فِـيْ نَـبيِّه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَفِيْنا، فكُنْتَ في ذٰلِكَ كَجالِبِ التَّمْرِ إلى هَجَرٍ؛ أو كَداعِي مُسَـدِّدِهِ إلى النِّضالِ »[2].

* * *

(١) شرح النهج: ١٦ / ١٣٦.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٧٦.

الباب الرابع

السقيفة في الرسائل

الفصل الأوّل

السقيفة والمظلومية الكُبرىٰ

السقيفة .. حقائق واسئله

لقد عايش معاوية ـ بعد إسلامه المتأخّر جدّاً وكرهاً ـ أحداث ما بعد وفاة رسول الله ﷺ، بل يمكن أن نقول: إنّه لم تغبْ عن عـقله صـور مشـاهد تـلك الأحداث بعد وفاة النبي ﷺ والشاهد على ذلك قوله لمحمد بن أبي بكـر فـي رسالةٍ بعثها إليه: «... فقد كُنّا وأبوك معاً في حياة نبيّنا، نرى حقّ ابن أبي طـالب لازماً لنا وفضلَه مبرزاً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وَعَدَه، وأظهر دعوتَه، وأفلج حُجَّتَهُ قبضه الله إليه، فكان أبوك وفـاروقه أول مـن ابـتزّه حـقّه، وخالفه على أمره، على ذلك أتَّفقا واتّسقا...»[1].

هذا النصّ يبيّن حقيقة الصور الواقعية للأحداث بشكل لا يقبل الشكّ قـد صاحبَهَا معاوية، وهو نفسه ينكر هذه الوقائع في أماكن أُخرى، بل ويلفِّق صوراً أُخرى تعكس واقعاً آخر، فأصبحت حالة قلب الحقائق وإخفاء الوقائع الصحيحة بل وتحريفها بصورةٍ كاملةٍ صفةً مميِّزة لمعاوية في رسائله مع الإمـام عـليٍّ عليه السلام وفي بياناته الأُخرى.

إنّ معاوية لم يقف عند هذه الأعمال وينهي دوره المشؤوم والمضلِّل، بـل حاول استخدام أساليب الحرب النفسية في رسائله الى الإمام عـليٍّ عليه السلام، ومـن جملتها: قضية السقيفة وتبعاتها، فقد كان يعلم أنّ هذه الحادثة التأريخية الهـامّة

---

(١) حجج النهج للدكتور السامرائي: ص٣٢٧؛ ونهج السعادة: ٤ / ١٨٩.

جداً تؤثّر تأثيراً مباشراً على قلب عليٍّ المدمى، فكان عليه السلام كلما ذكرها يعتصر قلبه ألماً من ذلك الماضي الأسود؛ لمواقف البعض ممّن أهملوا وجوده وسلبوا حقه، كان دائماً يطلق آهاته حسراتٍ كلّما ذُكِّر بها.

وعلى هذا الوتر الحسّاس بدأ يدقّ معاوية وينفث سمومه، قاصداً حمل الإمام عليٍّ عليه السلام الى الغضب ودفعه الى ذمّ الخلفاء الثلاثة الأوائل علناً وتصريحاً، حتى يستطيع التشهير به أمام الملأ من الشاميين وغيرهم.

ومن أجل ذلك أرسل رسالةً مع أبي أُمامة الباهلي ـ وهو من الصحابة ـ وضمّنها تعييراً لعليٍّ عليه السلام، بعد أن أثنى كثيراً على الخلفاء الثلاثة الذين كان يذمّهم معاوية وينتقص منهم كما أظهر حقيقة ذلك في رسالته لمحمد بن أبي بكر التي كانت تبرز بوضوحٍ صورةً واقعيةً لذلك الدجل العلني تارةً والخفي أُخرى. أمّا أدّعاؤه الذي دوّنه في رسالته التي بعثها الى الامام علي عليه السلام والتي منها: «وما من هؤلاء (أي الخلفاء الثلاثة) إلّا من بغيتَ عليه وتلكّأت في بيعته، حتّى حملت إليه قهراً تساق بخزائم الاقتسار[1] كما يساق الفحل المخشوش[2]، ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة»[3].

كذلك لا يغرب عن بالنا قول معاوية لمحمد بن ابي بكر: «ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب»[4].

(١) الخزائم: جمع خزام أو الخزامة (بكسر الخاء): حلقة يشدّ فيها الزمام. والاقتسار (والقسر) القهر والإكراه ـ (منهج السعادة).

(٢) الفحل المخشوش: الذي في أنفه خشاش، وهو خشب يدخل في أنفه، وأنقياده في هذه الحالة في غايةٍ يضرب بها المثل. (حدائق الحقائق).

(٣) نهج السعادة: ٤ / ١٨٩.

(٤) نهج السعادة: ٤ / ١٨٩.

مراجعة عابرة للنصوص نلاحظ بوضوحٍ مدى التناقض الواسع بين أحاديث معاوية في كتبه وبياناته، وكيف أنّ معاوية استخدم الحوادث التأريخية في حربه الكلامية والنفسية مع الآخرين!

إنّ الإمام علياً عليه السلام لم يكن في يومٍ من الأيام طريحةً تحت أفكار معاوية المسمومة، ولا باباً مفتوحاً يدخل من خلاله كلّ شيء، ولا غصناً طرياً تهزّه الريح الى اتّجاهاتها المختلفة، فكان يردّ الصاع صاعَين على معاوية في رسائله، ومنها: إجابته على رسالة معاوية الآنفة الذكر قائلاً له: «وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقادُ كَما يُقادُ الجَمَلُ المخشوش حتى أُبايعَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَد أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدحْتَ، وأَنْ تَفضحَ فَأَفْتَضَحْتَ، وَما عَلى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضاضَةٍ فِي أَنْ يَكوْنَ مَظْلُوْماً ما لَمْ يَكُنْ شاكّاً في دينِهِ ولا مرتاباً بيقينه، وهذِهِ حُجَّتِيْ إِلى غيرك قصدُها، ولكنِّي أَطْلَقْتُ لك بقدرِ ما سَنَحَ من ذكرها»[1].

إنّ البحث في هذه القضية المهمّة في تأريخ الإسلام يحتاج الى فتح أبواب الكتب التأريخية على مصراعيها ومناقشتها بدقّة؛ لِمَا فيها من مطالب متشعبّةٍ لا نريد الخوض فيها الآن؛ لِمَا كُتب عنها مطوّلاً، الاّ أنني أُحدِّد معالم بعض نقاط المواضيع التي تعامل معها معاوية وأطرحها للنقاش الموضوعي منها:

أنّ ما طرحه معاوية من موضوعٍ حساسٍّ يتعلّق بأهمّ حدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هو «مؤتمر السقيفة» الّذي كان له اسبابه الخاصّة لدى ابن أبي سفيان، وأهمّها:

الاستهانة والاستخفاف بالإمام عليٍّ عليه السلام بالإضافة الى ما ذكرنا سابقاً ممّا يتعلّق بالحرب النفسية ضدّ الإمام عليه السلام.

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٩٧.

لقد شبّه معاوية اقتيادَ عليٍّ عليه السلام من بيته الى المسجد مكرهاً بعد أن قُيِّد بحمائل سيفه لغرض إجباره على البيعة لأبي بكر ـ بالجمل الذي في أنفه الخشاش المُقاد من خزامته عنوةً وقهراً، وقد غفل معاوية في تعبيره هذا للإمام عليٍّ عليه السلام من أنّه قد اثبت حقيقةً تأريخيةً حاول البعض طمس آثارها أو على الأقلّ تحجيم أمرها، وقد شهد لهذا الحدث على تلك الحادثة وثبّته كتابةً، وهذا ما أفرز أمرين مهمّين هما:

أ ـ افتضاح أمر معاوية من خلال اعترافه بحقيقة الحدث، وأنّ عليّاً كان على حقٍّ ومعاوية الذي عاش هذه الحوادث كان يعرف جيّداً حجم الظلم الواقع على عليٍّ عليه السلام ولم يكن خلف عليٍّ عليه السلام ولم ينصره بقولٍ ولا عمل، وكان المفروض بمعاوية إن كان يهمّه أمر الدين أن يلتزم بما أقرّه عليّ عليه السلام ولأجل هذا يقول له الإمام علي عليه السلام: « وَلَعَمْرُ اللهِ لقد أردتَ أن تذمّ فمدَحت، وأن تفضح فافتضحت ».

ب ـ عبقرية عليٍّ عليه السلام في تصرّفه وحكمته وحرصه الشديد من أجل حفظ بيضة الإسلام وسلامة الدولة الإسلامية التي اعتبر استمرار وجودها وبقائها أهمَّ من كلّ الواجبات، مع اعتقاده عليه السلام الكامل ببيان المظلومية وعدم السكوت عنها تماماً، بل إهمالها مؤقتاً من أجل الهدف المنشود الآنف الذكر.

فعليّ عليه السلام ذلك الرجل المعروف بشجاعته، وليس بالشخص المتهور أو المتردّد والمتراجع أو الجبان. فهو أسمى من أن يُعرَّف بكلماتٍ أو خُطَبٍ، وهو سيف الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفتى الإسلام الاول الذي قدّم نفسه الزكية للموت من أجل دينه العظيم، والتأريخ حافل بجهاد عليٍّ وبطولته وشجاعته التي لا يختلف عليها أثنان، حتى أنّ معاوية وفرسان الهيجاء كانوا يرتجفون من منازلته.

وكان رغم شيخوخته وقد ذرّف علىٰ الستين عاماً أو أكثر كانت قوة

ساعديه كما هي في شبابه بين يدي رسول الله ﷺ، علـى عكس غـيره مـمّن هرب وولّى الدبر وظهر بعد حين، فلو أراد المواجهة المسلّحة فهي أيسر لديـه، لكن هناك أسباب واسباب!

بيان المظلومية:

إنّ بعض أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعلمون ويعتقدون بـصورةٍ لا تـقبل الشكّ أنّ الخلافة حقّ مشروع للإمام عليٍّ عليه السلام، إلّا أنّهم انقلبوا عـلى عـقبيهم إلّا قليل منهم نتيجةً للظروف المستجدّة في الساحة السياسية، وعودة الروح العصبية والقبلية فوراً الى البعض منهم بعد وفـاة النـبيّ الكـريم ﷺ، وخـروج الإمـام علي عليه السلام بهذه الصورة مع من أقتادوه تذكير للأُمّة بالحقّ المهدور، وحجّة عليهم لنقضهم العهود بعد بيعة الغدير في حجّة الوداع.

الاسلام والخطر المحدِق:

من المعلوم أنّ وفاة النبيّ ﷺ أحدثت هزّةً عنيفةً في محيط المدينة، ثمّ مكّة والجزيرة كلّها فنظر الإمام عليّ عليه السلام الى واقع المجتمع الإسلامي فوجد هناك عدّة طبقات منقسمةً على نفسها وحسب المواقف المعلَنة:

فـالفئة الأُولى لم تـصدّق وفـاته؛ مـدّعيةً الخـلود الدنـيوي لصـاحب الرسالة ﷺ.

والفئة الثانية ارتدّت عن دين الله واتّخذت لها ديناً جديداً وضعته لنفسها، أمثال مسيلمة الكذاب وطليحة وسجّاح وغيرهم، وتبعهم الكثير ممّن لم يترسّخ الإيمان بعدُ في قلوبهم، أو ممّن أكتنز حقداً على رسول الله ﷺ حيث تـهيّأت الفرصة له للانتقام.

والفئة الثالثة التي نظر الى واقعها الإمـام عـليّ عليه السلام هـي طـبقة الطـامعين بالسلطة، والذين تمكّنوا من السبق وأخذ زمام المبادرة، مستغلّين فرصة انشغال بني هاشم بتجهيز النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله، حيث أسرعت الى تسلّم قيادة الأُمّة، وجلّ هؤلاء من المهاجرين، وقسم مـن الأنـصار الذيـن بـادروا الى عـقد النـدوات الجماهيرية الواسعة لجمع الأصوات لهم وسحب البساط من تحت أرجل غيرهم بصورةٍ أو بأُخرى، يدعمهم بعض أعراب البادية الذين استقدموا فوراً بعد انتخاب أبي بكر ونُشروا في شوارع المدينة المنوّرة، وقائد هذا الرهط عمر بن الخطاب وأبو بكر وأبو عبيدة الجرّاح من المهاجرين، وأُسيد بن حُضير وبشير بن سعد أبو النعمان بن بشير من الأنصار.

وأمّا الفئة الرابعة فهم أهل بيت النبوّة، ومجموعة الصحابة الملتفّين حـول الإمام عليٍّ عليه السلام، والمستضعفين من المسلمين ممّن لم يكن لهم حـول ولا قـوَة، وهؤلاء قد حُوصِروا منذ الوهلة الأُولى، وأصبحت تحرّكاتهم شبه مشلولةٍ تماماً، وهم: الزبير بن العوّام ابن عمّة النبيّ صلى الله عليه وآله، والعباس عمّ النبي صلى الله عليه وآله وأولاده وبقية بني هاشم، وأبرز الصحابة أبو ذرّ وعمّار والمقداد وسـلمان وآخـرون غـيرهم، وطبقةٌ من الأنصار.

أمّا الزبير فقد سُحِب من دار عليٍّ عنوةً وكُسر سيفه بعد أن سقط من يده، والبقية آثرت التحدّي وعدم الخروج من الدار وبقيت على حالها.

وأمّا الفئة الخامسة فهم فهم الذين اعتزلوا، حيث أصبح هؤلاء في دوارٍ من أثر الفتنة ليس لهم أيّ تحرّكٍ يذكر حيث اشتدّ الصراع على السلطة في أوجِهِ بين عمر بن الخطّاب وأبي بكر وأبي عبيدة ومن تبعهم، وبين الأنصار أتباع سعد بن عبادة الأنصاري، وبين هذا وذاك ضاع عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام؛ لشدّة حالة التنازع من أجل الاستحواذ على هرم القدرة السياسية.

والفئة السادسة هم روّاد الفتنة من المنافقين الذين في قلوبهم مرض ممّن يحمل الحقد والكراهية للدين الجديد، حيث باتوا يكيدون له كيداً عظيماً، أملاً منهم في انتهاء دوره في المجتمع وقيادة الأُمّة، وإعادة الوضع الى الواقع الفاسد الظالم أيام الجاهلية، وكانوا يبغون ذلك وينتظرونه بفارغ الصبر؛ بعد حدوث الفراغ الكبير بوفاة رسول الله، حيث تناجز القوم فيما بينهم، فزرعوا بذور الشقاق، وأذكوا نار الصراع، وتفتّتت مدينة طِيبة الى آراءٍ متعدّدة، اعتقد هؤلاء أنّ الفرصة مؤاتية لتأجيج صراعٍ لا نهاية له إلّا بنهاية دين الإسلام، وكان أبرز قادة هذه الفئة: رائد الفتن وعدوّ الاسلام اللدود أبو سفيان صخر بن حرب.

هذه صورة المدينة بخريطتها السياسية والاجتماعية الجديدة، والتي أفرزتها حادثة وفاة رسول الله ﷺ، وقد نظر اليها الإمام عليّ عليه السلام نظرة متبصّرٍ عارفٍ بحقائق الأُمور ووقائعها بحذافيرها، فتوصّل الى قناعةٍ تامّةٍ وحقيقةٍ مرّةٍ واختيارٍ صعب! فإمّا بقاء دين الله سالماً من الأخطار المحدقة به والقبول على مضضٍ متجرّعاً سمَّ زعافِ تلك المواقف السلبية، والتي نقضت عهد رسول الله ﷺ من أُولئك القوم. وإمّا أن يجرّد سيفه وينهض بمَن معه على قلتهم مع إمكان تعبئة غيرهم أيضاً من الأنصار والمهاجرين، وبعض القبائل المحيطة بالمدينة، ويدخل في صراعٍ دمويٍّ يحمل معه كلّ النتائج السلبية، ومعنى ذلك صراع الموت، ثمّ ضياع كلِّ ما بناه رسول الله ﷺ، وهذا ما قاله الإمام عليّ عليه السلام لزوجته فاطمة بنتِ محمدٍ ﷺ (الزهراء) عليها السلام حينما لامته على قعوده وهو لا يتكلّم، حتى أذّن المؤذّن «فلمّا بلغ الى قوله: [أشهد أن محمداً رسول الله] قال لها: أتُحبّينَ أنْ تَزُول هذه الدعوةُ مِنَ الدنيا؟ قالت: لاَ، قال: فَهُوَ ما أَقُولُ لك»[1].

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص٤٢٨.

«قال لي رسول الله ﷺ: إن اجتمعُوا عليكَ فاصنع ما أمرتُكَ، وإلّا فألصِقْ كلكَلُكَ بالأرض، فلَمَّا تَفرَّقُوا عنِّي جررْتُ على المكرُوهِ ذَيْلي، وأَغْضَيْتُ على القذى جِفنِي، وألصَقْتُ بالارض كَلكَلي»[1].

هدأت فاطمة بنت محمدٍ ﷺ وفي قلبها تدور المصائب، سكّنت أنينها لحظةً، وأطبق الصمت على فيها، كأنّما أرادت بثّ شكواها الى الله وهي محتسبة، لكنّ أصوات القوم في مسجد النبي وقرب قبره الطاهر لم تهدأ لتعبث بجراح المحنه في قلبها فتهيج أحزانها وتثير الآمها، وتظهر هواجسها مرّةً أُخرى بعد أن تصل أسماعها أطبقت الرزايا كلّها لحظة واحدة على روحها الطاهرة.

وفاة محمد ﷺ لم تكن بعيدةً العهد سوى أيام قلائل، صدمات عنيفة مؤثّرة أتتها من قوم أبيها الذي أنقذهم من الظلمات، ورفع شأنهم، واسّس دولتهم الإسلامية الأُولى، هؤلاء القوم ارتضَوا خيانة البعض لعهدهم لرسول الله ﷺ وعليٍّ عليه السلام، كلّ هذه الأحداث كانت تعيشها فاطمة عليها السلام وينظر الى واقعها علي عليه السلام، فكان بين أمرين: إمّا أن يقوم ويتحمّل تبعات ذلك كلّه من ضياع الدين واندثاره، وإمّا أن يصبر رغم المرارة الحنظلية، فاختار الثانية، وقد قال عليه السلام في شقشقيّته: « فرأيتُ أَنَّ الصَّبْرَ على هاتا أَحجى (اي أقرب الى العقل)، فَصَبرْتُ وَفِي العَيْنِ قَذىً، وَفي الحَلْقِ شجاً، أَرَى تُراثي نَهباً »[2].

إذن هذه ليست بالعار الذي أراد معاوية تصويره، إنّما هي مظلومية عظيمة ارتُكِبَت بحقِّ الإمام عليٍّ عليه السلام وأُمِّ ولديه الحسن والحسين عليهما السلام فاطمة بنت النبي ﷺ، وإنّما هي فضيحة لمعاوية ورهطه ومن دافع عنه في رسائله، وأختم

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص٤٢٨.

(٢) نهج البلاغة تحقيق د. الصالح: ص٤٨.

كلامي هذا بقول أمير المؤمنين عليه السلام في نفس هذه الرسالة: « وما على المُسلِمِ من غضاضةٍ في أن يكُوْنَ مظلُوْماً ما لَمْ يكُنْ شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه »[١].

حجته على القوم:

من أشهر الرسائل التي وصلت الى عليٍّ عليه السلام من معاوية ـ والذي يرتبط بموضوعنا في هذا الفصل ـ رسالته التي يقول فيها: «وأعهدك أمسِ تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدرٍ والسوابق إلّا دعوتهم الى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت عليهم بابنيك، وأستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك إلّا أربعة أو خمسة»[٢].

هذا هو واقع حال القوم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه شهادة العدوِّ على حقيقة أُولئك الذين شاركوا في المآساة، حيث امتزج قرار الكثير منهم مع الحركة الغوغائية في سقيفة بني ساعدة وما تبعها من بيعة عامّةٍ في المسجد اثناء انشغال الإمام عليٍّ وأهل البيت عليهم السلام بتغسيل النبيّ صلى الله عليه وآله والاستعداد لدفنه.

كان هدف معاوية من طرح الحادثة بتلك الصورة التي وضعها في رسالته هو الإساءة وتحجيم منزلة أهل البيت عليهم السلام عليٍّ وفاطمة وولديهما عليهما السلام، والاستهانة بوضعهم في المجتمع، والإيحاء من الكلام المطروح بعدم استجابة الجمهور لهم بعزوف الناس وانصرافهم عن بيت النبوّة، وعدم رغبتهم في انتقال الخلافة الى هذا البيت الطاهر.

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٩٧.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٨٨.

لقد فات معاوية أنّ الذين ذمّهم في رسالته هم أصحاب الكساء مع النبي ﷺ، وعناصر المباهلة مع النصارى يوم خروج النبي لمباهلتهم وهم: علي عليه السلام أخو رسول الله ﷺ وفاطمة بنت محمد ﷺ وخديجة الكبرى عليها السلام، والطفلان هما سِبطَا رسول الله ﷺ وسيّدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهما السلام.

إنّ عليّاً عليه السلام بخروجه مع تلك الأنوار الإلهية وروّاد الهداية الربّانية كان كخروج رسول الله ﷺ يوم المباهلة، لكنّ الفرق أنّ النصارى تراجعوا عن مباهلتهم بعد أن شاهدوهم وخافوا على أنفسهم بعد أن عرفوهم، وأمّا هؤلاء القوم بعد وفاة النبي ﷺ وما تبعه من أحداث السقيفة تهرّبوا من الصدق والوفاء بعهدهم لرسول الله ﷺ، وتحجّجوا بشتى الوسائل والحجج، مفضِّلين الاستكانة والمخالفة لعهد الله ورسوله على مناصرة الحقِّ المبين، فعليّ عليه السلام أراد من الخروج بتلك الحالة أن تكون الحجّة أعظم وأشدّ على أُولئك القوم الذين تناسوا كلّ شيء، ثمّ إنّها بيان سلميّ لمظلومية كُبرى بقي أثرها ما دام هناك حياة يعيش فيها الإنسان على هذا الكوكب البسيط.

وأمّا استهانته وسخريّته بالعدد الذي استجاب لعليٍّ عليه السلام فهو إدانة أُخرى له ولمنطقه البليد، فالأربعة أو الخمسة الذين أجابوه ـ كما يدّعي ـ هم من أخلص صحابة النبيّ ﷺ، وأحبّهم الى قلبه، وأقربهم الى الله ورسوله بأحاديث النبي ﷺ الواردة بحقّهم[1]، ولا يشكّ أحد بإيمانهم وتضحيتهم وجهادهم الطويل، وهم موضع احترام الجميع.

وأمّا الموقف الهزيل لعددٍ من المهاجرين والأنصار الذين اعتذروا عن

(١) يمكن للقارئ العزيز مراجعة جميع كتب الحديث من أجل إثبات ذلك.

الاستجابة لعليٍّ عليه السلام بدواعٍ واهية فهذا لا يعني أنّهم لم يؤمنوا بالحقّ، أو لم يعرفوه، فلقد أرهبتهم سطوة المتآمرين، فأضاعوا الحقّ، وأعانوا الباطل، وكانوا: «يقولون: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عد لنا به، فيقول عليّ كرّم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه وأخرجه أُنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»[1].

هذه شهادة أُخرى دوّنها التأريخ، وسجلتها ذاكرة الأجيال تثبت حقّانية عليٍّ عليه السلام باعتراف القوم أنفسهم، وقد جاء ذلك من جرّاء خروج الامام علي عليه السلام وأهل بيته الأطهار بتلك الحالة لقد ندب القوم وألقى حجّته عليهم، وأشهدّ الله على أقوالهم ومعرفتهم الحقّ ومجانبته.

إنّ هذه الحقيقة التأريخية المُرّة التي غيّرت المجرى الديني والسياسي للدولة الإسلامية وما تلاها من أحداثٍ اتّخذها معاوية وسيلةً للسخرية والتعيير، على اعتبار أنّ ذلك يعتبر من مواقف الإمام عليه السلام الضعيفة، ثمّ الاستصغار من مكانة الإمام العظيمة، وذلك بما أورده من مفاهيم تعطي معانٍ واضحةٍ من أنّ القوم قد فرّوا من الإمام، وأنّه لو كان على حق ـ هكذا يصوره معاوية في كتابه ـ لالتفّ حوله أعداد كبيرة من المجتمع أي أنّه يا علي: إنّ القوم لا يرغبون بولايتك وهذا ما اراده معاوية من كلامه بالدرجة الأُولى، وقد تناسى أنّ علياً هو ابن الإسلام وقد نشأ وترعرع في كنفه؛ بسيفه حارب الشرك وقتل رجالاته، فلا يمكن أن يضيّع وجود هذا الدين مهما كانت الأسباب، فهو ليس معاوية بن أبي سفيان

(١) الإمامة والساسة: ١ / ١٢.

ربيب الشرك والكفر الذي لم يؤمن بالإسلام إلّا ما يتّخذه غطاءً لحكمه وسيطرته.

قرائن الدجل:

لو استعرضنا رسائل معاوية بصورةٍ دقيقةٍ لوجدنا التباين الواضح في العرض والطلب، حيث يستخدم الكلام المنمّق لفظه وبما يتناسب وواقع المرحلة التي يعيشها وبواجهها، فهو يعرف ما يبغي من كلامه، فمرّةً يمدح الخلفاء الثلاثة الأوائل، وأُخرى، يذمّ مواقفهم اتّجاه عليٍّ في رسالته الى محمد بن أبي بكر ومرّةً يؤكّد للإمام عليٍّ عليه السلام إن سابقته وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لا يدفعه، وأُخرى ينكره ويكذّبه، وقد ذكرنا قسماً من رسالة معاوية الى محمد بن أبي بكر، أعودُ فأبيّنُ هنا نقاط القسم الثاني: «ثمّ إنّهما دعواه [أي أنّ أبا بكر وعمر دعوا علياً] الى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم [أي قتله]... الى أن قال: ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلّمنا إليه»[١].

لقد سبق وأن اطّلعنا في رسائله السابقة أنّه كان المدافع الأول عن الخلفاء الثلاثة، بل أخذ يقرّض مواقفهم، ويتحدّث عن مظلوميّتهم، وكان في هذا الوقت محتاجاً الى هذا الموقف لاستحضار ردٍّ على الإمام عليٍّ عليه السلام ليساعده على مواجهته بأيٍّ صورةٍ كانت فمثلاً في النصّ التالي يدافع عن أبي بكر بقوله: «لقد حسدتَ أبا بكر والتويت عليه، ورُمتَ إفساد أمره، وقعدت في بيتك واستغويت عصابةً من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته»[٢].

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٨٨، أيضاً يمكن مراجعة النصّ في مروج المذهب للمسعودي: ٣ / ١٢.
(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٨٨.

ومرّةً أُخرى يدافع عن عمر بن الخطاب قائلاً له: «ثمّ كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدّته»[١].

وثالثةً يقول فيها: «فكان أفضلهم في إسلامه، وأنصحهم لله ولرسوله، الخليفة من بعده (يقصد أبا بكر)، ثمّ وخليفة خليفته، (أي عمر بن الخطاب)، والثالث الخليفة المظلوم عثمان، فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت»[٢].

فعند الملاحظة الممعنة للنصوص الآنفة الذكر يمكن تشخيص الاختلاف الواضح والتناقض في المضامين والمعاني بين مطلبٍ وآخر في هذه الكتب المرسلة، لقد اراد معاوية برسالته تلك افتعال أُكذوبة شبهة معاداة الإمام عليٍّ للخلفاء الذين سبقوه وبثّها بين المسلمين، ويوحي لهم بأنّ موقف الإمام عليه السلام كان سلبياً تجاه هؤلاء الخلفاء، وهذا خلاف الحقيقة والوقائع التأريخية تثبت بأنّ الإمام علياً عليه السلام كان عوناً وسنداً للخلفاء وفي مختلف الظروف رغم أنّه صاحب حقٍّ وقد هُضِم حقّه، فالذي اشتهر من مواقفه أنّه كان عوناً للخليفة الاول، فقدكان أبو بكر يستعين به لحلّ معضلاته الفقهية وغيرها.

أمّا مقولة الخليفة الثاني فتكفي شهادةً قوّية «لولا عليٌّ لهلك عمر».

والتأريخ يذكر بإسهابٍ موقفه من الخليفة الثالث ونصيحته المعروفة له التي لو أنّه التزم بها لنجا من المهلكة التي كانت تحوم حوله. إنّ هذه الحقائق تكذّب الادّعاءات المزيّفة لمعاوية.

أمّا الأمر الثاني فهو محاولة معاوية جرّ الإمام عليٍّ عليه السلام الى مساجلاتٍ كلاميةٍ حول الخلفاء كان الإمام في غنىً عنها بل لم يكن مقتنعاً بأمرها، وبالتالي

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٨٨.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٧٢.

فوّت الفرصة على معاوية الذي أراد أن يوقع الإمام علي عليه السلام في مسألة ذمّ الخلفاء، وبالتالي يوحي للناس أنّ علياً عليه السلام لا زال على بغضه للخلفاء، والدليل على ذلك هو ذمّه المستمرّ لهم، وكان ذلك باقتراح من عمرو بن العاص.

فردّ عليه الإمام علي عليه السلام قائلاً: «وَزَعمْتَ أَنّي لِكُلِّ الخُلَفاءِ حَسَدْتُ، وعلى كُلِّهِمْ بَغَيتُ، فإِن يكُن ذلك كـذلك فـلَيتَ الجـنايَة عـليك فـيكون العُـذرُ إليك، وتَلِكَ شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها* »[(١)].

وفي رسالةٍ أُخرى لأمير المؤمنين عليه السلام يردّ فيها على تـخرّصات مـعاوية: «وذكرت أَنَّ الله اجتبى لَهُ مِنَ المسلمينَ أعواناً أَيَّدَهُ اللهُ بِهِم، فكانوا في منازلهم عِنْدَهُ على قَدْرِ فضائِلِهِمْ في الإسلام، فكان أفْـضَلُهُمْ ـ زَعَـمْتَ ـ فِـي الإسـلام، وأنصحُهُمْ للهِ وَرَسُوْلِهِ الخليفةَ، وَخَليفةَ الْخَلِيفَةِ، ولعمري أغنَّ مكانهُما من الإسلام لعظيْمٌ، وإنَّ المُصابَ بِهِما لَجُرْحٌ في الإسلامِ شديدٌ، رحمهما اللهُ وجزّاهما بأحسن الجزاء.

وذكرت أنَّ عثمان كان في الفضل ثالثاً، فإن يكُنْ عُثمان محسناً فسيجزيْهِ اللهُ بإحسانِه، وإن يَكُ مسيئاً فسيلقى رَبّاً غفوراً لا يتعاظمُهُ ذنْبٌ أن يغفره»[(٢)].

السقيفة وفتنة أبي سفيان:

لقد ورد في الرسائل المتبادلة ذِكرُ موقف أبي سفيان بعد حادثة السقيفة، حيث كان موقفه ينمّ عن حقدٍ شديدٍ على دين محمدٍ صلى الله عليه وآله لا زال يكتنزه ـ رأس

(*) هذا عجز للبيت الشعري الذي أوّله «وعيَّرها الواشون أنّي أُحِبُّها...».

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٩٦.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٧٦؛ وكذلك ورد النصّ مع اختلافاتٍ يسيرةٍ في العقد الفريد لابن عبدربّه: ٤ / ٣٠٨.

الأحزاب المشركة في صدره.

لقد كان الإمام علي عليه السلام يضيّق دائرة النقاش مع معاوية ببيان دور الامويين المخرِّب، وأمانيهم الشيطانية، حتى يضطرّ معاوية الى الهروب من الواقع الصادق المواجه له الى الجحور الضيّقة التي لا تفضي به الى السلامة، وكيف له التحدّث والدفاع عن أُمور مشينةٍ لهم وكانوا هم أوّل من دعا الى تحدّي أبي بكر وعمر كما ذكر الامام علي عليه السلام في رسالته «وقد كانَ أبوك أتاني حين وَلَّى الناسُ أبا بكر، فقال: أنْتَ أحقُّ بَعْدَ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِهذا الأمْرِ، وَأنا زَعيمٌ لَكَ بذلك على مَنْ خالَفَ عَلَيك، أبْسُطْ يَدَكَ أُبايعكَ، فلم أَفْعَلْ، وأنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أباكَ قد كان ذلك وأَرادَهُ حتّى كُنْتُ أنا الَّذيْ أَبَيْتُ، لِقُرْبِ عهد الناس بالكفره مخافَةَ الفرقة بين أهل الإسلام؟»[1].

ذكر الطبري في تاريخه: «حُدِّثتُ عن هشام، قال: حدّثني عَوَانة، قال لمّا أجتمع الناسُ على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنّي لأرى عجاجةً لا يطفِئُها إلاّ دم! يا آل عبدمنافٍ، فيمَ أبو بكر من أُموركم؟ أين المستضعفان؟! أين الأذلّان علي والعباس؟! وقال: أبا حسنٍ، أبسط يدك حتى أُبايعُكَ، فأبى عليٌّ عليه، فجعل يتمثّل بشعر المتلمِّس.

ولن يُقيمَ على خسفٍ يُرادُ به
إلّا الأذلّان عَيرُ الحَيِّ والوَتَدُ!
هذَا عَلَى الخَسْفِ معكُوسٌ برُمَّتِهِ
وذا يُشَجُّ فلا يبكي لَهُ أحَدُ!

قال: فزجره علي وقال: إنّك واللهِ ما اردت بهذا إلّا الفتنة؛ وإنّك واللهِ طالما

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٨٤.

بغيتَ الإسلام شرّاً، لا حاجةَ لنا في نصيحتك!»[١].

ثمّ «وهل ترى كان حريّاً به ولزاماً عليه أن يستجيب لدعوة أبي سفيان المثيرة إلى القوة الضاربة ليتنحّي أبا بكر عن مكانه؟ وإنّها إذن لَلاستجابة الخلقية بان تندلع فتنة نارية شعواء بين أبناء أُمّته تمزّق وحدتهم، ولن يسلم من شرور خطرها عُودُ الدين وهو بعد غَضٌّ رطب!

حفاظاً على كيان الإسلام، وتوثيقاً لعرة المسلمين، ولاءً لخلقه الأرفع الأمثل نرى الإمام يسمو على غضبه العاصف لحقّه المبتزّ المغصوب، كأنّه أخذ نفسه بسوغ ازدراد العلقم، ولعق الدم، والطفو فوق الألم!»[٢].

هذا وقد ردّه الإمام عليه السلام بذلك التصميم القاطع بجوابٍ قاصمٍ عرفنا مضمونه آنفاً حينما «فطن عليّ لخافية التحريض السفياني فأباه، وفطن الى خطر المناوءة فآثر القعود والسكون!»[٣].

إن صخر بن حرب ـ (أبو سفيان) ـ لم يكن صادقاً في ثورته! ضد الخليفة الاول إنما كانت تحركه الاطماع الدنيوية فقط، ولو كان كما أدعى لبقي على رايه واعتزل أصحاب السقيفه، إلا أن الملفت للنظر تركه الامر بعد تأمير ابنائه على الجيوش، ووهبه ما عنده من الصدقات التي جمعها من العشائر، والأمرُ كما يلي: «قال عمر لأبي بكر: إنَّ هذا ـ يعني صخر بن حرب ـ قد قدم وهو فاعلٌ شرّاً، وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وآله يستألفه على الإسلام فدع له ما بيده من الصدقة. ففعل، فرضي أبو سفيان وبايعه»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٢٣٧.

(٢) السقيفة والخلافة لعبدالفتّاح عبدالمقصود: ص١٧٦.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٧.

(٤) الغدير: ٣ / ٣٥٧؛ والعقد الفريد: ٤ / ٨٥.

احتجاج ونقض:

إنّ مأساة مؤامرة السقيفة وما تبعها تردَّد ذكرها كثيراً في الرسائل المتبادلة، ومن ضمنها ما تعرض له الإمام عليّ عليه السلام حول احتجاج أبي بكـر وعـمر وابـي عبيدة على الأنصار بأنّهم عشيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهله.

فأبو بكر قال في سقيفة بني ساعدة: «ولن يُعرفَ هذا الأمر إلّا لهذا الحـيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً!»(١)

وعمر بن الخطّاب ينادي وبتحدٍّ واضحٍ «من ذا يخاصمنا في سلطان محمدٍ وميراثه نحن أولياؤه وعشيرته؟!»(٢).

كان أبو بكر يؤكّد في احتجاجه على الأنصار بأنّ هذا الحيَّ من قـريش، «أوّل من عَبَد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلّا ظالم»(٣).

هنا تستحثّنا الأحداث والخُطَب القاصمة الى الالتفات جيّداً الى الكلمات التالية:

١ ـ أولياؤه!

٢ ـ عشيرته!

٣ ـ حقانّيتهم!

٤ ـ ان مَن نازعهم هذا الأمر فهو ظالم لهم!

كلمات جميلة وواقعية إن كانت تعني أهله وعشيرته الحقيقيين، الاحتجاج

---

(١) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: ١ / ١٥١؛ الطبري: ٢ / ٢٣٥، حوادث سنة (١١ هـ).

(٢) تصنيف نهج البلاغة: ص٤١٣.

(٣) معالم المدرستين: ١ / ١٥٣.

بهم والأمر لغيرهم.

اهتزّت فرائص مَن كان في السقيفة لتلك الكلمات، وزاد الطين بلّةً الشجار الشديد بين الرؤوس المجتمعة هناك.

إنّ إحضار الحجّة وتثبيتها وإقناع الآخرين بها ليس أمراً هيّناً مع هذا الحشد التائه وسط الأُطروحات المتعدّدة.

فالانصار تشتّتت مواقفهم بين هذا وذاك، وتعدّدت آراؤهم، وتنازع قادتهم وصار أمرهم شتّى، فاصبحوا اقطاباً متباينة.

وسط هذا الصراع في الرأي والقرار انبرى عمر بن الخطّاب وهدّد وتوعّد سعد بن عبادة وأتباعه.

وقد برّر عمر بن الخطّاب موقفه يوم السقيفة بقوله:

«فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتّى تخوّفتُ الاختلاف..»[(١)].

مواقف تَلَت أُخرى، وأحداث تتابعت يطفو بعضها على بعض، والمحصّلة النهائية كلّها هو اغتصاب حقٍّ معيَّن، ونسيان واضح لوصيّة نبيِّهم العظيم ﷺ، حتى لا يلزموا أنفسهم بالإذعان لحقٍّ ولاية عليٍّ عليه السلام.

عليّ عليه السلام يكشف أوراق المحتجّين جميعاً ومراميهم في رسالةٍ له الى معاوية: « **ولمَّا احتجَّ المهاجرون على الأَنصارِ يومَ السقيفة برسولِ الله ﷺ فَلَجُوْا عليهم، فإن يكُن الفَلَجُ[(٢)] به فالحقُّ لنا دونكُمْ، وإن يكُنْ بغيره فالأَنْصارُ على دعواهُم** »[(٣)].

يوم السقيفة هو اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ وتنازع القوم

(١) معالم المدرستين: ١ / ١٥٥.

(٢) الفَلَج ـ كفَرَس ـ الغلبة والظفر.

(٣) نهج السعادة: ٤ / ١٩٥.

المتخلِّفون عن جيش أُسامة مع الأنصار حول استخلاف النبيّ ﷺ، فاحتجّ المهاجرون بأنّهم عشيرة رسول الله ﷺ وأهله، وأفلحوا بانتزاع الأمارة من خصومهم، وعليّ هنا يحتجّ على معاوية بذلك النزاع بمعنى «إن كان اختصاص الخلافة وتعيّنه من جهة القرب برسول الله ﷺ فهي لي؛ لأنّي أقرب إليه من الجميع. وإن كان استحقاق الخلافة واختصاصها من أجل جهةٍ أُخرى فالأنصار على دعواهم، فهم ظالمون في التقمّص بقميص الخلافة على التقديرين أمّا على الأوّل فلأجل غصبهم حقّي، وأمّا على الثاني فلأجل ردِّهم دعوى الأنصار وغلبتهم على أمرهم بلا استحقاقهم!»[(١)].

فإذن حجّة الإمام عليٍّ عليه السلام في رسائله مع معاوية كانت دامغةً لا تقبل التأويل كما يذكرها الإمام عليه السلام: «فنحنُ مرّةً أولى بالقرابةِ، وتارةً أولى بالطاعة»[(٢)].

فما احتج به ابو بكرٍ وعمر وأبو عبيدة على الأنصار بالقرابة لا يعود إليهما، واحتجاجهم هذا ألزمهم الطاعة والانقياد لعليٍّ عليه السلام بإقرارهم على أنفسهم، فالقرابة ليست لهم، إنّما لعليٍّ عليه السلام وأهل بيته، لكنّهم أرادوا من حوارهم الصاخب الالتفات على موقع الأنصار والانتصار على موقفهم ودحض أيِّ حجّةٍ لهم تدعمهم لاستلام الإمارة ثم إغماط حقِّ عليٍّ عليه السلام في ذلك.

إنّها إدانة واضحة لمن ادّعى القرابة من رسول الله ﷺ! وهو ليس كذلك، فعلي عليه السلام حينما اقتيد من بيته وطلبوا منه البيعة لأبي بكر قال بصريح العبارة: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعُكم وأنتم أولى بالبيعة لي! أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيّ ﷺ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً!

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٩٥.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٩٥.

ألستم نازعتم الأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد ﷺ منكم، فأعطوكم المقاده وسلّموا إليكم الإمارة؟! وأنا احتجُّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار نحن أولى برسول الله ﷺ حيّا وميتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون!»[١].

الحق المغصوب:

ظلَّ الإمام عليّ عليه السلام يثبّت حقائق تأريخيةً جرت بعد وفاة رسول الله ﷺ في أغلب رسائلة مع معاوية، وأكّد بالذات على ما بعد مؤتمر السقيفة الخياني؛ لكي يردّ كيدَ كلِّ كائدٍ مضرٍ وكاذب الى نحره ويوضِّح حقائق الأُمور لمن فاتته المعرفة أو غفل عنها من أنّ حقّه في الخلافة قد اغتُصِبَ، والصورة دوّنها في رسائله أنّه «لمّا قَبَضَ [الله] نبيَّهُ ﷺ قَالَتْ قُريشُ: مِنّا أَميرٌ، وقَالَت الانصار: مِنّا أَميرٌ، فقَالَتْ قُريشُ: مِنّا مُحمَّدُ رسُولُ الله ﷺ فنحنُ أَحقُّ بذلك الأَمْرِ، فعرفت ذلك الأنصارُ فسلَّمتْ لهمْ الولاية والسلطانَ، فإذا استحقُّوها بمُحمَّدٍ ﷺ دون الأنصار فإنَّ أَوْلى النّاسِ بمُحمَّدٍ ﷺ أحقُّ بها منهم، وإلّا فإنَّ الأنصار أعظمُ العربِ فيها نصيباً، فلا أدري أصحابي سلَّمُوا من أَنْ يكُوْنوا حقِّي أَخَذُوْا، أو الأنصار ظَلَمُوا؟! بل عَرفْتُ أَنَّ حَقِّي هو المأخُوْذُ، وقد تركتُهُ لهم، تجاوزَ اللهُ عنهم»[٢].

نعم، لم يجرِ في التأريخ ظلمٌ لبيتٍ أو أسرة أعظم من الظلم الذي نزل بأهل بيت النبوّة ﷺ.

---

(١) بيت الأحزان في مصائب النسوان للشيخ عباس القمّي: ص١١٦، وذكر ذلك أيضاً العسكري في معالم المدرستين: ١ / ١٦٨ مع مصادره التأريخية (يمكن مراجعتها) وذكره بالتفصيل ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١ / ١١.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٨٢.

هذا عمّار بن ياسر يخاطب القوم «يا معشر قريش، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم ها هنا مرّةً وها هنا مرّةً فما انا بآمنٍ من أن ينزعه منكم فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله!»[1].

وهذا المقداد يقوم فيها خطيباً قائلاً: «ما رأيت مثل ما أُوذي به أهل هذا البيت بعد نبيّهم، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وما أنت وذلك يا مقداد بن عمرو؟ فقال: إنّي والله لأُحبُّهم لحبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاهم، وإنّ الحقَّ معهم وفيهم، يا عبدالرحمن، أعجبُ من قريش ـ وإنّما تطوّلهم على اناس بفضل أهل هذا البيت ـ قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله بعده من أيديهم، أما وأيمُ اللهِ يا عبدالرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتُهم كقتالي إيّاهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر!»[2].

أيّةُ مقالةٍ بعد هذه الحقائق الثابتة التي عرضها الإمام عليه السلام في رسائلة مع معاوية تستطيع أن تثبت أمام هذه الكلمات الصادقة بالاضافة الىٰ الشواهد الحيّة التي صرّح بها ناصروا الحقّ والناطقون بالصدق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله العظام؟!

وهل هناك مردّ لمعاوية في ذلك؟ فقد أدركها حيّاً، وعاش أحداثها كاملةً، ودمغته فيها رسائل عليٍّ عليه السلام التي كشفت كلّ شيء، بأيّ شيءٍ بعدْ يُلبسُ معاوية الحقائق على المجتمع؟! إنّه لا يهمّه أمر ذلك سواء أُطرح أم لم يُطرح، سوى أنّ أهل الشام يجب ألا يعرفوا تلك الحقائق، وأن يكونوا دائماً في غفلةٍ منها، وإلّا أنقلب السحر على الساحر!

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٤٣.

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٣٤٣.

أحلب حلباً لك شطره...:

في نظرةٍ بعيدةٍ أطِلّ من خلالها الإمام عليّ ﷺ على مستقبل الحوادث والأُمور التي سوف تجري بعد حدث السقيفة، لقد عبّر سيّد الموحِّدين ﷺ عما يجيش في صدره بكلامٍ مختصرٍ واضح؛ حين وجّه خطابه الى عمر بن الخطّاب الذي أبتدأ بمخاطبة الإمام عليٍّ ﷺ قائلاً له: إنّكَ لستَ متروكاً حتى تبايع (أي يُبايع أبا بكر)! فقال له الإمام علي ﷺ: «**أحلب حلباً لك شطره، وأشدد له اليوم أمرَه يردّه عليك غداً، ثمّ قال: واللهِ يا عمر، لا أقبل قولك ولا أُبايعه!**»[1].

أي أنّ ما تستجلبه الآن من بيعةٍ لأبي بكر هو لك قسماً منه! وما تشدّ به أزرَه الآن سيردّه عليك بالغد، أي أنّك ستنصَّب خليفةً لأبي بكرٍ من بعده!!

وهذا ما حصل بالفعل، حيث أوصى أبو بكرٍ بالخلافة من بعده الى عمر، كما جاء في عهده المعروف: «إنّي استخلفتُ عليكم عمر بن الخطّاب، فإن تروه عدل فيكم فذلك ظنّي به ورجائي فيه، وإن بدَّل وغيَّر فالخير أردتُ، ولا أعلم الغيب»[2].

هذا ما أدركه عليٌ ﷺ عن قناعةٍ تامّةٍ بأنّ اللُعبة قد أُحكِمت خطّتها، كما جاء ذلك في ما بعدُ في خطبته الشقشقيّة: «**حتّى مَضَى الأَوَّلُ لسبيلة، فأَدلى بها إلىٰ ابْنِ الخطّاب بعده... فيا عجباً بيْنَا هو يستقِيلُها في حياته إذْ عَقَدَهَا لآخر بعد وفاته...!!**»[3].

* * *

---

(١) الإمام والسياسة: ١ / ١١.

(٢) الإمامة والسياسة: ١ / ١٩.

(٣) تصنيف نهج البلاغة: ٤٤٤.

الفصل الثاني

ادّعاءات واهية
وشهادة حقٍّ من عدوّ

ادّعاء باطل وقصور واضح:

بعد أن عرض الإمام عليّ عليه السلام أغلب الحقائق، ووجد أنّ معاوية لا يزال يتمادى في غيِّهِ يقلّب الأُمور كيفما تتناغم مع نفسه الشرِّيرة توجّه الإمام عليه السلام إليه بخطابٍ في إحدى رسائله كناصحٍ ومرشدٍ ومذكّرٍ في الوقت نفسه، قائلاً له: «ألا تَرْبَعُ أَيُّها الإنْسَانُ على ظلعك، وتعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ وتتأخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ القَدَرُ، فَما عَلَيْكَ غَلَبَةُ المغلوب ولا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ؟!»[1].

إنّ ذلك كان «استفهاماً على سبيل التشبيه له على قصوره عن درجة السابقين، واستعارَ لفظ «الظَّلع» لقصوره، ووجه المشابهة قصوره في اللحاق برتبة السابقين كقصور البعير الظالع عن شأوِ الظليع»[2].

كان معاوية يتحدّث دائماً عن الصحابة الأوائل في رسائله، ولهذا أوقفه الإمام عليه السلام عند حدّه وقال له بما تضمّنه خطابه: ما أنت يا معاوية وأُولئك الأوائل تتحدّث عنهم في رسائلك؟! أولاً: انظر الى قصورك في اللحاق بشأن صغيرٍ من شؤونهم، وموقفٍ من مواقفهم. وثانياً: لا تدّعي أمراً ليس لك فيه شأن، وليس لك غلبة مغلوب، ولا ظفر المنتصر الفاتح.

ثمّ وضّح له الإمام عليه السلام سلبية ما ادّعاه في رسالةٍ أُخرىٰ قائلاً له: «وَاعلَمْ يا

---

(١) مصادر نهج البلاغة للسيد عبدالزهرة الخطيب: ٣ / ٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه.

مُعاوِيَةُ إِنَّكَ قد ادَّعَيتَ أَمْراً لَسْتَ من أَهلِهِ لا في القِدَمِ ولا في الولاية، وَلَستَ تَقُولُ فيهِ بأمرٍ بيِّنٍ تُعرَفُ لكَ به أثرةٌ، ولا لك عليه شاهدٌ من كتاب اللهِ، ولا عهدٌ تَدَّعيهِ من رسول اللهِ »(١).

بيان مفصَّل عن واقع حال معاوية الذي ادّعى ما ليس له، حيث لا سابقة له في الإسلام ولا قرابة، ولا أفعال حميدة، ولا مكرمة متوارثة، بل نقص فاضح، وأعمال شرّيرة، وتآمر وخيانة للإسلام وأهله، وكلّ شيءٍ بائن ومعروف ولا خلاف فيه، ودعماً لتلك الحقائق نورد بعض ما جاء في إحدى رسائل أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لمعاوية: « ولَمَّا أدْخَلَ اللهُ العربَ في دين أفواجاً، وأَسلَمتْ لَهُ هذِهِ الأُمَّةُ طوْعاً وكرهاً كنتم ممَّنْ دخَلَ في الدِّينِ إمَّا رغبةً وإمَّا رَهْبَةً، عَلَىٰ حين فَازَ أَهْلُ السَّبقِ بسبقِهِمْ، وذَهَبَ المهاجرُونَ الأَوَّلُونَ بفَضْلِهِمْ، فلا تَجْعَلَنَّ للشَّيْطَانِ فيك نصيباً، وَلَا على نفسك سبيلاً »(٢).

كشف الإمام عليّ عليه السلام عن واقع معاوية ووضعه في الميزان فكأنّه يقول: هناك من أسلم طوعاً، وهناك من أسلم كرها، خصوصاً بعد أن ضرب الإسلام بجرانه، وفتح المسلمون مكّة، متوخّياً من ذلك الإشارة الى أبي سفيان ومعاوية ورهطهم، حيث إنَّ الخوف من الموت هو الذي دفع بهم الى قبول حقيقة الدين الاسلامي على مضض. ثمّ حذّر الإمام عليه السلام معاوية: أن لا تدقّ أُسفين النفاق في قلب الواقع والحقيقة وتدّعي ما ليس لك به أدنى منزلة، فالسابقون من المسلمين لهم فضلهم ومكانتهم التي شرّفهم بها الدين الحنيف.

بعد ذلك يتساءل الإمام عليّ عليه السلام « ومتى كنتم يا معاوية ساسةً للرعية، أو

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٤٧.

(٢) نهج البلاغة ـ تحقيق الصالح ـ: ص ٣٧٥.

ولاةً لأمر هذه الأُمَّةَ بغير قدمٍ حسنٍ ولا شرفٍ سابقٍ على قومكم... »[1].

ثمّ يشير أمير المؤمنين عليه السلام الى أهمّ مسألةٍ من مسائل الخلاف، حيث يحتجّ بها الإمامية من أنّ الإمام والخليفة الحقّ والوصيّ هو المنصوص عليه والمنصوب من قبل الله ورسوله، وفي ذلك العشرات من الأحاديث المسندة الصحيحة والمعتبرة في كتب العامة والخاصة، وإلى ذلك يكمل الإمام عليّ عليه السلام رسالته بجملٍ تحمل معانٍ اعتقاديةً لا يمكن إنكارها أو التغافل عن حقيقتها « واعلم (أي يا معاوية): أَنَّ الأَمْرَ لَو كانَ إلىٰ النّاس أَو بأَيْديْهم لحسدُوْناهُ وامتنُّوا بِهِ عَلَينا، ولكِنَّهُ قَضاءٌ ممَّن امْتَنَّ به علينا على لسان نبيِّه الصادِقِ المصدِّقِ، لا أَفلح من سكَّ بَعدَ العرفان والبيِّنةِ »[2].

لم يستطع معاوية مواجهة تلك الحقائق وأدار ظهره لها، وولّى يبحث في جوابه على تلك الرسالة الآنفة الذكر عن أمورٍ لا ترتبط أصلاً بصلب الموضوع، محاولاً قلب الحقائق، ولافتاً الأنظار الى جوانب أُخرى اختلقتها أفكاره الخبيثة، حيث قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «ولا تُفسِد سابقةَ جهادِكَ بِشرَّةِ نَخوَتك، فإنَّ الأعمال بخواتيمها، ولا تُمحِّص سابقتَك بقتالِ من لا حقّ لك في حقّه، فإنَّك إن تفعل لا تضرّ بذلك إلّا نفسك، ولا تَمحَقُ إلّا عَمَلَك، ولا تُبطل إلّا حجّتك، ولَعَمري إن ما مضىٰ من السابقات لشبيهه أن يكون ممحوقاً، لما اجترأت عليه من سَفْكِ الدماء وخلافِ أهل الحقّ، فاقرأ السُّورة التي يُذكر فيها الفَلَق وتعوَّذ من نفسك

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٤٨.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٢٤٨. وروى نصّ الرسالة مع اختلاف يسير ابن أبي الحديد: ١٥ / ٨٦، وذكرها نصر بن مزاحم في وقعة صفّين على اختلاف الطبعات: ص١٠٨، وفي طبعةٍ أُخرى: ص١٢١.

فإنّك الحاسد إذا حَسَد»[١].

التمييز والمميّز:

أنتهج معاوية أُسلوباً آخر في رسائله، اصطبغ بالتمييز بين صحابيٍّ وآخر، وإعطاء الدرجات لهم وتقسيم منازلهم، أو إثارة نعراتٍ عصبية، أواستثارة الناس من أُمور قد جرت لا علاقة له فيها، وعلى ضوء ذلك اتّهم الإمام علياً عليه السلام بأنه قد حَسَدَ هؤلاء الصحابة ولم يُعينهم في أُمورهم، وهذه هو خلاف الواقع تماماً، وخلاف ما جرت عليه الأحداث، وهذه رسالة معاوية مع ابي أُمامة الباهلي يذكر فيها قائلاً: «قد حسدت أبا بكر والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابةً من الناس حتى تأخّروا عن بيعته، ثمّ كرهت عمر وحسدته، واستطلت مدّته وسررت بقتله، وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى أنّك حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه، ثمّ لم تكن أشدّ منك حسداً لابن عمّك عثمان، نشرت مقابحة وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه، ثمّ في دينه، ثم في سيرته، ثمّ في عقله»[٢].

إنّ سرد معاوية لحوادث قد مضت وشهدها بعض مَن ذكرهم معاوية ولم يتعرّضوا لها كما تعرّض لها معاوية وعددها، وأضاف عليها منمّقاً كلامه فيها مُدبلِجاً أحداثها هدفه منها خلط الاوراق، فهي أوّلاً: ليست له فيها شأن أو مسؤولية أدّعاء عليها، وثانياً: أثبتت الوقائع أنّ علياً عليه السلام كان لا يألوا جهداً في تقديم النصح أو الاستثارة للخلفاء الذين سبقوه وطالما هبّوا إليه بأن يحلّ

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥ / ٨٧.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٨٩.

معضلاتهم العسرة؛ ومع ذلك فقد ردَّ الإمام عليّ عليه السلام أدّعائه على نحره في رسالةٍ بعثها مع أبي أُمامة الباهلي قائلاً له: «وزعمتَ أنَّ أَفضل الناس في الإسلام فلانٌ وفلانٌ، فذكرتَ أَمراً إِنْ تمَّ اعتزلك كلّه، وإنْ نقص لم يحلقك ثَلْمُهُ، وما أنتَ والفاضل والمفضول والسائس والمسُوسَ، وما الطلقاء وأبناء الطُّلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حَنَّ قدحٌ ليس منها، وطفق يحكمُ فيها من عليه الحكم لها»[١].

يقولون: «إذا لم تستحِ فافعلت ما شئت»، وهذا الكلام ينطبق تماماً على مواقف معاوية ومزاعمه الباطلة، وإلّا لو كان قد خجل من ماضيه الذي لا يرقى أبداً الى ماضي المهاجرين والأنصار من صحابة النبي صلى الله عليه وآله مهما ادّعى وأسدل على ماضيه الصور الجميلة، الى هذا يذكِّره الإمام علي عليه السلام بأنّ من يتعرّض الى أمرٍ كهذا من حيث التمييز والتقويم والحكم وإفراز الفاضل عن المفضول وترتيب الدرجات للصحابة والتحدّث عنهم لابدّ وأن يكون على أقلّ تقديرٍ من سنخهم وطبقتهم، وليس من «المؤلَّفةِ قلوبُهُم» كما عرّفهم القرآن، ولا من الطلقاء وأبناء الطلقاء كما سمّاهم النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا يمكن لعاقلٍ أن يقبل بشخصٍ يفاخر بقومٍ هو ليس منهم بشيء، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على حالة الضعف والقصور الذاتي لدى معاوية، ولهذا قال له الإمام علي عليه السلام كما ذكرت في بداية الموضوع: «ألا تربَعُ أيّها الإنسان على ظلعِكَ، وتَعْرِفُ قُصُوْرَ ذَرْعِكَ، وتتأَخَّرُ حيث أخَّرك القدرُ»[٢]، أراد أمير المؤمنين سحب ما تبرقع به معاوية أمام الآخرين لتزيين صورته وتأريخه الأسود، فأعلمه أن لا ينسى انحطاط رتبته وقلّة قدره، وأنّ

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٩١.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٩٢.

عليه الوقوف عند الحدود التي لا تسمح له بالتقدم أكثر من موقعه، ومع ذلك يؤكّد له الإمام عليّ عليه السلام في نفس هذه الرسالة «فـانَّكَ لَـذَهّابٌ فـي التَـيْه روَاغٌ عـن القصد»[١]، أي أنّك يا معاوية في ضلالٍ بعيدٍ عن العدلِ والحقّ.

الواقع المظلم:

غريب أمر معاوية! يتحدّث وكأنّه خاض الغمار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مـنذ اليوم الأول لبعثته المباركة، ويتحدّث وكأنـه السـيف الذي حـارب بـه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشركين في بدرٍ واُحدٍ والخندق وخيبر وفتح مكّة وبقية الغـزوات او المواقف القتالية، علماً بأنّه يوم فتح مكّة كان ولا زال عـلى شـركِهِ، ورغـم ذلك يقول للإمام علي في رسالةٍ له: «أمّا بعد، فدعني من أساطيرك، واكفُفْ عنّي من أحاديثك، وأقصر عن تقوّلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفترائك من الكـذب مـا لم يقل»[٢].

حديث يتبعه حديث، وكلام يحتاج الى تعقيب!

أَلِعليٍّ عليه السلام هذه الصفات، أم لمعاوية أم أنّها «حالة إسقاطية» كما يُعبَّر عنها في علم النفس؟! أي أنّ الإنسان ـ أيّ إنسانٍ كان ـ في حالة مجابهةِ عدوٍّ أرفع منه مستوىً وكرامة، وأرقى شأناً بحيث لا يستطيع أن يصل الى قدره مـهما سـعى، يعمد هذا الإنسان الى تشويه سمعته وتلويث كرامته فـي المـجتمع عـن طـريق إسقاطه عن أعين المجتمع بإلصاق التُهم وتشويه سمعته في حين هو يحمل تلك الصفات كي تغطي عيوبه أي ما في نفسه يسقطه علىٰ غيره، والحقيقة أنّ ما تكلّم

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٩٢.

(٢) المصدر السابق: ص٢٠٧.

به معاوية في رسالته يعود مردوده عليه، فهو الذي تقوّل على رسول الله وافترى عليه الكذب، والأمر لا يحتاج الى بيانٍ أكثر.

لقد تقمّص معاوية شخصية أفضل الصحابة وأقواهم في الله ورسوله، وأفضلهم منزلة، محاولاً إيهام الآخرين باطلاً. فعلي عليه السلام تشهد له كلّ المواقف التي مرّت على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعاوية يعرّفه تأريخه المظلم هو وأهله الذين سنتحدّث عنهم لاحقاً إنشاء الله تعالى.

حاول معاوية محوّ آثاره الماضية مع أهله والتغطية على واقعهم السيء الصيت وانبرى لإطلاق صفاتٍ مشينةٍ وتُهمٍ تتمثّل به وإلقاصها بغيره، حيث يقول للإمام عليٍّ عليه السلام: «فما أعظم الرين على قلبك والغطاء على بصرك، والشَرَه من شيمتك [الى أن يقول:] فأربع على ظلعك، وقِس شبرك بفترك لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال بحلمه ويفصل بين أهل الشكّ علمه؟»[١].

بعد أن عرضنا الرسالتين المتقدّمتين ندخل في تفاصيل المضامين الواردة فيهما.

لقد اهتمّ الإمام عليه السلام بناحيةٍ مهمّة في مضامين الرسائل، وهي معالجة أُسلوب معاوية الشيطاني في تطرّقه التصوير الوقائع والحقائق وواقع أهله ورهطه، والذي طالما يتهرّب منه معاوية لئلّا يعلم أهل الشام ذلك التأريخ الأسود، حيث قال له الإمام علي عليه السلام: « أنت وأوليائك أولياء الشيطان الرجيم».

هذا من جانب. أما الجانب الآخر فقد أعطاه صفاتٍ وألقاب تليق به وتدحض ما أدّعاه لنفسه من علمٍ ومعرفةٍ وحلم، فقال له « يا بن صخر اللعين، زعمت أن يزن الجبال حِلمُك ويفصل بين أهل الشكّ علمك، وأنت الجِلفُ المنافقُ

---

(١) المصدر السابق: ٤/٢٠٨.

الأغلف القلب، القليل العقل، الجبانُ الرَّذلُ »[١].

تهديد أجوف:

إنّ معاوية في كلّ كتاب يرسله يُظهر نفسه مرّةً زاهداً عابداً وأخرى مسلماً ومجاهداً مثابراً وثالثةً ناصحاً ورِعاً ومقاتلاً شرساً، وما الى ذلك ممّا تضّمنته كتبه التي غُلِّفت بالزيف والمكر وأضْحَكُ ما جاء في كتب معاوية تهديده لعليٍّ عليه السلام بالسمّ الزعاف والموت الزؤام وبالصناديد المتجفلة، وكلّ ذلك عارٍ عن الصحة، حيث يقول لعليٍّ عليه السلام «فلَعَمري يا بن أبي طالب، لولا الرحم التي عطفتني، والسابقة التي سلفت لك، لقد كان (كذا) اختطفتك بعض عقبان أهل الشام فيُصعد بك في الهواء ثمّ قذفك على دكادِك شوامخ الأبصار، فالفيت كسحيق الفهر، على مسنّ الصلابة[٢] لا يجد الذرُّ فيك مرتعاً»[٣].

الطريف في الأمر أنّ التهديد هو لفارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي الحق الهزيمة بابطال الوثنية من العرب، والذي لا يخيفه شيء سوى الله سبحانه وتعالى.

ثمّ يستمرّ معاوية في التمثيل ويقول: «لأوردنَّك مورداً تستمرّ الندامة إن فسح لك في الحياة، بل أظُنُّك قبل ذلك من الهالكين، وبئس الرأي رأيٌ يُورِد أهله المهالك، ويمنّيهم العَطب الى حينَ لاتَ مَناص»[٤].

ثمّ يصف نفسه ممثِّلاً للحقّ، وعلي عليه السلام صورة للباطل، وأنّ الله قذف

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٠٩.

(٢) وصف لما يقع على وسط الحجر الصلب مثل الحجر الذي يحدّ عليه السكّين، بحيث أنّ (الذرّ) وهو صغار النمل لا يجد له مرتعاً يأخذ منه أيّ شيء.

(٣) نهج السعادة: ٥ / ٢٩٠.

(٤) نهج السعادة: ٥ / ٢٩٠.

بمعاوية الحقّ على علي عليه السلام الباطل ليدمغه، كما جاء ذلك في رسالته: «وقد قذف بالحقّ على الباطل، وظهر أمر الله وهم كارهون، ولله الحجّة البالغة والمنّة الظاهرة»[1].

ما أكثر وأعظم حلم عليٍّ عليه السلام على افتراءاتٍ كهذه من معاوية، وما أقسى ذلك على قلب عليٍّ سماع كلماتٍ منمّقةٍ لا تفصح عن واقع حالِ معاوية يصدرها الى رجلٍ يعرف واقعه، وصغر حجمه وكذبه؛ ومع ذلك يجيبه الإمام عليه السلام بما لفظه قائلاً له:

أولاً: «أمّا بعد، فقد اتانا كتابك بتنويق المقال».

وثانياً قال: «وضرب الامثال».

وصفة ثالثة هي: «وانتحال الأعمال».

هذه هي الخطوط الرئيسية التي اعتمدها كتاب معاوية لعليٍّ صنفها الامام عليه السلام ليعيدها عليه مع أجوبتها حيث يقول له عليه السلام:

أولاً: «تصف الحكمة ولستَ من أهلها».

وثانياً يقول: «تذكر التقوى وأنت ضدّها».

فمعاوية ليس من أهل الحكمة والتقوى والإيمان حتى تكون له تلك الشخصية الدينية والسياسية والقدرة النفسية على مواجهة علي عليه السلام بتلك الكلمات المنمّقة لفظاً والمحشوّة دجلاً، فمعاوية قد عشق الدنيا وعشقته، واتّبع هواه وسار على درب الغواة بطريقته الخاصّة وفق نهج آبائه منحرفاً عن جادّة السلام والحقّ، وأكّد ذلك كلامه الذي أرسله في كتابه بأنّه خارج عن الدين والإيمان حيث لو كان يوقن بالآخرة لاستقام أمره وعاد عن غيّه وخروجه عن

---

(١) المصدر السابق: ص٢٩١.

الإمام الحقّ والخليفة الشرعي، وقد وصفه عليّ عليه السلام ذلك الوصف الدقيق قائلاً له: « قد عقدت التاج »، ثمّ « ولبست الخزَّ »، ثمّ بعد « وافترشت الديباج ».

هذه هي صفات أهل الدنيا والذين لا يؤمنون بالآخرة ولا المعاد، فجعلها كما عبَّر عنها عليّ عليه السلام:

«سُنَّةً هرقليَّةً»، « وَمُلْكاً فارسياً ».

كان هذا رأي الخليفة عمر بن الخطّاب أيضاً، إلّا أنّه للأسف الشديد لم يعزله وينقذ الأُمّة الإسلامية من شرّه الذي أودى بالإسلام والمسلمين في وادٍ سحيق، وما نفع دولةً عظمى تمتدّ شرقا وغرباً إذا كانت لا تنعم بمبادئ الإسلام العظيم.

لقد «كان عمر بن الخطّاب إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب»[1].

ومرّةً «دخل معاوية على عمر بن الخطّاب وعليه حُلَّةٌ خضراء، فنظر إليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه ومعه الدرَّة، فجعل ضرباً لمعاوية يقول: الله الله يا أمير المؤمنين! فيمَ فيمَ؟ قال: فلم يكلِّمه حتى رجع فجلس في مجلسه»[2].

وارث الضلالة:

بالإضافة الى كلّ الأعمال المذكورة والتي ابتدعها معاوية في حكمه سنَّ سنةً انحرف فيها عن مبادئ الإسلام وأُصوله، حيث عقد الولاية من بعده لابنه الفاسق الفاجر يزيد، وقد صرّح بهذا الأمر وخطط له وبدأ محاولاته إبّان ولايته، وقد أخبره بذلك الإمام علي عليه السلام قائلاً له: « ثمَّ لَمْ يُقْنِعْكَ ذلك، حتى يبلُغنيْ أَنَّكَ

(١) و(٢) المختصر في تاريخ دمشق: ٢٥ / ١٩.

تعقدُ الأمْرَ من بعدكَ لغيرك، فيملكُ دُونكَ وتُحاسبُ دُونَهُ، ولَعَمري لئن فعلت ذلك فما وَرْثتَ الضَّلالةَ عن كلالةٍ[١]، وإنَّك لابنُ من كان يبغي على أهل الدِّين، ويحسُدُ المسلمينَ »[٢].

الملك عقيم لدى أهل الدنيا:

سبق وأن أشرنا الى رسالة معاوية التي يُظهر فيها عطفه على الامام علي عليه السلام لرَحمٍ عشائريٍّ قديم، كقوله: «فَلَعمري يا بن أبي طالب لولا الرحم التي عطفتني.. الخ»[٣]، وإنّه لولا تلك الصلة لعمل به ما عمل، وهذا في الحقيقة منافٍ لما هو عليه معاوية من حبٍّ للسلطة واستماتةٍ في سبيلها، ولولا هذه لما خاض الغِمار من أجلها، ولَما أزهق أرواح عشرات الالآف من المسلمين والمؤمنين ومن خيار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام من أجل البقاء على كرسي الإمارة، وأفضل من أجاب معاوية باللغة التي يفهمها رجل خَبر معاوية وعرف أهدافه وطموحاته، وهو علي عليه السلام الذي قال له: « وذكرت رَحِماً عطفتك عليَّ، فأُقسم باللهِ الأعزِّ الأجَلِّ أَنْ لو نازعكَ هذا الأمرَ في حياتِكَ مَنْ أَنْتَ تُمهِّدُهُ لَهُ بَعْدَ وفاتكَ لقطعْتَ حَبْلهُ، وأَبَنْتَ أَسْبابَهُ »[٤].

بهذا التوضيح البليغ افتضح أمر معاوية وبان كذبه؛ لأن الإمارة التي استقلّ بها معاوية لو نازعه فيها من يمهّد له الأمر من بعده ـ يعني ابنه يزيد ـ لقتله شرّ قتلة، فما يدّعيه معاوية هو مجرد هَوَسٍ كلاميٍّ وخيال مريض، وادّعاء واهٍ

(١) أي أنّك أخذت الضلالة من قريب النسب، من أبيك وقومه.

(٢) نهج السعادة: ٦ / ٢٩٢.

(٣) المصدر السابق: ٥ / ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق: ٥ / ٢٩٢.

وباطل.

ماضٍ تليدٍ وتأريخ مخجل:

في الواقع أنّه لا يمكن المقارنة بين ماضي علـيٍّ عليه السلام الإسـلامي المـجيد الخالد وتاريخ معاوية المخجل، كما لا يمكن التصديق أنّ معاوية كـان يـمتلك شجاعةً يشار اليها بالحديث والتعريف، ولا يمكن لمَثَلٍ يُضرَب فـي الشـجاعة والفصاحة والتقوى إلّا وسهم عليٍّ عليه السلام الاول في ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ممّا لا غبار عليه باتّفاق المؤالف والمخالف من المسلمين وغيرهم، فأمّا أن يهدّده معاوية «بالموارد المهلِكة» كما عبّر بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فهو ابتزاز وتـهديد فارغ لا أساس له أبداً، ويدمغه جواب عليٍّ عليه السلام حينما قال له باختصارٍ تامّ المعنى « فأنا عبدُالله عليُّ بْنُ أَبي طالب ».

لقد كان كلامه عليه السلام أوضح بيانٍ وأجزل لفظٍ وأعمق مـعنىً كأنّـه عليه السلام يـريد القول إنّك يا معاوية تعلم جيّداً ماهية صاحب هذا الاسم، فحينما يقول عليّ يعني الإسلام والقرآن، يعني أخا رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه وبطله في الصعاب، ولا غرو في ذلك، إذن يا معاوية «أبرز إليَّ صفحتك» كما قال علي عليه السلام، وهذا سيف سلِّط على رأس معاوية، حيث إنّ كلام عليٍّ عليه السلام يطلب بوضوح من معاوية بأن يُـرِي صفحته للعيان، ولا يفعل ذلك! حيث لم يُعرف له شأن بطولي أو شجاعة تضرب بها الامثال! بل العكس عُرف عنه الجُبن، وارتعاد الفرائص عند سماع اسم علي بن أبي طالب.

هل يستطيع معاويةٍ أن يدّعي أمراً ليس له فيه شأن؟

وماذا يُعلّقُ عليه لو قال: أنا معاوية بن أبي سفيان؟

إنّها منازلة خاسرة حتما.

وهذه رسالة علي عليه السلام الى معاوية تؤكد الحقيقة:

«كلّا وربِّ البيتِ ما أَنت بأبي عُذْرٍ عِنْدَ القتال، ولا عِنْدَ مناطحةِ الأبْـطالِ، وكأنّي بك لو شهدتَ الحربَ وقد قامت على ساقٍ، وكشّرت عـن مـنظرٍ كـريةٍ، والأرواحُ تُختَطف اختطافَ البازِيِّ زَغِبَ القـطا لَـصِرْتَ كـالمُهوَّلهةِ الحـيرانـة تَضْرِبُهَا العبرَةُ بالصَّدْمَةِ لا تَعرِفُ أَعلى الوادي من أسفلِهِ، فدع عَنْكَ ما لستَ مـن أَهلِهِ فإنَّ وَقْعَ الحُسامِ غَيْرُ تشقيق الكلام، فكم عسكرٍ قد شـهدتُهُ وقـرنٍ نـازلتُهُ ورأيتُ اصطكاك قريشٍ بين يدي رسُوْل الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أَنْتَ وأبُوْكَ وَمَنْ هُـوَ أَعـلى مِنكُما لي تبعٌ وأَنتَ اليوم تُهدِّدُني»[1].

يقول له أمير المؤمنين عليه السلام: أين أنت يا معاوية من منازلة الابطال، أين أنت حينما تُختطَف الأرواح؟ أين أنت في تلك المواقع؟ وفي بلاغةٍ جميلةٍ واضـحةٍ يعبِّر الإمام عليه السلام عن واقع حال معاوية: «فدع عَنْكَ ما لستَ من أهله...».

لا يمكن لمعاوية أن يجاري من كانت رجالات العرب تـرتعد فـرائـصها وتهتز أركانها حالما تسمع بوجوده في وسط النزال، فما هو حال من لم يُشهَد له بماضٍ باسقٍ ولا قدمٍ راسخٍ في المنازلات كافّة حينما يقابل عليّ عليه السلام؟!

لقد وصفه الإمام عليّ عليه السلام بالمخادع المرواغ، فوضعه كالفريسة الفارَّةِ من الأسد الهصور، ثمّ يصف خوف مـعاوية وارتـعاده مـثل «قـعيدةُ بـنتِ (بـيتِ) البِكْرِ المخدَّرَةِ، يَفْزَعُهَا صَوْتُ الرَّعْدِ»[2].

أنصفك الرجل:

قولةٌ لعدوٍّ عليٍّ عليه السلام وكاشفِ عورته أمامه في النزال أملاً في الخلاص ـ هو

(١) نهج السعادة: ٥ / ٢٩٤.

(٢) نهج السعادة: ٥ / ٢٩٤.

عمرو بن العاص ـ خرجت صادقةً من رجلٍ ما عُرِف الصدق في حديثه إلّا في تقويمه وشهادته لعليٍّ عليه السلام، حيث لم يتجاوز حدود ذلك أبداً، فكان يعلم يقيناً أنّ الآخرة مع عليٍّ عليه السلام، والدنيا عند معاوية، أعجبته صرخة عليٍّ عليه السلام التي يقول فيها « وأَنا عليُّ بن أبي طالب الذي لا أُهَدَّدُ بالقتال ولا أُخَوَّفُ بالنزال ».

هذه الصرخة طالما تكرّرت في الرسائل وغيرها، طالباً من معاوية البراز وإنّهاء المشكلة ففي رسالةٍ بعثها عليّ عليه السلام لمعاوية حينما بلغهُ رسالة معاوية التي يقول فيها «فشمر للحرب، واصبر للضرب فوالله ليرجعن الامر الى ما علمت»[١].

قائلاً له: «فإِنْ كُنْتَ صٰادِقاً فِيْما تَسْطُرُ، وَيُعِيْنُكَ عَلَيْهِ أَخُوْ بَنِيْ سَهْمٍ[٢]، فَدَعِ النّٰاسَ جٰانِباً، وَتَيَسَّرْ لِما دَعَوْتَنِيْ إِلَيْهِ مِنَ الحرب وَالصَّبْرِ عَلَى الضَّرْب، وَأَعْفِ الفريقين من القتال، ليعلم أيُّنا المرينُ على قلبه، المغطّى على بَصَره، فأنا أبُو الحسن قاتل جدِّك وأخيك وخالك، وما أنت منهم ببعيد!»[٣].

وكان عليّ عليه السلام يخرج «كلَّ غداةٍ بصفّين في سرعان الخيل، فيقف بين الصَفّين ويقول: يا معاوية، علام يُقتَل الناس؟ أبرز إليَّ وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غَلَب»[٤].

عند ذلك قال له عمرو بن العاص: «أنصفك الرجل يا معاوية، فضحك معاوية وقال: طمعت فيها يا عمرو، فقال عمرو: واللهِ ما أراه يجمل بك إلّا أن تبارزه، فقال معاوية: ما أراك إلّا مازحاً، نلقاه بجمعنا»[٥].

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٠٨.

(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي.

(٣) نهج السعادة: ٤ / ٢١٠.

(٤) جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام للشافعي: ٢ / ٣٨.

(٥) الإمامة والسياسة: ١ / ١٠٦.

أرتاب معاوية من دعوة عليٍّ عليه السلام له بالمبارزة، كما أرتاب في نفس الوقت من دعوة صاحبه الماكر ابن العاص لتلبية النداء، وجعل ألف علامة أستفهامٍ على أقتراح عمرو بن العاص، وأضمرها في نفسه حتى جلسا يوماً يتسامران، فكشفا عن أنفسهماحقائق أظهرت زيف ادّعاءاتهما السابقة لبعضهما البعض، فـافتضح أمرهما؛ وذلك عندما نظر معاوية الى عمرو بـن العـاص وضـحك فـي وجـهه، فاستغرب عمرو وقال لمعاوية: «ممَّ تضحك أضحك الله سنَّك؟! قال: من حضور ذهنك يوم بارزت علياً إذ اتّقيته بعورتك؟ أما والله لقد صادفته كريماً منّاناً ولولا ذلك لخرم رفغك[1] بالرمح! فقال له عمرو: واللهِ إنّي عن يمنيك إذ دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك ورَبَا سِحرك، وبدا منك ما اكرهُ لك وأنت أعلم به»[2].

هذا، وقد صحّ قول عليٍّ عليه السلام وصدقه بـوصف مـعاوية « بـالجبان الرَّذل » وكانت الحادثة كما يلي: «... أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: أتجبن عن عليٍّ وتتّهمني في نصيحتي إليك؟ واللهِ لأبارزنَّ علياً ولو متُّ ألف موتةٍ في أول لقائه، فبارزه عمرو فطعنه عليّ فصرعه، فاتّقاه بعورته، فانصرف عنه عليّ، وولّى وجهه دونه. وكان عليّ (رضي الله عنه) لم ينظر قطّ الى عورة أحدٍ حياءً وتكرماً، وتنزّها عمّا لا يحلّ ولا يجمل بمثله كرّم الله وجهه»[3].

وخذ ما شئت ـ عزيزي القارئ ـ من المعاني الواضحة في كلامهما! فهؤلاء حكموا المسلمين سنيناً طويلة تحت واجهة خليفة المسلمين وكان عمرو أحـد

(١) الرَّفغُ والرُّفغُ: أصُولُ الفَخذَينِ من باطن وهما ما اكْتَنَفَا أعالي جانبي العانةِ عند مُلتقَىَ أعـالي بَواطِن الفخذين وأعلى البطن، وهما أيضاً أُصول الإبْطَيْنِ وقيل الرُّفغ مـن بـاطن الفـخذ عـند الأُرْبِيَّةِ. لسان العرب لابن منظور: ٥ / ٢٧٠.

(٢) جواهر المطالب: ٢ / ٣٨.

(٣) الإمامة والسياسة: ٢ / ١٠٦.

ولاته وابرز قادته وانصاره واعوانه!!!

ساعد الله أُمّةً عانت من سطوة هؤلاء وألاعيبهم الشيطانية!

وبعد هذا فأيُّ تاريخٍ أو مؤرِّخٍ نزيهٍ شريفٍ يمتدح مواقف هؤلاء ويظهر لهم كرامات ومناقب زيفاً وحقداً للحقّ وأهله، ويزركش صورهم بتلك الألوان الباهتة التي تسأمها العين، وتملّها النفس؟!

أم أين تلك الأصوات المبحوحة التي تنادي باسمهم وترفع شعاراتهم، وكأنّهم نسُوا حُقَباً مظلمةً من تأريخ أسودَ لافراد حكموا باسم الإسلام أمام العالم أجمع؟!

أبو سفيان في صفحاته المشكوفة:

إنّ المحاولات الشيطانية التي قام بها أبو سفيان وولده وأهله لإطفاء نور الاسلام كثيرة لا مجال لحصرها في بابٍ واحد، ابتدأت مع ظهور الدعوة الى دين الله وحتى استخلاف الخلفاء، وقد أجمَلَ الإمام عليّ عليه السلام ذلك التأريخ في رسالةٍ بعثها الى معاوية عندما أراد المسير الى الشام، نقتبس منها النصّ التالي: «أمّا بَعْدُ فإنَّ للهِ عباداً آمَنوا بالتنزيل، وَعَرَفوا التّأْويل، وفقّهُوْا في الدين، وبَيّنَ اللهُ فضلَهُمْ في القرآن الحكيم، وأنت يا معاويةَ وأبوك وأهلك في ذلك الزمان أعداءُ الرَّسُوْلِ، مُكذِّبُوْنَ بالكتاب، مجمِعُونَ على حرب المُسلِمْينَ، من لقيتَمْ مِنْهُمْ حبستموه وعَذّبتُمُوْهُ وقتلتُموْهُ، حتى إذا أرادَ الله تعالى إعزازَ دينهِ وإظهارَ رَسُوْلِهِ دَخَلتِ العربُ في دينه أفواجاً، وأسلمت هذه الأُمّةُ طوعاً وكرهاً...»[1].

لقد كانوا حرباً على الاسلام والمسلمين!!

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢١٧.

نازعوا سيّد الخلق محمداً ﷺ شرَّ نزاع، وألَّبوا عليه قبائل العرب أشدّ تأليب.

قال المقريزي في النزاع والتخاصم عن صخر بن حرب: «أبو سفيان قائد الأحزاب، الذي قاتل رسول الله ﷺ يوم أُحد، وقتل من خيار أصحابه سبعين ما بين مهاجريٍّ وأنصاريٍّ، منهم: أسد الله حمزة بن عبدالمطّلب بن هاشم، وقاتلَ رسول الله ﷺ في يوم الخندقَ أيضاً، وكتب إليه: باسمك اللهمّ أحلف باللات والعزّىٰ وساف ونائلة هُبَل، لقد سرت إليك أُريد استئصالكم، فأراك قد اعتصمت بالخندق، فكرهت لقائي، ولك منّي كيوم أحد»[1].

بهذا الصلف والغرور والكفر يواجه أبو سفيان رسول الله ﷺ، أي إسلام هذا الذي يتّشح به معاوية أمام أنصاره من أهل الشام، وأبوه ذلك الوغد الذي سُطِّرت أعماله آنفاً، وهل يطهر القلب الذي امتلأ بالسمِّ والحقد والكراهية؟ وهل تتغير العقلية التي أظهرت عنجهيتها وجبروتها أمام النبي ﷺ وأبناء الإسلام من الطبقات المستضعفة؟

وهل استفاد أبو سفيان ومعاوية من أنّ «الإسلام يجبُّ ما قبله»، أم أنّهم لازالوا أُولئك النفر الضالّ المُضلّ المحارب للهِ ولرسوله ﷺ؟!

قال ابن الأثير في الكامل: «قال عبدالله بن الزبير: كنتُ مع أبي باليرموك وأنا صبيّ لا أُقاتل، فلمّا اقتتل الناس نظرتُ إلىٰ ناسٍ على تلٍ لا يقاتلون، فركبتُ وذهبتُ إليهم، وإذا أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريشٍ من مهاجرة الفتح فرأوني حدثاً فلم يتّقوني، قال: فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الروم يقولون:

(١) النزاع والتخاصم: ص٢٨ و٥٢؛ الغدير: ٣ / ٣٥٥.

إيهِ بني الأصفر! فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون قال: ويحَ بني الأصفر! فلمّا هزم الله الروم أخبرتُ أبي، فضحك فقال: قاتلهم الله! أبوا إلّا ضغناً، لَنَحن خيرٌ لهم من الروم!»(١).

ومن لا يعرف حقيقة أبي سفيان، وقد فضحه السابقون جميعاً، وعرفوا انحطاطه ومكانته المهزوزة.

هذا محمد بن الخليفة الأول أبو بكر كتب الى معاوية رسالةً قال له فيها: «وأنت اللعين بن اللعين، لم تَزَلْ أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتَبْذُلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خَلَفْته»(٢).

لقد كان ابو سفيان كهفاً للمنافقين، وهو المنافق الأول والأكبر الذي انكشف أمره واضحاً، فمواقفه لم يكن لها أي أثرٍ للدين، بل كانت كلها نفعيّة، ومواقفه جميعها لم يكن فيها لله رضاً طيلة حياته.

وليس هناك أوضح مصداقٍ لكلامنا من الحادثة التي ذكرها أكثر المؤرّخين حينما تسلّط بنو أُميّة على رقاب الأُمّة الاسلامية أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان، حينما مرَّ أبو سفيان بقبر حمزة سيد الشهداء وركله برجله ماثلةً للعيان تحزّ في النفوس!

فلقد تشفّى ابن حربٍ بآل بيت النبوّة عليهم السلام، بل تشفّى برسول الله صلى الله عليه وآله وعليٍّ وحمزة والمؤمنين كافّة، بأن أصبح الذي قاتلوا من أجله وجاهدوا في سبيله أُلعوبةً بيد صبيان بني أُمية في آخر الأمر.

---

(١) الكامل في التأريخ: ٢ / ٧٢؛ الغدير: ٣ / ٣٥٦.

(٢) حجج النهج: ص٣٢٦؛ وقعة صفين: ١١٩.

ياله من اعترافٍ مخزي!

معاوية في أحاديث رسول الله ﷺ:

هذه بعض الاحاديث النبوية الشريفة التي حددت بدقة كاملة موقع معاوية في الدنيا والاخرة بأسانيدها الصحيحة، والتي كشفت القناع عن حقيقة ابن ابي سفيان الملعون عن لسان رسول الله ﷺ.

١ ـ قال إسحاق وبكر بن الهَيْثَم حدثنا «عبدالرَزّاق بن هَمّام أنبأنا مَعْمَر عن ابن طاووس عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: كنت عند النبيّ ﷺ فقال «يطلع عليكم من هذا الفَجّ رجلٌ يموت على غير مِلّتي، قال: وكنت تركتُ أبي قد وُضِعَ له وَضُوء، فكنت كحابس البَوْل مخافة أن يجيئ، قال فطلع معاوية فقال النبي ﷺ هو هذا»[1].

٢ ـ أورد البلاذري الحديث التالي وباسانيده قائلاً، قال رسول الله ﷺ «معاوية في تابوت مقفل عليه في جهنم»[2].

٣ ـ جاء في الرواية عن ابن عمر «أن النبيّ كان جالساً فمر أبو سفيان على بعير ومعه معاوية وأخٌ له، أحدهما يقود البعير والآخر يسوقه، فقال رسوله الله ﷺ [لعن الله الحامل والمحمول والقائد والسائق]»[3]، واضاف المنقري في وقعة صفين «أنت سمعت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وإلا فصَمَّتا أُذناي كما عميتَا عيناي».

٤ ـ عن أبي سعيد الخدري قال «أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية،

---

(١) انساب الاشراف: ٥ / ١٣٤؛ وقعة صفين: ٢١٩.

(٢) انساب الاشراف: ٥ / ١٣٦؛ وقعة صفين: ٢١٩، مع اختلاف طفيف.

(٣) تاريخ الطبري: ١٠ / ٥٨ سنة ٢٨٤ هـ، وقعة صفين: ٢٢٠، انساب الاشراف: ٥ / ١٣٧.

فقلنا له: لا تسُلّ السيف في عهد عمر حتّى تكتب إليه، قال: إنّي سمعت رسـول الله ﷺ يقول: (إذا رأيتم معاوية يخطب على الاعواد فاقتلوه)، قال، ونحن قـد سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب الكتب حتّى مات»[(١)].

وفي حديث آخر عن ابن مسعود قال، قال النبي «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عنقه»[(٢)].

* * *

(١) انساب الاشراف: ٥ / ١٣٦؛ وقعة صفين: ٢١٦.

(٢) انساب الاشراف: ٥ / ١٣٦؛ وقعة صفين: ٢١٦.

الباب الخامس

الفتنة الكبرىٰ

الفصل الأول

إرهاصات الفتنة

وموقف الإمام عليه السلام منها

قبل الولوج في خضمّ أحداث الفتنة الكبرىٰ ـ والتي وردت تفاصيل كثيرٍ منها في الرسائل المتبادلة بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان ـ لابدّ من تقديم استعراضٍ لظروف ومقدّماتِ الأحداث وملابساتها، والتي تعتبر المحور الرئيسي الذي دارت حوله المحاججات؛ حتى يتسنّى لنا توضيح حقائق القضية بصورةٍ كاملةٍ، ودرج أسبابها وآثارها على الدين والمجتمع الإسلامي بما يتسع المجال.

أسباب الثورة والحركة الجماهيرية:

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته الشقشقية: «**إلى أن قَامَ ثالثُ القَوْمِ نافِجاً حِضْنَيْهِ[1] بَيْنَ نَثِيلِهِ[2] وَمُعْتَلَفِهِ[3]، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ (أي بنو أُميّة) يخضمُونَ[4] مالَ الله خَضْمَ الإبلِ نبتَةَ[5] الرَّبِيعِ، إلى أن**

(١) نافجاً حضنيه: رافعاً لهما، والحصن ما بين الإبط، والكشح، يقال للمتكبر: جاءنا نافجاً حضنيه، ويقال لمن امتلأ بطنه طعاماً: جاءنا نافجاً حضنيه.

(٢) النثيل: الروث.

(٣) المعتلَف: موضع العلف، يريد أن همّه بطنه في الأكل والرجيع، وهذا من مُمِضِّ الذم.

(٤) الخَضْم: أكلُ بكلِّ الفم، وضدّه القَضم وهو الأكل بأطراف الأسنان، وقيل: الخضم أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشيء اليابس، والمراد على التفسيرين لا يختلف، وهو أنهم على قَدَمٍ عظيمةٍ من النّهم وشدّة الأكل وامتلاء الأفواه، وقال أبو ذرّ رضي الله عنه عن بني أُمية: يخضمون ونقضم، والموعد الله.

(٥) والنِّبتة ـ بكسر النون ـ كالنبات، تقول: نبتَ الرطب نباتاً ونبتةً.

انتكثَ[١] عليه فَتْلُهُ، وأجهزَ عليه عَمَلُهُ[٢] وكَبَتْ به بِطْنَتُهُ[٣] »[٤].

في هذه الخطبة الرائعة المعروفة يكشف الامام عليّ عليه السلام القناع عن الوجه الكالح لبني أميّة إبّان حكم عثمان ن عفّان، فعثمان هو الذي استعمل بني أُميّة كولاةٍ وعمّال لجميع مناطق الدولة الإسلامية الكبيرة بعد أن قرّبهم إليه؛ ليكونوا ظهراً وحمىً له.

فاستحوذ هؤلاء على القدرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة الإسلامية ويدعمهم رأس الهرم السياسي الديني المتمثّل بخليفة المسلمين بالسكوت المطبق وعدم المحاسبة، حيث أكلوا أموال المسلمين بالباطل، وعاثوا في الأرض فساداً، وظلموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل احتقروا الكثير منهم وأهانوهم، وأجحفوا المسلمين حقوقهم، والشواهد التأريخية كثيرة على ذلك ولا يمكن سردها كلّها لئلّا يطول البحث فيها.

لقد امتلئت بطون بني أُمية بالسُحت والحرام، في حين بات المسلمون فى حالةٍ يُرثى لها من قهرٍ وعُسرٍ وفاقة.

قال ابن ابي الحديد في ذلك: « **وصحّت فيه فراسة عمر (أي في عثمان)، فإنّه أوطأ بني أُمية على رقاب الناس، وولّاهم الولايات، وأقطعهم القطائع، وافتُتحت أفريقية في أيّامه، فأخذ الخُمس كلّه فوهب لمروان** »[٥]، وقد اعطى عبد

---

(١) انتكث فتلُهُ: انتقَض، وهذه استعارة.

(٢) أجهز عليه عمله: تممّ قتله، يقال: أجهزت على الجريح، مثل ذففْتُ إذا أتممت قتله.

(٣) كَبَت بطنته: كبا الجواد إذا سقط لوجهه، والبطنة: الإسراف في الشِّبْع (أنظر شرح ابن ابي الحديد: ١٥٢/١).

(٤) نهج البلاغة، تحقيق الصالح: الخطبة ٣ ص٤٩.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٥٣.

الرحمن بن حنبل الجمي الكندي صورةً شعرية توضّح الحقائق هذه، حيث قال:

سأحلِف باللهِ جهد اليميـ ـنِ ما ترك الله أمراً سُدى
ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلي لكَ أو تبتلى
فإنّ الأمينَين قد بيّنا منارَ الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلةً وما جعلا درهماً في الهوىٰ
دعوت اللعين فأدنيتَهُ خلافاً لسنّة من قد مضى
وأعطيت مروان خمسَ العِبا د ظلماً لهم وحميت الحمى[(١)]

وهذا حوار دار بين محمد بن أبي حذيفة ومعاوية يثبت سلبية هيمنة بني امية على منافذ القوه والسيطرة في البلاد الاسلامية واثرها الكبير على هيبة خلافة عثمان ودمارها من بعد؛ فقد جاء عن محمد بن إسحاق قوله «حدّثني رجل من أهل الشام قال: كان محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن أنصاره وأشياعه وكان ابن خال معاوية وأراد قتله فحبسه في السّجن دهراً ثم قال معاوية ذات يوم: ألا نرسل إلى هذا السّفيه محمد بن أبي حذيفة فنبكّته[(٢)] ونخبره بضلاله ونأمره أن يقوم فيسبّ علياً قالوا: نعم فبعث إليه معاوية فأخرجه من السجن فقال له معاوية: يا محمّد بن أبي حذيفة ألم تأن تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً وأن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه. قال محمّد بن أبي حذيفة إنك لتعلم أني أمسّ القوم بك رحماً وأعرفهم بك؟ قال: أجل قال فوالله الذي لا إله غيره ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان وألّب الناس عليه

(١) الغدير: ٨ / ٣٦٤؛ أنساب الأشراف: ٥ / ٣٨؛ تأريخ أبي الفداء: ١ / ١٦٨.

(٢) فنبكته التبكيت: التقريع والتأنيب ـ وبكته بالحجّة ـ أي غلبه وفي بعض النسخ فننكبه على التفعيل من نكب على الطريق أي عدل أو على بناء المجرّد أي نجعله منكوباً والنكبة إصابه النوائب نقلاً عن بحار الانوار: ٣٣ / ٢٤٤.

غيرك لما استعملك ومن كان مثلك فسأله المهاجرون والانصار أن يعزلك فأبى ففعلوا به ما بلغك »[١].

وهذه قائمة مختصرة تبرز خطّ الانحراف والاستحواذ الواسع لبني أُمية أيّام عثمان بن عفّان[٢] مع عرضٍ للنقاط التي أمر فيها أو قام بها الخليفة عثمان:

١ ـ طلب عبد الله بن خالد بن أُسيد من عثمان صلَةً، فأعطاه أربعمائة ألف درهم.

٢ ـ قام عثمان بإعادة الحكم بن العاص (طريد رسول الله ﷺ)، حيث لم يجرأ على ذلك أبو بكر وعمر على ردّه، وأعطاه (مائة ألف درهم).

٣ ـ تصدّق رسولُ الله ﷺ بموضع سوقٍ في المدينة يعرف بـ«مهزور» على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخ مروان بن الحكم.

٤ ـ أقطع مروان فدك[٣]، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها ﷺ تارةً بالميراث، وتارةً بالنِحلة فدُفعت عنها.

٥ ـ منع المراعي حول المدينة كلّها عن مواشي المسلمين كلّهم إلّا عن بني أُمية.

٦ ـ أعطى عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء عليه من فتح أفريقية بالمغرب

---

(١) بحار الانوار: ٣٣ / ٢٤٣.

(٢) أنظر أكثر تفصيلاً في كتاب الغدير الجزء الثامن في فصل الغلوّ في فضائل عثمان بن عفان ص١٤٣ ـ ٤٣٢.

(٣) فَدَك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله على رسول الله ﷺ في سنة سبع صلحاً، ونحلها الرسول ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام في حياته، ولمّا مات النبيّ ﷺ وطلبتها فاطمة (عليها السلام) طلب أبو بكر شهوداً لذلك فتنازعا، ولها قصّة طويلة. (نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٥٤.

(وهي طرابلس الغرب إلى طنجة) من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين[١].

٧ ـ أعطى أبا سفيان بن حرب (والد معاوية) مائتي ألفٍ من بيت المال.

٨ ـ في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألفٍ من بيت المال ـ وكان قد زوّجه ابنته ام أبان ـ جاء زيد بن أرقم[٢] صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان أتبكي إن وصلتُ رحمي؟! قال: لا، ولكن أبكي لأنّي أظنّك أنّك أخذتَ هذا المال عوضاً عمّا كنت أَنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، واللهِ لو أعطيت مروان مائة درهمٍ لكان كثيراً، فقال: ألقِ المفاتيح يا بن أرقم، فإنّا سنجد غيرك[٣]!

٩ ـ وأتاه أبو موسى الأشعري بأموالٍ من العراق جليلة، فقسّمها كلّها في بني أُميّة.

١٠ ـ أنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألفٍ من بيت المال أيضاً بعد صَرْفه زيد بن أرقم عن الخزانة[٤].

١١ ـ الدور السبع التي بناها بالمدينة أعطى منها لنائلة، وأُخرى لعائشة، والبقية بين أهله وبناته.

١٢ ـ بناء مروان بن الحكم القصور بذي خشبة.

«وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة، إذ صلّى بهم الصبح ـ وهو أمير عليها سكران ـ أربع ركعاتٍ ثمّ قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة، وتعطيلهِ اقامة الحد

---

(١) أنظر تأريخ الطبري: ٢ / ٦٥٢.

(٢) صحابيّ جليل القدر توفي سنة (٦٨ هـ) بالكوفة.

(٣) الغدير: ٨ / ٣٦٧ نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٩٩ خطبه ٣.

(٤) شرح النهج: ١ / ١٥٣. (طبعة الأعلمي).

عليه؛ وتأخيره ذلك عنه»[١].

١٣ ـ إضافةً الى ذلك كلّه نفي عثمان الصحابيَّ الجليل المعروف أبا ذرّ الغفاري الى الربذة ظلماً، لا لسببٍ إلّا لقوله الحقّ ونقد الوضع الفاسد الذي كان سائداً آنذاك، وبقي هناك الى أن توفيّ ﷺ فيها.

١٤ ـ وضَرَبَ عبدالله بن مسعود (الصحابيّ المعروف) حتى كسرت أضلاعة، وتكَلَّم عليه ببذاءةٍ أمام الملأ وسَخَرَ منه.

١٥ ـ وهناك أُمور عديدة من سياساتٍ أنحرافيةٍ وأعمالٍ غير مشروعةٍ استخدمت جميعاً ضدّ المسلمين، وآخرها والتي تعتبر القدحة التي أشعلت نار الفتنة كتاب عثمان المرسل سرّاً الى عاملة بمصر، وفيه قد يأمرَ بصلب وقتل قوم خالفوه، أو بقطعِ أيديهم وأرجلهم من خلاف، حيث وقع الكتاب بيد الثّوار في الطريق، وعادوا بالكتاب الى المدينة، فأنكر عثمان كتابته هذا الكتاب وأمره وأتّهم مروان بالحكم بأنه زوّرَ ذلك وختمه بختم الخليفة وأرسله الى مصر، عند ذاك استعرت الأحداث، وجرى ما جرى من تمردٍّ كبيرٍ على الخليفة الثالث، بحيث اصبح من الصعوبة جدّاً معالجة الموقف المتأزِّم الذي أدّى الى مقتله.

عليّ عليه السلام ينصح عثمان:

إنّ المحاور التي نبحثها هنا يمكن أن نستخرج حقائقها التأريخية من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائلة الى معاوية، والحقيقة أنّها أفضل المستندات التاريخية وأصحّها في معرفة تفاصيل تلك الأحداث، ثمّ نستخلص المواقف الإيجابية، بل الدفاعية أحياناً للإمام علي عليه السلام، مع آرائه بتلك الوقائع، بحيث

---

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ٣٢.

نحصَل من ذلك على الضوء الذي يسلّط نوره على كثيرٍ من الحقائق التي كاد يطمرها ظلام التعصّب والجهل والحقد المقيت.

إنّ علياً لم يقف مكتوف الأيدي وهو يراقب الاحداث، وليس بالشخص الذي ينتظر ما سيسفر عنه ذلك الصراع الذي شغل فكر الأُمّة كثيراً حتّى يركب العاصفة، «واذا لم يُقدّر له أن يصل الى سدَّة الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله فإنّه لم ينقطع عن الحياة العامّة، بل ساهم فيها مساهمةً فعّالةً وخصبة، فقد كان أبو بكر ثمّ عمر ومن بعدهما عثمان لا يسعهم الاستغناء عن آرائه في السياسة والقضاء والحرب، وخاصّةً في خلافة عثمان، فقد كان فيها على أتمّ الصلة بالتيّارات التي تمخر المجتمع الإسلامي، لكنّ عثمان لم ينتفع كثيراً بالتوصيه الذي كان الإمام يقدِّمه إليه؛ لأنّ بطانةً متعِّفنةً كانت تحيط بهذا الخليفة»[1].

ونظرة واقعية الى سيرة عليٍّ عليه السلام خلال فترة الإقامة الجبرية التي مارسها الخلفاء الثلاثة ازاء، لم يظهر عليه أيّ طمعٍ دنيوي، أو رغباتٍ ذاتيةٍ تضغط على مواقفه الاعتقادية اتّجاه مختلف القضايا، فكان عليه السلام في غنىً عن كلّ ذلك، نظر الى الإسلام وسلامة دولته كوجودٍ ومصيرٍ لابدّ من حمايته رغم الآلام المحتَقَنَة في صدره من جرّاء الاغتصاب الغير المشروع للخلافة، وتداول أمرها ضمن حدود الأشخاص الذين قادوا مؤامرة السقيفة، إلاّ أنّ بروز أيّ تهديدٍ للكيان الإسلامي آنذاك يفضي الى أن يكون عليّ عليه السلام قطب الإنقاذ والسلامة في المجتمع، وبروزه كأهمِّ شخصيةٍ بارزه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وعلي عليه السلام حينما يرى ذلك لا يألوا جُهداً في الاستجابة الحيوية لكلِّ التحدّيات المعقدة.

لقد سعى جاهداً في تصحيح المسار المنحرف للقيادات التي أخذت على

---

(١) دراسات في نهج البلاغة: للشيخ شمس الدين: ص٢٥٧.

عاقتها ولاية الأمر، ومنع الحوادث المدمِّرة من الوقوع. فحينما اجتمع القوم لديه وشَكَوا نقمتهم على عثمان وطلبوا منه مخاطبته والتوسّط لهم دخل على عثمان قائلاً: «إنَّ الناسَ ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم [أي جعلوني سفيراً]»[١]، ثم أخذ ينصحه ويذكّره في كلامٍ طويلٍ حتى ذكّره بقول رسول الله ﷺ: «[يُؤتَ يَوْمَ القِيامَةِ بالإمام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ، فيلقى في نارِ جَهَنَّم، فيدُورُ فيها كما تدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبطُ في قعرها] وإنّي أُنشدُك أللهَ أن لا تكون إماماً هذه الأُمّة المقتول، فإنّه كان يُقالُ: يُقتلُ في هذه الأُمَّةِ إمامٌ يَفْتَحُ عليها القتل والقتال إلى يوم القيامةِ، ويلبسُ أُمورها عليها، ويبثُّ الفتنَ فيها، فلا يبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكونَنَّ لمروان سيِّقةً يَسوُقُكَ حيث شاء بَعْدَ جلال السنِّ وتقضِّي العُمْرِ»[٢].

تحرّك أمير المؤمنين عليه السلام وذكّر وأهدى سبيلاً لعثمان الذي ضاع وسط التعصّب الأُمويّ اللئيم، فأدار ظهره لكل نصحٍ أو توجيه. الموقف إجمالاً في حالةٍ خطرةٍ جدّاً، بقي على عثمان إمّا أن يُدرك ويتداركَ تلك الخطورة، وإنقاذ وضعه المتزلزل، والسعي الجادّ الى معالجة الأُمور بصورةٍ صحيحة، وإمّا أن يكون آلةً بيد طريد رسول الله ﷺ (مروان بن الحكم) يديره كيفما شاء، ويتحمّل نتائج الصراع كلّه، ويكون ضحيّةَ اللامبالاة، والتعصّب الذي يُعمي ويُصِمّ.

إنّ عثمان انصاع أوّلاً لخطّة عليٍّ عليه السلام في إنقاذ الموقف، فطلب من الإمام عليه السلام أن يُمهله الناس قليلاً حتى يردَّ كلَّ مظالمهم، وكأنّه هنا آثر النصيحة العلوية على الخديعة الأُموية، ولكن يبدو أنّ عناصر الشرّ والجريمة جهّزت نفسها وأبرزت

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص٤٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص٤٤٧.

دورها وحضورها لتُحبِطَ خطّة عليٍّ عليه السلام السلميةَ في إنقاذ عثمان من الخطر المحدق، « وقد ذكر الطبري: أنّه لمّا علم بأمرهم عثمان ذهب الى عليٍّ في بيته مستنجداً أن يردّ أهل مصر.

فقال عليّ: (على أيِّ شيءٍ أرُدَّهم؟)

قال: (على أن أصير إلى ما أشرتَ ورأيتَهُ لي).

فقال عليّ: (إنّي قد كلّمتُك مرّة بعد مرّةٍ أُخرى فكلّ ذلك تخُرج وتقول وتَعِدُ ثمّ ترجع!) (وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبدالله بن سعد فإنّك أطعتهم وعصيتني!).

فقال عثمان: (إنّي أعصيهم وأطيعك).

فأمر عليٌّ الناس أن يركبوا معه، فسايره ثلاثون من المهاجرين والأنصار، فأتوا المصريّين وكلّموهم، وكان يكلّمهم علي ومحمد بن مسلمة فسمعوا وأطاعوا.

ورجع عليّ الى عثمان، واشار عليه بأن يُسمع النّاسَ خيراً قائلاً له: (إذا كنت قد دفعت عنك المصريّين فقد يأتيك غيرهم).

خرج عثمان وخطب الناس مؤمِّلهم بقضاء حوائجهم، ومبشِّرهم بتنحية مروان وذويه.

دخل عثمان بيته فوجد مروان وسعداً ونفراً من بني أُمية، فكلّموه في ما يصلح لهم على حساب المسلمين عامة. فأثاروا نخوةً جاهليةً رعناء، فنقض عهده لعليٍّ وللناس، وطلب من مروان الخروج لذوي الحاجات والذين اجتمعوا في باب عثمان ليكلّمهم.

فخرج اليهم مروان مخاطباً: (ما شأنكم قد اجتمعتم كأنّكم جئتم لنهبٍ، شاهت الوجوه! أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا، أُعزبوا منها، ثمّ استرسل في

التهديد والوعيد وفي السباب المُقذِع) »[1].

عليٌّ ينصر عثمان:

كثيراً ما تردّد في رسائل معاوية قضية مقتل عثمان، واتّهامه علياً عليه السلام بالتآمر مع المصريين والعراقيين ضدّ الخليفة عثمان، إلّا أنّ كلام معاوية لا يعتبر سنداً أو مرجعاً نهائياً حتى يُغلَق باب النقاش، فالأمر يحتاج الى كشف الحقائق كلِّها وبيان ملابسات الاحداث، مع بيان موقف الإمام عليٍّ عليه السلام من تلك الفتنة، وهل نصرّ الإمامُ الخليفة عثمان، أم لا؟

ومن الذي تخاذل وخذّل؟

ثمّ تحديد مواقف الجميع إبّان الأزمة المتفاقمة، وتوضيح المبهمات من الأحداث حتى تنكشف وقائعها بصورةٍ واضحةٍ بدون لبسٍ أو غموض.

ليس هناك نصّ تاريخيّ يعبِّر عن الوقائع أو ينقل الينا الأحداث التي جرت في فترة الأزمة بصورةٍ سليمةٍ خاليةً من التحريف والتزوير أفضل من كتب عليٍّ عليه السلام ومراسلاته مع معاوية، وفي الحقيقة تعدّ هذه نصوصاً سليمةً لم تمتدَّ إليها أيادي التحريف والتزوير، لذا فقد استفاد من تلك النصوص المؤرخّون والكتّاب، كدليل قاطع على سلامة موقف عليٍّ عليه السلام تجاه عثمان ونصرته إيّاه وهاك مقطعاً من إحدى الرسائل التي يثير فيها الإمام عليّ عليه السلام الأسئلة: « **ثمَّ ذكَرْتَ ما كان من أمري وأمْرِ عُثْمانَ، فَلَكَ أن تُجابَ عَنْ هذه لرحمِكَ مِنْهُ، فأَيُّنا كان أعدى له وَأَهدى إلى مقَاتِلِهِ؟ أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نصرَتَهُ فاستقْعَدَهُ واستَكَفَّهُ، أَمْ من استنصرُهُ فتراخى عنهُ**

---

(١) ملامح عبقرية الإمام عليّ للدكتور مهدي محبوبة: ص٢٦٢؛ انظر كذلك تأريخ الطبري: ٢ / ٦٦٠.

وبث المنون إليه...؟!»[1].

فرق واضحٌ بين موقفين مختلفين: موقف الناصر المعِين، وموقف الكاذب الخاذل، المخادِع والمتراخي عن النصرة!! وسنأتي تباعاً الى تفاصيل الأحداث.

ثمّ يستمرّ عليّ عليه السلام في كلامه ليثبت مصداقيّته أمام الآخرين، فقد قال عليه السلام:

« ... حتى أتى قدرُه عليه؟! كلّا واللهِ، ﴿لقد علم اللهُ المعَوِّقين مِنكُمْ والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا ولا يأتون البَأْسَ إلّا قليلاً﴾[2]، وما كنتُ لأَعتذرَ مِنْ أنّي كُنتُ أَنْقمُ عَلَيْهِ أحْدَاثاً، فإن كانَ الذنبُ إليهِ إرشادي وهدايتي لَه فرُبَّ مَلُوم لا ذنبَ له!»[3].

أفتضاح لأمر معاوية وموقفه الهزيل الذي خطّط له مسبقاً، فمن الذي تأخَّر عن النصرة وثبَّط العزائم؟! أليس هو معاوية نفسه؟! فكيف يجيز لنفسه الحديث والدفاع عن أمرٍ هو سبب فيه؟!

ويؤكد الإمام عليه السلام أنّه كان غير راضٍ أبداً على مسلك الخليفة في إدارة أُمور الدولة الإسلامية وإنّ كثيراً من الحوادث كان ينقم عليها عليه السلام؛ لإنّها خالفت الشريعة الغرّاء، وهو لم يكن في ذلك ليعتذر عن تلك المواقف التي عاب فيها على عثمان أعماله التي لا تمتّ بصلةٍ الى الدين الحنيف، وهذا واضح بالدلائل التاريخيّة، وليس بخفيٍّ على أحد انحراف المسيرة القيادية لعثمان ابّان حكمه، والتي بقيت آثارها المخرّبة حتى يومنا هذا، ولمُ تناقش بصورة واقعية ومنصفة بحيث تقلّص دائرة الخلاف والتباين في الرأي في قضية كهذه إلى أقل ما يمكن، عدا ما كتب هنا وهناك، وكان محاطاً بدائرة الشك، وهذا عبد الجواد ياسين أعتبر

---

(١) حدائق الحقائق: ٢ / ٤٣٦؛ نهج البلاغة: تحقيق د. الصالح: ٣٨٨.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ١٨.

(٣) حدائق الحقائق: ٢ / ٤٣٦؛ نهج البلاغة: تحقيق د. الصالح: ٣٨٨.

«أيام عثمان هي النموذج الأول في تاريخ المسلمين لحالة الفرقة والاختلاف، ببصمتها التي ما تزال بارزه في عقل الأُمة وبنيتها الفكرية بعد أن فرغت من عملها على مستوى الجغرافيا والتأريخ»[١]. فرغم الرؤية الواضحة لتلك الوقائع، الا إننا نشاهد حالة الضبابية في الرأي عند الكثير من المفكرين.

إنّ كلَّ من يطّلع ويقرأ الأحداث وتاريخ المرحلة التي نتحدّث عنها يكون في أقلّ التقادير في حيرة كاملة من أمره، إذ تستوقفه تلك الصور الزائفة التي رسمها كثير من المؤرخين لمعاوية وموقفه من مقتل الخليفة، فرغم ما ذكرناه آنفاً، أصبح معاوية الحامي والمدافع الأول عن عثمان، وعليّ أصبح هو العدوّ والمتخاذل عن النصرة، والحقيقة أن ردّ عليٍّ عليه السلام على كتاب معاوية هو خير جوابٍ على أباطيل معاوية ودسائسه، بالإضافة إلى ذلك فإنّ مراجع التأريخ ومصادره المعتمدة تحدّثت كلّها عن تلك الأحداث واسهبت في كلا الموقفين بصورةٍ جليّة.

يقول ابن الأثير في الكامل وهو ينقل كلام عليٍّ عليه السلام لعثمان اثناء البلبلة والثورة التي حدثت: « فاللهَ اللهَ في نفسك، فإنّك واللهِ ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهاله، وإن الطريق لواضح بيِّن، وإنّ أعلام الدين لقائمة. اعلم يا عثمان، إنّ أفضل عباد الله إمامٌ عادل هُديَ وهَدى، فأقام سنَّةً معلومةً، وأمات بدعةً متروكة، فواللهِ إنّ كُلاًّ لَبيِّن. وإنّ السُّنن لقائمة لها أعلام، وإن البِدَع لقائمة لها أعلام، وإنّ شرّ الناسِ عند اللهِ إمام جائر ضَلَّ وأَضَلَّ، فأمات سنةً معلومةً وأحيا بدعةً متروكة، وإنّي أُحذِّرك اللهَ وسطواتِه ونَقِماتِه، فإنّ الله عذابه شديد أليم... »[٢].

---

(١) السلطة في الاسلام لعبد الجواد ياسين ـ ص١٩.

(٢) الكامل في التأريخ: ٢ / ٢٨٧.

أيضاً هناك شهادة تأريخية أُخرى نطق بها لسان زوجة عثمان (نائلة ابنة الفرافصة) بعد أن سمعت حديث عليٍّ عليه السلام وكلام مروان لعثمان، حيث قالت: « قد سمعت قول عليٍّ لك وليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال: فما اصنع؟ قالت: تتّقي الله وتتّبع سنّة صاحبيك، فإنّك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدرٌ ولا هيبة ولا محبّة، وإنّما تركَكَ الناس لمكانه، فأرسِلْ الى عليٍّ فاستصلحه فإنّ له قرابة [منك] وهو لا يُعصى »[1].

أمرأة اطلعت على حقائق مجريات الأحداث، وكانت تسمع كلّ حديث، ميّزت بين الحقّ والباطل، وعرفت أنّ مروان يريد تسخير عثمان والإسلام كلّه لمصالحه، ولا يهمّه بعد ذلك ارتفع شأن عثمان أو هبط أمره. ثمّ رأت أنّ عليّاً كان ناصحاً أميناً صادقاً حكيماً يريد أن يحفظ الدين ودولته، وينقذ عثمان من محنته ليس إلّا، فطلبت من عثمان طاعة عليّ عليه السلام ونبذ مروان، وأنهت كلامَها بمعنىً عالٍ: « وهو لا يُعصى »، ولكن لا فائدة، فصوت نائلة واحد، وأصوات بني أُميّة كثيرة أصمّت أُذنَي عثمان وجعلته لا يسمع لغير هؤلاء صوتاً، حتىٰ كانت الخاتمة المأساة....

* * *

(١) الكامل في التأريخ: ٢ / ٢٨٤.

الفصل الثاني

سرّ مطالبة معاوية بدم عثمان!

النصيحة الكاذبة:

وأمّا نصيحة معاوية لعثمان فهي: ... يا أمير المؤمنين، انطلق معي الى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبَلَ لك به، فإنّ أهلَ الشام علىٰ الأمر لم يزالوا...!

كلام ظاهره جميل ونافع لعثمان، وفي جوانبه وخفاياه ألف خطّةٍ مرسومة.

لقد عُرِف عن معاوية أنّه من دُهاة العرب في المكر والمراوغة والخديعة، فهو لا ينطلق نحو أيِّ اتّجاهٍ دون تحديد الهدف ومعرفة حجم المنافع الخاصّة!

إذن ما الذي دعا معاوية ـ وهو الوالي المتنفِّذ في الشام ـ الى أن يدعوَ خليفة المسلمين آنذاك للذهاب معه الى الشام وجعل دمشقٍ مركز الخلافة بدل المدينة؟!

هل هو دافع الخوف على الخليفة، أم هو استخلاف مؤجَّل يجنيه معاوية من وجود عثمان قربه؟

إنّ الحقيقة التي لا تُجافى هي: أنّ معاوية طلب ذلك لأمرين لا ثالث لهما:

أوّلهما: في حالة وصول الخليفة الى بلاد الشام تصبح دمشق ـ مركز معاوية ومعقِله القويّ ـ عاصمة الخلافة الراشدة، وبذلك تكتسب شرعيةً ومكانةً في نفوس المسلمين لا حدَّ لها، وبالتالي ونظراً لضعف الخليفة فإنّ الحاكم الحقيقي للدولة الإسلامية سيكون معاوية، وتحت هذا الغطاء يستطيع تمرير كافّة نواياه وأطماعه.

والثاني: يحمل نقطةً هامّةً جدّاً وأمراً يُظهر الهدف الأساس لمعاوية من

عمله هذا، وهو: أنّه في حالة وفاة الخليفة على أقلّ التقادير ـ إن لم يكن تدبير اغتيال له ـ يصبح أمر استلام منصب خليفة المسلمين سهلاً يسيراً عن طريق تبنّي إحدى الطرق المعروفة، وهي: إمّا أن يعلن معاوية أنّ الخليفة قد أوصى له بالخلافة من بعده، ويختم ذلك بتأييدٍ من رجالاته الذين سوف يحلفون بالقرآن أمام الملأ على ذلك الأمر، وليس ذلك ببعيد، ولدينا شاهد تأريخي على مثل هؤلاء، وهو سمرة بن جندب الذي باع دينه لدنيا معاوية بشهادة زورٍ بأربعمائة ألفٍ درهم لا غير، وذلك حينما طلب منه معاوية أن يصعد خطيباً في الشاميّين ويُعلِن لهم بأنّ قوله تعالى: **﴿ومن الناسِ مَنْ يُعجِبُكَ قَوْلُهُ في الحياةِ الدّنيا وَيُشهِدُ اللهَ عَلَىٰ ما في قَلبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾**[1] نزل في عليّ بن ابي طالب عليه السلام، وإنّ قوله تعالى: **﴿وَمنَ النّاسِ مَن يَشرِي نَفْسَهُ ابتغاءَ مَرضْاتِ الله﴾**[2] نزل في عبد الرحمن بن ملجم!!

وأمّا الطريق الآخر لمعاوية فهو: أن يجعل من رجاله شورى الاستخلاف، وهم جاهزون لإصدار بيان الاستخلاف الذي سوف يتضمَّن اتّفاق الشورى على انتخاب معاوية خليفةً للدولة الإسلامية، وليس هناك من قلقٍ إذا ادّعوا أيضاً أنّ عثمان قد بارك الانتخاب في حياته، وكلا الأمرين لا قلق ولا جهد فيهما، خاصّة وان الشام خالية صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الأجلّاء من المهاجرين والانصار الاوائل كي يستطيعوا الاعتراض على هؤلاء، أو يشكّلوا خطراً على هذا القرار، وبالتالي فإنّ معاوية سيخرج منتصراً في جميع الأحوال، ناهيك عن المزايا الأُخرى التي تؤهّل معاوية بأن يكون الحاكم الفعليّ أيّام الخليفة عثمان حال

---

(١) سورة البقرة: الاية ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

حياته، والخليفة الرسمي الذي يكسب الشرعية بعد وفاته.

إذن بعد كلّ هذا من هو الناصح لعثمان؟ ومن هو الذي يتربّص به الدوائر ليسقطه في وحل الخداع والمكر؟!

معاوية يحرّض على قتل كبار الصحابة:

في كلام خاصٍّ لمعاوية مجيباً فيه على كلام عثمان الذي قاله له: «ما ترى فإنّ هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر، ولابدّ لهم ممّا في أنفسهم؟ فقال له معاوية: الرأي أن تأذن لي فأضرب أعناق هؤلاء القوم، قال: مَن؟ قال: عليّ وطلحة والزبير، قال: سبحان الله! أقتل أصحاب رسول الله بلا حدثٍ أحدثوه، ولا ذنب ركبوه؟!»[1].

حاول معاوية بأساليبة الإجرامية خلط الأوراق والعبث بالاستقرار العامّ خدمةً لخططه التي ترمي الى استلام الحكم، وهذا واضح من طلبه الذي قدّمه لعثمان في تصفية عليٍّ وطلحة والزبير، ولو نظرنا جيّداً في طلب معاوية هذا لوجدنا خلفه فتنةً هوجاء أعظم ولا يمكن التكهّن في عواقبها، وفي مدينة رسول الله ﷺ بالذات، حيث ينسل معاوية منها بهدوءٍ تامٍّ ويعتصم بالشام ويتّخذها مقراً لخلافته القادمة، ولا نعلم فربّما يتظلّم معاوية أمام المسلمين ويطالب بدماء الثلاثة (عليّ وطلحة والزبير) ويتّهم عثمان بقتلهم ويثأر لدمائهم، بعد أن تخلّص من منافستهم إيّاه، فهو لا يستطيع في وجودهم الدعوة لنفسة كخليفةٍ للمسلمين لضآلته أمام هؤلاء ومكانتهم وكأنّه أتّخذ مبدأً ميكافلياً في سياسته العامة، ورغم المثالب الكثيرة في سياسة الخليفة الثالث إلّا أنّه اتّخذ موقفاً صارماً من خطّة

---

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ٣١.

معاوية، فرفض بذلك عرضه الانتهازي الغامض.

معاوية والتناقض المفضوح:

وفي رسائل معاوية التي بعثها الى عليٍّ عليه السلام بعد حرب الجمل نجده أشدّ انتهازيةً، وأكثر تناقضاً، وسوف نعقد مقارنةً بين بعضٍ من مواقفه السابقة واللاحقة؛ لنثبت حقيقة ما عرضناه من أسراره وسريرته.

ففي رسالته الى الإمام عليٍّ عليه السلام يقول في القسم الأول منها: «أما بعد، فقد أتّبعت ما يضرّك وتركت ما ينفعك، وخالفت كتاب الله وسنة رسول الله [صلى الله عليه وآله]، وقد أنتهى إليّ ما فعلت بحواريّ رسول الله [صلى الله عليه وآله]: طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين عائشة، فوالله لأرمينّك بشهابٍ لا تطفئه المياه، ولا تزعزعه الرياح... الخ»[1].

من خلال استعراض المواقف الأُولى وقراءة النصّ السابق يتّضح تناقض الموقفين وابتعادهما عن بعضهما، فمرّةً يطلب قتلهم أيام عثمان، ومرّةً يطالب بدمهم من عليٍّ عليه السلام بعد مقتلهم في الجمل، أيُّ نفاق سياسيٍّ هذا؟! إنّها المصلحة السفيانية التي أملت على معاوية هذين الموقفين؛ فلم يكن ناصحاً لعثمان في الموقف الأول، ولم يكن هدفه المطالبة بدمائهم في الموقف الثاني!!

الثأر بين التعجيل والتأجيل:

موقف آخر يضعنا أمام صورةٍ أوضح لسياسات معاوية الميكافيلية، ترتبط معالمها بهذا الباب من الفتنة الكبرى.

إنّ معاوية كان شيطاناً في خُطاه ولا يهمّه إن كان صادقاً في موقفه أو عهده

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٨١.

أم كان كاذباً، المصلحة المنظورة هي التي تفرض شكل العمل السياسيّ المـتّبع ضمن إطار الأهداف المرسومة، سواء كان ذلك تكتيكاً أو إستراتيجاً، فخذ «مثلاً حجّة معاوية حين علل ثورته باتّهام عليٍّ بدم عثمان، وعلّل اتّهامه لعليٍّ بتقصيره في القود من الثائرين وهم ألوف يحملون السلاح، وهو لم يكن بعدُ الى سلطان يعينه على القود من هؤلاء الأُلوف المسلّحة، فماذا صنع بقاتلي عـثمان حـينما صار الملك إليه؟ وجب عليه أن ينفّذ العقاب الذي من أجله ثار واستباح القتال، إنّه اتّبع علياً في ما صنع، وابى أن يذكر الثأر المقيم المقعد. وقد ذكّروه به وألحّوا في تذكيره. ولقد كان أوّل ما سمعه يوم زار المدينة ودخل بيت عـثمان صـيحة عاشة ابنته وهي تبكي «وأبتاه»، فـلم تـزده الصـيحة المـثيرة إلّا إصـراراً عـلى الإغضاء والإعفاء، وقال لها يـعزّيها يـا أبـنة أخـي، إنّ النـاس أعـطونا طـاعةً وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعةً تحتها حقد، ومع كلّ إنسانٍ سيفه وهو يرى مكان انصاره، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا؟ ولئن تكوني بنت عمّ أمير المؤمنين خيراً من أن تكوني امرأةً من عرض المسلمين»[1].

وهنا عمد معاوية الى سياسة الصبر لمصلحة وعكف فترةً الى تأجيل أخذ الثأرلدم عثمان، ولو عدنا الى رسالته التي بعثها مع أبي أُمامة الباهلي لوجـدناه يطلب التعجيل في تسليم الثوار إليه حتى يمكّنه ذلك من أخذ الثار، وهـذا فـي الحقيقة كذب محض، وواجهة مزيّفة لطموحاتٍ سياسيةٍ أوسع. إنّ الشعار الذي رفعه ضدّ الخليفة الشرعي عليٍّ عليه السلام أصبح مثلاً يُرفَع لكلٍّ من يتصدّى لأمرٍ يحمل خلفه نوايا أُخرىٰ، وكلامه في رسالته مع ابي أُمامة الباهلي أظهر كذب ادّعاءاتـه السـابقة

(١) موسوعة العقّاد الإسلامية: ٢ / ٧٣٥.

في طلب الثأر، ولو قارنّا ذلك مع مواقفه لاحقاً وخاصّة التي ذكرناها في حديثه مع ابنة عثمان لظهر التباين بين الموقفين واضحاً جدّاً، فقد قال في رسالته هذه: « والذي لا إلهَ إلّا هو لأطلبنَ قتلة عثمان اين كانوا وحيث كانوا حتى أقـتلهم أو تلتحق روحي بالله »(١)، وهناك نصّ آخر ورد في كتابه المرسل مع أبـي مسـلم الخولاني يقول فيه: « وقد ذُكِرَ لي أنّك تتنصّل من دمه، فإن كنت صادقاً فأمكِنّا من قتلته نقتلهم به، ونحن أسرع الناس إليك، وإلّا فإنّه ليس لك ولأصـحابك إلّا السيف، والّذي لا إلهَ إلّا هو لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرمال، والبرّ والبحر، حتى يقتلهم الله؛ أو لتلحقنّ أرواحنا بالله، والسلام »(٢).

وقد اجاب الامام علي عليه السلام فور تسلّمه الرسالة: يخبره برفع مؤنة البـحث عن هؤلاء وطلبهم إيّاه؛ لأنّه يعرف جيّداً غيّه وكذبه، لأنّ الأسماء التـي يـطلبها معاوية هي الشواخص المعروفة من المهاجرين والأنصار والتابعين من أهل مصر والعراق والحجاز، فقال له عليه السلام: « ولَعَمري لَئِن لم تنزع عن غيِّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليلٍ يـطلبونك، ولا يكـلِّفونَك أن تـطلبهم فـي بـرٍّ ولا بـحرٍ ولا سـهلٍ ولا جبل...! »(٣).

لقد وضح بطلان ادّعاءات معاوية بطلب الثأر، وترك القـائمة التـي اعـدّها وطلبها من أمير المؤمنين تحت عنوان قتلة عثمان، بعدما تسلّم الحكم.

والسؤال المطروح هنا هو: أين ذهب قَسَم معاوية المغلَّظ الذي أمضاه في الكتب؟!

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٩٠.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٧٤.

(٣) نهج السعادة: ٤ / ٧٨.

لماذا هذا التزييف والكذب؟!

ولماذا السكوت عن طلب الثأر؟!

ألم يتسلّط على البلاد الإسلامية، وأطلق على عام تسلّطه بعام الجماعة؟!

ألم يكن قويّاً جبّاراً بعد أن أصبح الحاكم بلا منازع، لا بل أصبح ملكاً مستبدّاً جائراً كملوك الروم والفرس متشبّهاً بسيرتهم؟!

يالِسخرية القدر بأن يقود معاوية الأُمّة الإسلامية بعد عليٍّ والحسن عليهما السلام!!

إذن « فالمطالبة بدم عثمان إنّما كانت قضيةً قائمةً حين كانت لازمةً للتحريض على عليٍّ وبثّ الدعوة والتمكين لمعاوية، فلمّا تمكن واستطاع ما لم يكن في وسع عليٍّ أن يفعله سكت عن الثار وحديثه، إلّا ما كان من قبيل الحوار العقيم في المجالس، وقَبِل من نفسه العذر ضعيفاً هزيلاً، ولم يكن يقبله قوياً معزّزاً بالواقع والبّينة ممّن لا لَوم عليه »[١].

من الذي قتل عثمان؟:

نعود الآن الى الحوادث التأريخية ونستقرئها مرّةً أُخرى؛ لنبيِّن من الذي قتل الخليفة الثالث؟

إنّ عليّاً عليه السلام وفي واحدة من رسائله الى معاوية عرض الحقيقة بمصاديقها ومداليلها مع القرائن الكاملة، وأعطى لقاتل الخليفة الثالث الرمز الذي من خلاله كُشفت كلّ الأستار التي تحجب صور الحقائق التأريخية، قال عليّ عليه السلام: « .. **وقد أَسْهبْتَ في ذكر عثمان، ولَعَمري ما قتلهُ غيرُكَ، ولا خَذلَهُ سواك، ولقد تَربَّصْتَ به الدّوائر، وتمنَّيت له الأمانّي طمعاً فيما ظهرَ منك ودَلّ عليه فعلك...** »[٢].

---

(١) موسوعة العقّاد الإسلامية: ٣ / ٥٤٣.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٢١٤.

ثم اردف عليه‌السلام الرسالة الآنفة الذكر برسالة آخرىٰ قائلاً: « فسُبْحانَ اللهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ للأَهواءِ المُبتدعَةِ، والحيْرَةَ المتَّبعَةِ، مَعَ تَضيقِ الحقائق، واطِّراحِ الوَثائِقِ، الَّتي هي للهِ طِلْبَةٌ، وعَلَىٰ عبادهِ. حُجَّةٌ!! فأمّا إكثارُكَ الحِجاجَ في عثمان وقَتَلَتِهِ فإِنَّك إِنَّما نَصَرْتَ عُثمانَ حيثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وخَذَلتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ »[1].

إنّ الحقيقة التي أخفاها معاوية كيلا لا تنكشف خططه لم تكن خافيةً على أمير المؤمنين، ولذا فالمعنى من كلامه في الرسالة المذكورة أعلاه: أنّك يا معاوية « حين نهضت بزعمك ثائراً بدم عثمان إنّما فعلت ذلك ليكون لك ذريعةً إلى نيل الملك، ووسيلةً إلى تمكين العباد والبلاد، وكذلك وافقته وشايعتَه ظاهراً قبل اشتداد الأمر عليه.

(وخذلته حيث كان النصر له): أي لمّا احتاج إلى نصرتك وبعث إليك يستنهضك للذبِّ عنه والتذمّم له تأخّرت عنه ووثبت الشرَّ إليه »[2].

للأسف الشديد لم تدرس النصوص التأريخية الموثّقة بصورةٍ صحيحةٍ أو تامّة، إنّما اعترت الدراسات التأريخية السلبية والنقص في التدقيق والتمحيص، أو ربّما كان ذلك مقصوداً لسببٍ أو لآخر، وهذا في الحقيقة تتمّة للسرد التأريخيّ الباطل المشوّه الذي جاءنا هكذا من العهود الأُموية والعباسية، ومن هذه: قضية مقتل عثمان واتّهام عليٍّ عليه‌السلام بأباطيل واهية، ولو سُجِّلت النصوص التأريخية على حقيقتها ودرست دراسةً سليمةً لبانت أُمور كثيرة على واقعيتها، منها ـ مثلاً ـ ما يتعلّق بهذا الفصل، حينما «كتب عثمان الى معاوية يسأله تعجيل القدوم عليه،

---

(١) حدائق الحقائق: ٢ / ٤٨٢.

(٢) حدائق الحقائق: ٢ / ٤٨٣.

توجّه إليه في اثني عشر ألفاً، ثمّ قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشام حتى آتي أمير المؤمنين لأعرف صحّة أمره، فأتى عثمان، فسأله عن العدّة؟ فقال: قدمت لا أعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم، قال: لا واللهِ، ولكنّك أردت أن أُقتل فتقول: أنا وليّ الثأر، ارجع فجيئني بالناس! فرجع، فلم يعد اليه حتى قُتِل »[١].

هذا النصّ التأريخي مع رسالة الإمام عليٍّ عليه السلام الأخيرة التي ذكرناها آنفاً يعبِّران بوضوحٍ عن حقيقة لا تجافى، وهي: أنّ معاوية كان له الباع واليد الطُولى في عملية مقتلِ عثمان، وهذا هو الواقع الحقيقي، ثمّ رسالة عثمان الى معاوية التي يستغيث بها بصرخاتٍ مدوّيةٍ تهزّ الأسماع بعد أن أعطاه معاوية وعوداً بالنجدة والقدوم بالجيش المنقذ، ولكن لا جواب لعثمان الذي قال له: « فابعث إليّ من قبلك مِن مقاتلة أهل الشام، فيا غوثاه!... فيا غوثاه ولا أمير عليكم دوني! فالعجل العجل يا معاوية! وأدرِك ثمّ أدرِك، ولا أراك تُدرِك!! »[٢]، وبالفعل فإنّه لم يحرِّك ساكناً ولم يُدرِك، وترك عثمان كما هو، وكأنّه أراد أن لا يبطل نظر عثمان فيه في أواخر أيّامه؛ ليُثبِت صدق كلام عثمان وحدسه حينما قال: « ولكنّك أردت أن أُقتَل... »، حيث «كان معاوية يُوازن مسألة (الولاء) لعثمان موازنةً دقيقةً بالقدر الذي ينتفع منها انتفاعاً سياسياً يخدم خطّته المحبوكة جيّداً. وكان من غير المنطقي ـ بالنسبة له ـ وهو يرى اتّساع أبعاد ملكه أن يخوض مغامرة إنقاذ عثمان وتعريض (ملكه) للخطر. كذلك كان يرى ببصيرته الثاقبة أنّه يستطيع دفع حكمه من درجة (الوالي) العامل للخليفة الى (الخليفة)، وتأسيس حكمٍ أمويٍّ صرفٍ ينتقل وراثياً إلى أبنائه وأحفاده. وبدهائه كان يرى الحميّة لمساعدة

(١) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٥.

(٢) عليّ إمام المتّقين: ١ / ١٧٨.

عثمان قد تعني الخسران، فاختار التريّث وانتظار ما تُسفِر عنه المأساة الدامية كي يمارس دهاءَه»[١].

اعتراف وفرار:

إضافة الى ما ذكر وما قيل فإنّ رَجُلَي السلطة الشامية، وصاحبَي الشيطان ـ في أحابيله ـ يتشاوران فيما بينهما حالما يدركهما الخطر، لمصيرهما المشترك.

ثلاثة أخبارٍ وصلت معاوية في آنٍ واحدٍ شعر حينها معاوية بالخطر، أخبر زميله عمرو بن العاص قائلاً له: «يا أبا عبد الله، طرقتني في ليلتي هذه ثلاثة أخبار ليس لي فيها ورد ولا صدر، منها: أن ابن أبي حذيفة كسر سجن مصر، ومنها: أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب الشام، ومنها: أنّ علياً قد تهيّأ للمجيء إلينا، فما عندك؟ قال عمرو: كلّ هذا عظيم.

أما ابن أبي حذيفة فخرج في اشباهه من الناس، فإن تبعث إليه رجلاً يقتله، وإن يقتل فلا يضرّك.

وأما قيصر فاهدِ له من وصائف الروم ومن الذهب والفضّة، واطلب إليه الموادعة تجده إليها سريعاً!

وأمّا عليّ فوالله إنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحدٍ من الناس، وإنّه لصاحب الأمر!

قال معاوية: صدقت، ولكنّي أُقاتله على ما بأيدينا ونلزمه دم عثمان!

فقال عمرو: واسوأتاه، وإنّ أحقّ الناس ألّا يذكر عثمان لَأَنا ولَأَنتَ.

قال معاوية: ولِمَ؟

---

(١) علي بن أبي طالب سلطة الحقّ: ص١٥١.

قال عمرو: أمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام، واستغاثك فأبطأت عليه، وأمّا أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين!

قال معاوية: دعني من هذا، هلمّ فبايعني.

فقال عمرو: لا واللهِ لا أُعطيكَ من ديني حتى آخذ من دنياك!

قال معاوية: صدقت، سَلْ تُعْطَ.

قال عمرو: مصر طعمةً! فكتب معاوية لعمرو مصرَ طعمةً »[1].

هذا هو دين عمرو ومعاوية، دجل ونفاق وكذب وخداع ومقايضة على حساب الإسلام والأمة الإسلامية وبيت المال! إنّهم خطّطو وباعوا واشتروا في دينهم، وسحقوا كلّ مبادئ الإسلام تحت أقدامهم، أهكذا هم ولاة أمر الأُمّة الإسلامية، لقد تركوا الخليفة عثمان الذي أسندهم في مهامّهم ودَعَمهم، حتى إذا بقي في الساحة وحيداً يستصرخهم لإنقاذه فلم يُجيبوه وكأنّهم لا يسمعون شيئاً منه، ثمّ خذلوه!..

* * *

(١) الامامة والسياسة: ١ / ٩٨.

الفَصلُ الثَّالِثُ

حرّضوا عليه ثم طالبوا بدمه

ابن العاص والفتنة الكبرىٰ:

تعالت أصوات الكثيرين بعد مقتل عثمان مطالبةً بدمه، وقادوا الحروب وقتلوا النفوس تحت هذا الشعار المزيّف «خُذ لك مثلاً علّة عمرو بن العاص، وقد كان أول الناصحين لعثمان بالاعتزال، بل كان يخطب عثمان ليسترضي الناس، وعمرو يصيح به من بين صفوف المسجد [أتق الله يا عثمان، فانك ركبت اموراً وركبناها معك. فتب الى الله نتب] ثم ترك عثمان في المدينة بين المؤتمرين به ومضى الى فلسطين وسُمع وهو يقول [والله أني كنت لألقي الراعي فأحرضه على عثمان]»[1].

الثلاثة بين التآمر والثورة:

إنّهم طلحة والزبير وعائشة، أصحاب الجمل، طلحة تيميّ كما هو أبو بكر والزبير زوج أسماء بنت أبي بكر وعائشة أُم المؤمنين بنت أبي بكر، أي أُخت أسماء.

ثلاثة كانت تربطهم أواصر القربىٰ، وقفوا جبهةً واحدةً ضدّ عثمان حتى أسقطوه وسط سيوف القوم الثائرين، ثمّ احتجّوا على قاتليه، وزعموا أنّ علياً عليه السلام شرِكَ بدم عثمان كذباً وزوراً، لِسذاجة بعضٍ وحقدِ بعضٍ وبتحريض معاوية وتخطيطه المحموم، ثم أعلنوا الثورة ضدّ عليّ عليه السلام مطالبين بدم عثمان.

---

(١) موسوعة العقّاد الإسلامية: ٢ / ٧٣٥.

كتب العقّاد في ضوء ذلك قائلاً: « خُذ لذلك مثلاً علّة طلحة «وأصحابه الذين ثاروا على عليٍّ ليطلبوه بدم عثمان، وهم لم يدفعوا عنه في حياته بعض ما دفع عليٌّ عنه. وقد كان عثمان كثيراً ما يقول [وَيْلِي من طلحة! أعطيته كذا وكذا ذهباً وهو يروم دمي، اللهمّ لا تمتِّعه به، ولَقِّهِ عواقب بغيِهِ]. وساء ظنّ الناس بنقمة طلحة على عثمان، حدّث بعضهم أنّه رآه يوم مقتله يرمي الدار، ويقود بعض الثائرين الى الدار المجاورة؛ ليهبطوا منها الى دار عثمان... »[(١)].

أمّا الزبير بن العوّام فلم يكن بأحسن حالٍ من صاحبه طلحة، حيث كان يقول: « **أُقتلوه، فإنّه غيّر دينكم، وأنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً** »[(٢)].

ولبيان مواقع الاثنين في أحداث قتل الخليفة الثالث ومعرفة ذلك نستعين بنصّ لكلام أمير المؤمنين عليه السلام يغنينا عن تفاصيل كثيرة، فقد قال عليه السلام: « وقد بايعني طلحةُ والزبير طائعَين غير مكرَهَين، ثمَّ خرجا يطلبان بدم عثمان، وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا »[(٣)].

وأمّا أُم المؤمنين عائشة فقد كانت مواقفها أشدَّ صراحةً، بل كانت أكثر شراسةً من غيرها، حيث كانت تدعو المجتمع ضدّ عثمان وبلا مواربة أو تردّد، ويسطّر التأريخ لنا بعض مواقف عائشة من عثمان، منها: أنّه صعد المنبر « عثمان يوماً ليخطب، إذ دلّت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله، ونادت: يا معشر المسلمين، هذا جلباب رسول الله لم يُبْلَ، وقد أبلى عثمان سنّته! فقال عثمان: ربِّ أصرف عنّي كيدهنّ إنَّ كيْدَهنَّ عظيم »[(٤)].

---

(١) المصدر السابق: ٢ / ٧٣٤.

(٢) الغدير: ١ / ٤٢٤.

(٣) نهج السعادة: ٤ / ٦٠.

(٤) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٥.

وفي خبر آخر: «أن أمَّ المؤمنين أخرجت نعلي رسول الله ﷺ وقميصه من تحت ستارها، وعثمان على المنبر، وقالت: هذانِ نعلا رسول الله وقميصه لم تَبْلَ، وقد بَدّلتَ من دينه وغيّرت من سنَّته، وجرى بينهما كلام المخاشنة، فقالت عائشة: أُقتلوا نعثلاً، تشبّهه برجلٍ إسكافيٍّ من اليهود كان مشهوراً بالضِعَة»[١].

وقال البلاذري «كانت عائشة وأُمّ سلمة حَجّتا ذلك العام ـ عام قتل عثمان ـ وكانت عائشة تؤلّب على عثمان، فلمّا بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبّتها فضربت في المسجد الحرام، وقالت: إنّي أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم* أبو سفيان قومه يوم بدر»[٢].

وقال أيضاً «مرّ عبدالله بن عباس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها، فقالت يا بن عبّاس، إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهما وبياناً فإيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية (أي عثمان)»[٣].

أضف الى ذلك ما عرضه الدكتور طه حسين بشأن عائشة ومواقفها، قائلاً: «وكانت من أشدّ نساء النبي ﷺ إنكاراً على عثمان، لم تتحرَّج أن تصيح به من وراء سترها وهو على المنبر حين عاب عبدالله بن مسعود فأسرف في عيبه. ولم تكن تتحفَّظ من الاعتراض على كثيرٍ من أعمال عثمان ومن سيرة عمّاله، حتىٰ ظنّ كثير من الناس أنّها من المحرِّضين على الثورة به»[٤].

كان هذا هو الاتّجاه السائد للوضع السياسيّ في عهد عثمان، ويدفعنا ذلك

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص ٥٣٠.

(*) شأم: الشُؤْم، ويقال: شَأَمَ فلانٌ أصحابه إذا أَصابهم شُؤْم من قِبَله. (لسان العرب لابن منظور).

(٢) الغدير: ٩ / ١١٧، انساب الاشراف: ٦ / ٢١٢.

(٣) المصادر نفسها: ٩ / ١١٦؛ ٦ / ١٩٣.

(٤) المجموعة الكاملة للدكتور طه حسين: ٤ / ٤٥٤.

الى أن نقلِّب أوراق التأريخ الىٰ الوراء؛ لنقارن بين مواقف هؤلاء الثلاثة المعارضة والمكفِّرة لعثمان أوّلاً، والمطالبة بدمه ثانياً.

وقد حدّد اليعقوبي في تأريخه القُوى المحرِّكة للثورة والداعمة لها بقوله: « وكان أكثر من يؤلِّب عليه طلحة والزبير وعائشة »[1].

أيُّ أدوار لعبها أُولئك بعد أن كانوا يُعَدُّون من الرعيل الأوّل من الصحابة!

إنّ الذي خذل عثمان إبّان أزمته ليس هم طغام القوم فقط كما كُتب وقيل عنهم، وربّما يكون وسط هذه العاصفة الهوجاء من الرُعاع كثير، إلّا أنّ ذلك لا يفرض علينا أن نلقي المسؤولية كلَّها على عاتق هؤلاء، إنّما التهمة توجَّه الى كبار القوم الذين قادوا الحركة، وهيّجوا الناس بما لديهم من أدلّة ثابتةٍ سلبيةٍ على سلوك عثمان السياسي والقيادي، حتّى يتبيّن موقف هؤلاء الدافع وموقف عليٍّ عليه السلام المدافع رغم ما يحمله علي عليه السلام اتّجاه سياسة عثمان الخاطئة، إلّا أنّه مارس دوره للتصحيح من خلال إسداء النصح والتحذير لعثمان من مغبّة إدارة ظهره للأُمّة وعدم التقييد بمبادئ الشريعة في التصرّف بأموال المسلمين ورفع الظلم الذي مارسه بنو أُميّة بحقّ الأُمّة، وكذلك محاولات الإمام علي عليه السلام لتهدئة الأوضاع التي لم يكتب لها النجاح.

وعلى العموم فإنّ خيوط الأزمة وتفاعلاتها تشابكت بصورةٍ يصعب حلَّها، حيث الرفض العامّ الممتدّ طولاً وعرضاً لعثمان لا يمكن تفاديه أو الوقوف بوجهه.

❊ ❊ ❊

(١) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٥.

الفصل الرابع

موقف الإمام عليه السلام من طلحة والزبير وعائشة

سذاجة وحقد وطماع:

من القضايا التي احتلّت مكاناً بارزاً فـي الرسـائل المـتبادلة بـين الحـقّ والباطل مسألة العلاقة بين الامام علي عليه السلام وطلحة والزبير وأُم المؤمنين عائشة وموقف الإمام عليه السلام منهم، فعائشة سخّرها معاوية لتكونَ بوقاً دعـائياً يـنفث مـن خلاله سمومه الإعلامية وسط الأُمّة الإسلامية، بعد أن تاكد مـن مـقتل طـلحة والزبير وإعادة أُمّ المؤمنين عائشة الى بلدها، فبدأ بأتّهام الإمام عليه السلام بقتل صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله، وسبي زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يعلم أنّ أثَر ذلك سيكون سـلبياً اتجاه امير المؤمنين بين الأُمّة، وخاصّة بين صفوف الذيـن لا يـعرفون حـقائق الأُمور، واستزلّتهم العواطف عن جادّة الحقّ ومعرفة الإمام عليه السلام، وهذا هو تهديد لوجود الكيان الإسلامي بقيادة عليٍّ عليه السلام الذي يضمن العدل والمساواة وتـحقيق السيرة الصحيحة كما ارادها الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

بيعة وطموحات غير مشروعة:

في تأريخ أُولئك النفر (طلحة والزبير وعائشة) مع عليّ عليه السلام نـقاط كـثيرة تستوقف المرء لدراستها، إنّ ممّا يثير الدهشة والاستغراب تذبذب مواقفهم مـن وقتٍ لآخر، فقد وقف البعض منهم ضدّ أبي بكر لصالح عليّ عليه السلام في يوم السقيفة، ولم يرق لهم عمر، وحرّضوا على عثمان، وبايعوا علياً عليه السلام ثمّ نكثوا بـيعتهم بـعد ذلك وقاتلوه، وتحمّلوا وزر مَن سار معهم، أكلوا زماناً من حياة الأُمّة الإسلامية

في أزماتٍ افتعلوها، استهوتهم اليها مطامعهم الدنيوية الزائلة، وغِلّ امتلأت به الصدور سنينَ طويلة.

وكان هؤلاء (طلحة والزبير) أصحاب النبيّ العظيم ﷺ في حياته، وماذا يقول الإنسان في تلك المواقف المتذبذبة بين الفينةِ والأُخرى بعد وفاة رسول الله ﷺ ؟!

فصاحب اليد الشلّاء (طلحة) مدَّ يده لبيعة عليٍّ عليه السلام أول القوم، فتطيَّر منها عليّ عليه السلام وقال: ما أخلقها أن تنكث[(١)].

وبايع الزبير بين العوّام ـ ابن صفية عمّة النبي ﷺ وعليّ عليه السلام ـ علياً بمحض إرادته، فما حدا ممّا بدا فيما بعد!

أمّا أُمّ المؤمنين عائشة فقد كانت في طريق عودتها الى المدينة بعد أن أتمّت مناسكها، حيث «عرفت أثناء سفرها بمقتل عثمان، وخُبِّرت بأنّ طلحة قد بُويع له، فأظهرت بذلك ابتهاجاً، فقد كان طلحة مثلها تيميّاً ولكنّها لقيت في طريقها من انبأها بحقيقة الأمر بأنّ علياً عليه السلام هو الذي تمتّ له البيعة في المدينة، فضاقت بذلك ضيقاً شديداً وأعلنت أنّها كانت تؤثِر أنطباق السماء على الأرض قبل أن ترى علياً وقد أصبح للمسلمين اماما ثم قالت لمن كان معها: رُدُّوني، فرجعوا بها أدارجهم إلى مكّة. وكان معروفاً أنّ عائشة [رحمها الله] لم تكن تحبّ علياً ولا تهواه...»[(٢)].

والطريف في الأمر أنّ عائشة كانت تبكي عثمان فيما بعد، وتقول: قُتِل عثمان [رحمه الله]، فقال لها عمّار يوماً: بالأمس تحرِّضين الناس عليه واليوم

---

(١) تأريخ ابن الوردي: ١٠ / ١٤٧؛ الإمامة والسياسة: ١ / ٤٧.

(٢) المجموعة الكاملة لطه حسين: ٤ / ٤٥٣.

تبكينه[١].

كان طلحة والزبير قد طلبا من عليٍّ عليه السلام السماح لهما بالخروج للعمرة فأذنَ لهم، وقال لهما حينما استعدا للخروج: ما العمرة تريدان، وإنّما تريدان أن تمضيا الى شأنكما[٢]! ثمّ التفت عليّ عليه السلام لبعض أصحابه قائلاً: « واللهِ ما أرادا العمرة، ولكنّهما أرادا الغدرة »[٣]، أي الى تأليب الناس على الخلافة التي كانت بيعتها في عنقيهما؛ لأنّ علياً لم يجعلهما شريكان في الأمر كما طلبا، فطلحة كان يطمح بولاية الكوفة والزبير يرنو الى ولاية البصرة، ولم يشكّ أحد منهم في ذلك، فأصطدما بعدالة عليٍّ عليه السلام وفقدا أملهما في ذلك الطموح الباطل.

المقدمات المشؤومة:

خرج طلحة والزبير والتقيا عائشة، وخرج معهما عبدالله بن الزبير ومحمد بن طلحة وجمع من المسلمين. ومع خروج أُولئك الثلاثة اعتزل القوم ثلاثة آخرون غيرهم، وهم: ابن عمر وابن الوقّاص وابن مسلمة، حيث قال بحقّهم علي عليه السلام لعمار: دَع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، وأمّا سعد فحسود، وذنبي إلى محمد بن مسلمة أنّي قتلت أخاه يوم خيبر[٤].

أمّا مروان ورهطه فقد هربوا من المدينة والتحقوا بعائشة في مكّة يؤلّبون الناس ضدّ عليٍّ عليه السلام، إنها بداية التمرّد والصراع، وهذه هي حلقه واحدة من حلقات التآمر والغدر ضدّ الخلافة الشرعية وكانت المثابة الأُولى لهؤلاء مكّة،

---

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ٤٧.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٥٢.

(٣) القرآن وروايات المدرستين للسيد العسكري، الكتاب الثاني: ص٥٢٤.

(٤) الإمامة والسياسة: ١ / ٥٤.

وخطّ التماس الأول البصرة، حيث ابتدأ الجدال والنقاش وأعقبه القتال والانتقام.

الموقف الخالد

قبل أن نتعرّض للحديث عن بالناكثين في الرسائل المتبادلة بين الإمام عليٍّ عليه السلام ومعاوية لابدّ لنا أن نعرّج بالذكر للموقف الرائع الذي أظهره أمير المؤمنين عليّ عليه السلام اتّجاه هؤلاء فقد بدأ عليه السلام سيرته المجيدة معهم برسائل أُرسلت اليهم والى أهل الكوفة، حيث العبارات التي لا تحتاج الى تفسير كثير، والحقائق التي لا يمكن إنكارها، ثمّ بيان معالم حركة طلحة والزبير وتمرّدهما فالمقطع الكلامي التالي المقتطع من كتاب عليٍّ عليه السلام المرسَل الى أهل الكوفة بيد ولده الحسن عليه السلام يُبيِّن بعض ما قام به هؤلاء خلال أزمة عثمان، حيث قال عليه السلام: «وكان هذان الرَّجُلان أهونُ سيرهما فيه الوجيف»[١]، أي أنّ طلحة والزبير كانا من المسارِعين الى إثارة الفتنة على عثمان، ولم يكن يخفى على أحدٍ صيحة عثمان التي أطلقها أثناء أزمته حينما سمع «بما يجري خارج الدار فقال: اللهمّ أكفِني طلحة بن عبيد الله فإنّه حمّل عليّ هؤلاء وألبّهم، واللهِ إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يُسفَكَ دمه، إنّه انتهك منّي ما لا يحلّ له»[٢].

ثمّ عبَّر الإمام عليه السلام عن موقف عائشة اتّجاه عثمان بقوله عليه السلام: «وقد كان من أمر عائشة فلتةٌ على غضب»[٣]، حيث كانت دائماً تغضب على عثمان، وتصدر منها فلتات من حالات السخط عليه والكراهية.

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٥٤.

(٢) علي إمام المتّقين: ١ / ١٧٨.

(٣) نهج السعادة: ٤ / ٥٤.

ثمّ استعرض الإمام عليه السلام سيرة هؤلاء النفر بعد مقتل عثمان قائلاً: «وكان هذان الرَّجُلان أول من فعل على ما بويع عليه مَن كان قبلي، ثمّ إنّهما استأذناني في العمرة وليس [إياها أرادا]، فنقضا العهد وأذِنا بحرب، وأخرجا عائشة من بيتها ليتخذانها فئةً..»[1]. بعد ذلك التقيا وجهاً لوجه، ثمّ خرج الزبير من ساحة المعركة مبكّراً، بعد أن ذكّره عليّ عليه السلام بحديثٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله قاله للزبير في حينها، وقتله ابن جرموز في الطريق.

أمّا طلحة فقابله عليّ عليه السلام بأعظم موعظةٍ لِمَن اتّعظ، قائلاً له: «فإن كنت أحدثت حدثاً فسموه لي، وأخرجتم أُمّكم عائشة وتركتم نساءكم، فهذا أعظم الحدث منكم، أرضى هذا لرسول الله صلى الله عليه وآله ان تهتكوا ستراً ضربه عليها، وتخرجوها منه؟ فقال طلحة: إنما جاءت للإصلاح.

قال عليّ: هي لَعَمر الله إلى مَن يصلح لها أمرها أحوج! أيّها الشيخ أقبل النصح وارضَ بالتوبة مع العار قبل أن يكون العار والنار»[2].

وأمّا أُمّ المؤمنين عائشة فعُقِر جملها وسقط هودجها وسط المعركة، ثمّ أعادها عليّ عليه السلام بعزٍّ وشرفٍ الى المدينة، وانتهت أحداث البصرة وجَمَلها؛ لتلد تلك أحداثاً جديدة أُخرى ابتدأت بدفاع معاوية الكاذب عن هؤلاء، والإكثار من المطالبة بدم عثمان.

إنّها مهزلة الدهر أن يكون عليّ عليه السلام وسط هذه الأحداث المدمّرة ولكن شاءت الأقدار أن تجري الأُمور في مجاريها.

كانت تلك صورةً سريعةً لأحداث الجمل في البصرة، ولكنّ أهمَّ أمرٍ كان

---

(١) المصدر السابق: ٤ / ٥٤.

(٢) الامامة والسياسة: ١ / ٧٥.

يشغل فكر الإمام عليه السلام هو قضية إخراج أُمّ المؤمنين عائشة من بيتها، والتي أرادها الناكثون أن تصبح محوراً في تأجيج الفتنة بين النـاس!! وخـلافاً لِـمَا أراده الله تعالى ورسوله لأُمّهات المؤمنين في أن يقرن في بيوتهنّ.

عائشة وإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله بخروجها:

في رسالته الى أهل الكوفة بيّن عليّ عليه السلام حال طلحة والزبير إبّان الفـتنة، وأعاد الى الأذهان حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي دَثَروه وخلّفوه وراء أظـهرهم: «ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب»[1]، فقد قـال عـليّ عليه السلام مـظهراً ذلك: «وقد ركبت المرأة الجمل نبحتها كلابُ الحوأب، وقامت الفـئةُ البـاغية بـقَودِها يطلبون بدمٍ هم سفكوه، وعرضٍ هُمْ شتمُوهُ، وحُرمةٍ أنتهكوها، وَأَباحُوْا ما أَباحُوا، يعتذرون إلى الناس دون الله، يحلفون لكم لِتَرضَوا عنهم»[2].

المرأة هنا كما هو معلوم هي أُمّ المؤمنين عائشة، وذكر «كلابُ الحوأب» لأنّ ذلك مصداق لأحقّيّة عليٍّ عليه السلام ومظلوميّته، وبطلان ادّعاءات ناكـثي بـيعته، ولبيان الحادثة التأريخية وعلاقتها بحديث الرسول صلى الله عليه وآله نذكر في هذا الشأن أنّ القوم الناكثين اشتروا جمل المعركة الذي ركبته عائشة من ـ العُرنيّ ـ في الطريق، وقد طلبوا منه أن يدلّهم على الطريق، فسار الرجل معهم، وكان لا يمرّ على وادٍ أو ماءٍ إلّا وسألوه عنه. يذكر الطبري في تأريخه ما قاله العُرنيّ حينما كان يُسمٍّ لهم الأماكن، قال العُرني: «حتى طرقنا ماء الحوأب فنبحتها كلابُها، قـالوا: أيّ مـاءٍ هذا؟ قلتُ: ماء الحوأب، قال: فصرخت عاشةُ بأعلى صوتها، ثمّ ضـربت عَـضُد

(١) الكامل في التأريخ: ٢ / ٣١٥.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٥٩.

بعيرها فأناخته، ثمّ قالت: أنا واللهِ صاحبةُ كلابِ الحوأب طُروقاً، رُدُّوني! تقول ذلك ثلاثاً، فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك، وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد.

قال: فجاءها الزبير فقال: النّجاء النّجاء، فقد أدرككُم واللهِ عليّ بن أبي طالب! قال: فارتحلوا وشتموني، فانصرفت»(١).

ثمّ ذكر الطبري في جانبٍ آخر عن عائشة حينما سمعت نباح الكلاب في الطريق أنها قالت: «أيّ ماءٍ هذا؟ فقالوا: الحوأب، فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! إنّي لَهِيَ، قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وعنده نساءه: «ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب!» فأرادت الرجوع، فأتاها عبدالله بن الزبير فزعم أنّه قال: كذب من قال: إنّ هذا الحوأب، ولم يزل حتى مضت»(٢).

وقد ذكر الدينوري في الإمامة والسياسة أكثر من ذلك، حيث ان رسول الله ٦ قال لها: «[وإياكِ أن تكوني أنت يا حُمَيراء] فقال لها محمد بن طلحة: تقدَّمي رحمك الله،ودعي هذا القول، وأتى عبدالله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلّفته أول الليل وأتى ببيّنة زورٍ من الأعراب فشهدوا بذلك، فزعموا أنّها أول شهادة زورٍ شُهِدَ بها في الإسلام»(٣).

هذا هو التأريخ بصورته الحقيقية، غشّوا زوجة النبي صلى الله عليه وآله التي ربّما استفاقت وعيها لحظة وأدركت خطر حركتها بنباح كلاب الحوأب، وتذكّرت خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله لها، فخافت وعزمت على النكوص، إلّا أن الذين يدّعون

---

(١) تأريخ الطبري: ٣ / ١١.

(٢) المصدر السابق: ١٨ / ١١؛ والكامل في التأريخ: ٢ / ٣١٥؛ والعقد الفريد: ٤ / ٣٠٥.

(٣) الإمامة والسياسة: ١ / ٦٣.

حمايتها والدفاع عنها كذبوا عليها وشهدوا شهادة زورٍ باطلة، وبالنهاية أقنعوها بأنّ ما تتحدّث عنه مجرّد إيحاءاتٍ فارغةٍ لا أساس لها، وكأنّـهم كـذّبوا رسـول الله ﷺ أيضاً.

هذا هو واقعهم المرّ، فكيف يثق الإنسان بصدق أو إيمان من يفعل هكـذا أعمال؟ وظلّت كلمة عليٍّ عليه السلام: ـ« **قد بايعني طلحةُ والزبير طائعين غير مكرَهَين، ثمَّ خرجا يطلبان بدم عثمان، وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا** »[1] ـ صـوت الحـقّ الذي يُدوّي على مرّ التأريخ ليُثبت أحقّيّته المشروعة، وليُبطِل سـحر المـبطِلِين الذين حشوا كتبهم بالغثّ إرضاءً لأسيادهم، تُرى هل يستفيق المـتأخّرون مـن غشية النعاس الفكري؟

ثمّ لِيَنظر هؤلاء الذين لا يـرون التأريـخ بـصورته الحـقيقية الى خـطاب عليٍّ عليه السلام الذي يقول فيه: « **وعجبت لهما كيف أطاعا أبا بكر وعمر في البيعة وأبَيَا ذلك عَلَيَّ، وهما يعلمان أنّي لستُ بدُونِ واحدٍ منهما؟! مع أنّي قد عرضتُ عليهما قبل أن يبايعاني إذا أحبّا بايعتُ لأحدهما، فقالا: لا ننفسُ عـلى ذلك، بـل نـبايعك ونقدِّمُك علينا بحقٍّ، فبايعا ثمّ نكثا** »[2].

أيّ ظلمٍ لعليٍّ عليه السلام هـذا الذي يـرتكبه هـذان الصـحابيان إذ يـبايعان ثـمّ ينكثان؟! وقبل هذا عرض عليهما البيعة لأحدهما فقالا بأنّهما لا ينفسان عـليه المنصب، وطلبا بيعته، واعتبرا تقديمهما علياً عليه السلام كـان بـحقٍّ ليس إلّا، بـعد ذلك ينكثان ثمّ يتّهمان علياً عليه السلام بما أرتبط بهما وثبت عليهما، وليس لعليٍّ عليه السلام مَن ذلك في شيء.

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٦٠.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٦٠.

عليّ والدعوة الىٰ السلام:

لعليٍّ عليه السلام مواقف كريمة مع طلحة والزبـير، ولم يكـن ليـنتقم مـنهما بـعد انخراطهما في التيّار التمرّدي الذي قاداه، وكان يأمل منهما العـودة الى الطـاعة، وأوصى عثمان بن حنيف بمحاورتهما! فلربّما يتخلّيان عمّا تلبّس في عـقليهما من مطاعن باطلة، وأقوالٍ مختلَقَة، وإصرارٍ قاتلٍ على الحرب، فكان هناك أيضاً عمران بن الحصين وأبا الأسود الدُؤلي في ساحة السلم يدعون طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين الى ترك النزاع المسلّح، إضافةً الى ما قام به عبد الله بن حكيم التميمي حينما قدم على طلحة والزبير وأتى بكتابٍ كانا قد كتباه إليه «فقال لطلحة: أَمـا هذه كتبك إلينا؟

قال: بلى.

قال: فكتبت أمس تدعونا الى خلع عثمان وقتله، حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه!

وخرج عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير فـي أصـحابه، فـناشدهما الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما لعليٍّ...

فقالا: نطلب بدم عثمان، فقال لهما: ما أنتما وذاك؟

أين بنوه... أين بنو عمّه الذين هم أحـقّ بـه مـنكم؟ كـلاّ والله، ولكـنّكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل أحد أشدّ علىٰ عثمان قولاً منكما؟ فشتماه شتماً قبيحاً!»[1].

ثمّ بعد ذلك دار حوار مع طلحة والزبير قبل بدء المعركة، وحاول فيه الامام علي عليه السلام إقناعهما بالعدول عن رأيهما مذكّراً إيّاهما بأحـاديث رسـول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) علي ومناوئوه للدكتور جعفر نوري: ص١٤٦؛ الغدير: ٩ / ١٥٧؛ شرح النهج: ٩ / ٣١٩.

وقد بحثنا ذلك مسبقاً، فراجع.

هذه كلّها رسائل سلامٍ لقومٍ نكثوا وبغوا واستحوذ عليهم الشيطان...!

ومن جملة نداءات الحقّ السلمية الى الثلاثة ما يلي: « **فإن كنتما بايعتماني كارهَين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية، فإن كنتما بايعتماني طائعَين فارجعا الى الله من قريب** »(١).

ثمّ توجّه إليهم بصريح العبارة: « **إنّك يا زبير فارسُ رسول الله ﷺ وحواريُّهُ، وإنّك يا طلحة لَشيخ المهاجرين، وإنّ دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه [بعد] إقراركما به** »(٢) وكذلك قوله عليه السلام لهما: « **فارجعا أيُّها الشيخان عن رأيكما، فإنّ الآنَ أعْظَمَ أَمْرِكُمَا العَارُ مِنْ قبل أَنْ يتجمّعَ العَارُ والنَّارُ، والسلام** »(٣).

بعد هذا توجّه الى عائشة قائلاً لها: « **أمّا بعدُ، فإنّك خرجتِ من بيتك عاصيةً للهِ ـ عزّ وجلّ ـ ولرسوله محمدٍ، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثمّ تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين المسلمين، فَخَبِّرينِيْ ما للنساء وقَوْدِ العساكر والإصلاح بين الناس... وما غضبت حتى أُغضِبْتِ، ولا هِجْتِ حتّى هُيِّجْتِ، فاتّقِ اللهَ يا عائشة، أرجعي إلى منزلك وأسبِلِي عليكِ ستركِ** »(٤). ثمّ أرسل رسله إليها محذّراً ومذكِّراً وطالباً العودة الى طاعة الله، قائلاً لها: « **ما أطعت الله ورسوله حيثُ أَمرك الله بلزوم بيتك، فخرجت تُرددِّين العساكر** »(٥).

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٦٣.

(٢) الإمامة والسياسة: ١ / ٧٠.

(٣) تصنيف نهج البلاغة: ص٥٣٣.

(٤) نهج السعادة: ٤ / ٦٥.

(٥) نهج السعادة: ٤ / ٦٧. (راجع مصادره في الكتاب المذكور).

ثمّ توجّه الى طلحة والزبير قائلا لهما: « ما أَطَعتُما الله ولا رسوله حيثُ خلّفتم حلائلكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله »[١].

لم يَدَعْ أمير المؤمنين عليه السلام لحظةً واحدةً يأمل فيها أن يعود هؤلاء الى رشدهم إلّا واستثمرها بنصحٍ وإرشادٍ ودعوةٍ الى الله، ثمّ تأنيبه عائشة لخروجها مع القوم وإثارة هذه الفتنة الهوجاء « فلم ترضيْ بالخروج عن أمر الله في تَبَرُّجِكِ وخروجك من بيتك الّذي أمرك النبيّ بالمقام فيه، حتى سرتِ إلى البصرة، فقتلتِ المسلمين، وعمدتِ إلى عمّالي فأخرجتِهِمْ وفتحتِ بيتَ المال، وأمرتِ بالتنكيل بالمسلمين وأَبَحْتِ دماءَ الصالحين »[٢].

أمّ المؤمنين بين الحقّ وخلافه:

إدانة صريحة من عليٍّ عليه السلام لعائشة لا تقبل التفسير ولا التأويل، حقائق دامغة عرضها لها؛ لِمَا قامت به من أعمالٍ تخالف أَوامر الله تعالى وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، لكنّها لم تستجب. أمّا السؤال هنا: لماذا كانت ترفض علياً عليه السلام وهي تعلم بموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وحقّه في هذا الأمر، وهي على معرفةٍ تامةٍ بذلك، ورغم ذلك تمسّكت برأيها، وأصمّت سمعها أمام حجّة عليٍّ عليه السلام ونداءاته؟! ولقد صاح عليّ عليه السلام بطلحة والزبير قبل التطاعن والقتال أَنْ « أستلحفا عائشة بحقّ الله وبحقِّ رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجلاً من قريش أولى منّي بالله ورسوله، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين، وكفايتي رسول الله كفّار العرب بسيفي ورمحي، وعلى براءتي من دم عثمان، وعلى أنّي لم أستكره أحداً

---

(١) المصدر السابق: ٤ / ٦٧.

(٢) المصدر السابق: ٤ / ٦٨.

على بيعة، وعلى أنّي لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما؟!»[١].

في هذه المعاني دلالة كافية لإثبات حجم المظلومية التي عاشها علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلى أحقّيته التي هضمها هؤلاء، ولمّا لم يكن عليّ عليه السلام على علمٍ تامٍّ بمعرفة عائشة بما يكنّه رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا طلب سؤالها وإشهادها، وإذا كانت كذلك فلماذا لم تتّخذ تلك الحقائق مرتكزاً لسلامة موقفها ونزاهتها أمام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، والذي يعلم بالحقّ ويعمل خلافه ليس عند الله تعالى في شيء، كالذي يجهل ولا يدرك.

بغض له جذور:

لماذا إذن بغض عائشة لعليّ عليه السلام، إنّه أمر يدعو للتساؤل والتأمّل، فقد كتب الكثير من ارباب السير والتأريخ في هذه القضية التي لولاها لَما حدث ما حدث، وكلٌّ أعطى رأياً ونظراً.

فمنهم يرجّع ذلك الى قرب عليٍّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت تودّ أن يكون أبوها أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وآله.

ورأي آخر يقول: إنّها لم تكن تحبّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله من زوجته خديجة الكبرى عليها السلام؛ لحبِّ أبيها لها وتعلّقه بها كثيراً.

وإضافةً الى ذلك فهناك آراء أُخرى لها وزنها أيضاً، ومن ذلك ما أبرزه الدكتور طه حسين في كتاباته، حيث قال: «وكانت تُنكر على عليٍّ فيما أعتقد أمرين آخرين: أحدهما لم يكن لعليٍّ فيه خيرة، فقد تزوّج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ورُزِق منها الحسن والحسين عليهما السلام فكان أبا الذرّية الباقية للنبيّ، ولم يُتَح

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ٧١.

لها الولد من رسول الله صلى الله عليه وآله »[١].

ويضيف طه حسين سبباً آخر، وهو: زواج عليٍّ عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام من أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة أبيها بعد وفاة أبي بكر، وهي أُمٌّ لمحمد ابنه الذي ربّاه الإمام عليّ عليه السلام ونشأ في حجره، وهو أخو عائشة، ومن أشدّ المتحمّسين والمخلصين لعليٍّ عليه السلام.

فهل هذه هي الدوافع للكراهية والحقد على عليّ عليه السلام، أم أنّ هناك أُموراً أُخرى لا نعلمها؟! الحقيقة أنّ كلّ هذه العوامل تدافعت في نفس عائشة لتخلق في قلبها شأناً آخر لعليٍّ عليه السلام أبرزته الأحداث التي قادتها ضدّ عليٍّ عليه السلام!!

وخاتمة القول: لقد ذُكر يوماً عليّ عليه السلام في حضور عائشة فقالت: **« ما رأيت رجلاً أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منه، ولا رأيت أمرأةً أحبَّ إليه من أمراته »**[٢].

إذا كانت أُمّ المؤمنين عائشة تعلم ذلك فلماذا إذن خالفته؟! ألم يكن حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله لإنسانٍ ما دافعاً لنا لحبّه؟! فكيف إذن بعليٍّ وفاطمة عليهما السلام اللذَين لم يكن أحد أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله منهما؟!

طلحة والزبير وضياع الإرادة:

يعتبر طلحة والزبير من كبار الصحابة الأوائل، لكنّهما ضاعا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسط الهجمة الشرسة على دار فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وأصبحا يلوذان بعليٍّ عليه السلام لحلّ مشاكلهما تارةً، ولإنقاذ نفسيهما تارةً أُخرى، ثمّ وثبا على عثمان للخلاص منه، وقد ساعدا الثّوار بشكلٍ أو آخر ودعما ثورة الجماهير،

---

(١) المجموعة الكاملة لطه حسين: ٤ / ٤٥٤.

(٢) العقد الفريد: ٤ / ٢٨٧.

وبايعا علياً عليه السلام، ثمّ ما برحا يطلبان الحضوة والملك ونكثا بيعتهما له، فكان من أمرهما ما كان حيث انسحب الزبير من المعركة، ثمّ قتله ابن جرموز في طريق العودة، وقتل طلحة بن عبيدالله بسهمٍ رماه مروان بن الحكم بعد أن رأى منه تردّداً في مسايرتهم لقتال عليٍّ عليه السلام.

من خلال استعراض مسيرة الرجلين يتبيّن لنا ضياعهما وسط الأحداث المتتابعة بعد وفاة سيّد البشر محمدٍ صلى الله عليه وآله؛ لِمَا ساورتهما نفسيهما للانجرار وراء الدنيا والطموحات الغير المشروعة، وقد فصّل الإمام عليّ عليه السلام وضعهما النفسيّ وطموحاتهما المتنوّعة، وما يحمل كلّ منهما لصاحبه في كلامٍ له عليه السلام حيث قال: «كُلُّ واحدٍ مِنهُما يَرْجو الأمْرَ لَهُ ويعطفُهُ عليهِ دُونَ صاحبه، لا يُمتّان إلى اللهِ بحبلٍ، ولا يَمُدَّانِ إليه بسببٍ، كُلُّ واحدٍ مِنْهُما حامِلُ ضُبٍّ (أي حقد) لصاحبه. وعَمَّا قليلٍ يُكشَفُ قناعُهُ به. واللهِ لَئِن أصابُوا الَّذي يُريدُون لينتزعنَّ هذا نَفَس هذا، وليأتينَّ هذا على هذا»[1].

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام أوضح حديثٍ حدّد فيه الحالة النفسية والوضع الشخصي لطلحة والزبير، فعليّ عليه السلام ذلك الرجل الذي عاش معهما عمراً طويلاً؛ وعاشرهما دهرهما كلّه تقريباً؛ وخَبَرهما عن قرب قد أظهر ماأخفياه وما كان مستوراً عنهما كذلك، فأعطى المصداقية على القول بتردّد هؤلاء في المواقف جميعها، وعدم التزامهما بعهدٍ ولا بيعة.

* * *

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص٥٣٢.

الفصل الخامس

في ساحة معركة الجمل

معاوية وأصحاب الجمل:

لم يكن معاوية في حياته التي قضاها أميراً، وبالأخصّ الأيام التي نـاجز فيها علياً عليه السلام إلّا رجلاً استخدم المكر والخداع واستثمار الأحـداث التـي جرت للتلاعب بمشاعر وعقول بسطاء الناس من الشاميّين وغيرهم.

لقد تابع أحداث الفتنة الكبرى بدقّة كاملة، وصار مـوقفه بـصورةٍ عـامّة كالمترقِّب الذي ينتظر انجلاء الغبرة وما ستسفر عنه الأحداث من نـتائج حـتى يحدِّد مواقفه الجديدة ويستعدّ للمواجهة وكسب المعركة لصالحه.

هناك محوران أساسيّان خطّط على ضوئهما معاوية سـياسته المسـتقبلية وهما:

الأول: يكون مع مقتل طلحةوالزبير وأُمّ المؤمنين عائشة.

والثاني: يكون في حالة اندحار جيش الخلافة الشرعية بقيادة عـلي عليه السلام وانتصار جيش الناكثين بقيادة الثلاثة.

فإن حدث واستدار الأمر كما رُسِم في المحور الأول فسيظهر معاوية نادباً صائحاً بأعلى صوته بين جمهور المسلمين: يا للمصيبة التي حـلّت بـالإسلام!! بالأمس قتل الخليفة المظلوم عثمان واليوم يُقتل حواريّـو رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأُمّ المؤمنين زوجة النبي العظيم، بسبب مطالبتهم بدم الخليفة المقتول عـثمان، ثـمّ يدّعي أنّها كارثة حقيقة أصابت الإسلام في صميمه، ومن لا يعرف حقيقة الأمر (وهم الكثرة من البسطاء) تجري عيناه دمعاً حينذاك، ويلتهب صدره ناراً لأخـذ الثأر من عليٍّ عليه السلام وجيشه الذي سيصوِّره معاوية بالقاتل الغاصب وسيكون مـن

جانب المقتولين للمطالبه بدمائهم، والترويج لهذه المصيبة ضدّ عليٍّ عليه السلام كما فعل في قمتل عثمان.

وأمّا لو حدث وجرت الأُمور كما رُسِم في المحور الثاني فسيظهر معاوية الى الساحة السياسية كأقوى منافسٍ في جبهةٍ سياسيةٍ عسكرية ومادية كبرىٰ تستطيع أن تهيمن على مقاليد الأُمور وزعامة الأُمّة وبأسرع وقت، وفي هذا له طريقان:

الأول: إذا لم ينضوِ الثلاثة المنتصرون ـ افتراضا ـ تحت لوائه فانّه سوف يتّهمهم بالخروج علىٰ طاعة الخليفة الشرعي، ونكث البيعة، وقتلهم الخليفة الراشدي الرابع، وهذا الأمر سهل بالنسبةالى معاوية، الذي يستطيع أن يتلوَّن بألوانٍ عديدةٍ في ساعةٍ واحدةٍ، بل في لحظات.

والثاني: يروِّضهم ويمنّيهم ويتوعَّدهم ويهدِّدهم تلميحاً بالقتل، كما فعل سابقاً إبّان المحنة الهوجاء مع عثمان؛ للقدرة التي يتمتّع بها وبدون منازعٍ أمام جبهةٍ ملتئمةٍ ظاهرياً مفكّكةٍ داخلياً، وليس صعباً عليه أتّهام طلحة والزبير وعائشة وسوقهم في خدمته، حيث إنّ جيشهم فيه الكثير من المؤيِّدين لمعاوية.

إذن سيكون معاوية كما يتصوّر نفسه منتصراً في كلّ الأحوال، أما الذي حدث وجرى إنّ جيش الجمل قد خسر معركته مع الخلافة الشرعية المتمثّلة بعليّ عليه السلام، وقُتِل الناكثون، وعقر جمل الفتنة وسقط، وأُعيدت أُمّ المؤمنين بكلّ عزٍّ ووقارٍ الى المدينة وبأمر عليٍّ عليه السلام.

وهنا سارع معاوية الى تطبيق خطّته المعدَّة مسبقاً، كما ذكرنا وأطلقنا على ذلك «المحور الأول»، فأخذ يكرِّر في أغلب رسائله ذكر طلحة والزبير وعائشة، حيث قال في رسالةٍ له بعثها الى عليٍّ عليه السلام: « **وقد انتهى إليَّ ما فعلت بحواريِّ رسول الله صلى الله عليه وآله طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين عايشة، فوالله لأرمينّك بشهابٍ لا**

تطفيه المياه، ولا تزعزعه الرياح»[١].

إنّ معاوية الذي أرهبه وأقضّ مضجعه السلطاني وجود عليٍّ عليه السلام على سدّة الخلافة لم يجد بدّاً من رفع أسماء طلحة والزبير في ذلك الوضع السياسيّ المعقَّد، مع أنّه لم يَكُنَّ لهما أيّ احترامٍ أو منزلةٍ أو مودّة تُذكَر، بل يبغضهما كثيراً، وقد هدّدهما أيام عثمان واتّهمها بقتل الخليفة الثالث فيما بعد، لكنّه حاول استغلال ذلك ـ كما أسلفنا في رسائله المتعدّدة ـ حيث قال في واحدةٍ ـ مثلاً ـ مخاطباً الإمام علياً عليه السلام «ثمّ ما كان منك بعدما كان من قتلك شيخيَ المسلمين أبي محمد طلحة وأبي عبدالله الزبير، وهما من الموعُودين بالجنّة، والمبَّشر قاتل أحدهما بالنَّار في الآخرة»[٢].

«إنّ طلحة والزبير قتلا أنفسهما ببغيهما ونكثهما، ولو استقاما على الطريقة لسَلِما، ومن قَتَلَه الحقُّ فدمه هدر، وأمّا كونهما شيخَين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع»[٣]، هذا جانب، وأمّا الجانب الآخر من قول معاوية: إنّهما مبشَّرين بالجنّة «فمشروط بسلامة العاقبة، والكلام في سلامتهما، وإذا ثبتتْ توبتهما فقد صحّ الوعد لهما وتحقّق، وقوله: [بشِّر قاتل ابن صفيّة بالنار] فقد اختُلف فيه، فقال قومٌ من أرباب السِّيَر وعلماء الحديث: هو كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام غير مرفوع، وقوم منهم جعلوه مرفوعاً، وعلى كلِّ حالٍ فهو حقّ لابن جرموز قَتَله مولِّياً خارجاً من الصفّ، مفارقا للحرب، فقد قتله عن توبةٍ وإنابةٍ ورجوعٍ من الباطل، وقاتلُ مَنْ هذه حاله فاسقٌ مستحقّ للنار»[٤]، وهناك بحوث في هذا الشأن لا مجال هنا لمناقشتها دفعاً للإطالة.

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٨١.

(٢) شرح النهج: ١٧ / ٢٥٢.

(٣) المصدر السابق: ١٧ / ٢٥٤.

(٤) المصدر السابق: ١٧ / ٢٥٤.

الاعتراف والتلاعب:

بعد أن عرفنا مواقف معاوية وتفاوتها بين الحين والآخر يظهر لنا جليّاً حجم التناقض في رسائله التي أرسلها للإمام عليه السلام بعد مقتل طلحة والزبير، فبعد أن ادّعى حقّانيتهم ومظلوميّتهم يثبّت هنا بطلان أمرهما وعدم شرعيّة خروجهما على الإمام عليه السلام من حيث يعلم أوْ لا يعلم، فقد قال في إحدى الرسائل: « ولَعَمري ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة، ولا حجّتك عليَّ كحجّتك على طلحة والزبير، كانا بايعاك ولم أُبايعك أنا »[١].

إذن فهو يعلم أنّ الحواريّين قد نكثا بيعتهما، وبذلك حقّ عليهما القتال بخروجهما ضدّ الإمام عليه السلام. لقد كشف معاوية بذلك الغطاء عن حقيقة المطالبة بما ادّعى سابقاً حول طلحة والزبير، ثمّ اعترف ضمناً بأنّهما قد نكثا البيعة التي في عنقيهما، وظهر واضحاً أنّ كلّ ما ذكره معاوية حول الثلاثة (أصحاب الجمل) كان مجرّد إعلامٍ سياسيٍّ مضادٍّ، وتلاعب في مواقف المسلمين، غايته خلط الأوراق، وبثّ الشبهات، وإيجاد التشويش والتشويه العقائدي لدى جميع المسلمين، إلّا أنّ الإمام علياً عليه السلام لم يترك أمر الجواب على ذلك جانباً، إنّما دمغ معاوية بالحجة البالغة من خلال الرسائل المرسلة إليه، ومنها قوله عليه السلام: **« وأمّا تمييزك بين أهل الشام والبصرةِ وبينك وبين طلحة والزبير فلَعَمري فما الأَمرُ هناك إلّا واحدٌ؛ لأنّها بيعةٌ عامَّةٌ لا يتأتّى فيها النظر، ولا يُستَأْنَفُ فيها الخيار »**[٢].

* * *

(١) نهج السعادة: ٤ / ٩٢.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٩٤.

الباب السادس

معاوية في تأليبه
وتعبئته الشام ضدّ عليٍّ عليه السلام

الفصل الأول

كذب وتضليل

ومحاولة استمالة بعض الرموز

تهديدات فارغة:

كما سار الوضع في استخلاف الخلفاء الثلاثة الأوائل كان على معاوية أن يتّبع ذلك مع علي عليه السلام حيث المعروف أنّ من يتسلّم أمر هذه الأُمّة يبعث برسله وولاته الى الأمصار كافّة ومن يُقرّه يبقىٰ في مكانه، بعد أخذ البيعة منه والعهود والمواثيق التي يطلبها الوضع الجديد، ومن يُعزل يسلِّم الأمر الى من يخلفه في ذلك، وهذا أمر طبيعي كما حدث للإمام عليه السلام، فما أن تسلَّم عليّ عليه السلام الخلافة ـ بعد إصرار الأُمّة بالبيعة له ـ أرسل مبعوثِيه الى الولايات بإخبارالولاة السابقين من أجل مبايعتهم له، ومن ضمنهم معاوية بن أبي سفيان والي عمر وعثمان على بلاد الشام، حيث أمره بالقدوم الى المدينة مع أشراف أهل الشام للبيعة، وربّما كان ذلك بداية عزل معاوية عن السلطة، فقد ورد عن الواقدي في كتاب الجمل: أنّ أول كتابٍ بعث به الإمام عليّ عليه السلام الى معاوية عندما بويع بالخلافة كان هذه نصّه:

«من عبدِالله عليٍّ أمير المؤمنين الى معاوية بن ابي سفيان: أمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلمتَ إعذاري فيكُمْ وإِعراضي عنكُمْ، حتّى كانَ ما لا بُدَّ منْهُ ولا دفع له، الحديث طويل والكلام كثيرٌ، وقد أدْبَرَ ما أدبرَ، وأقبلَ ما أَقْبلَ، فَبايعْ مَنْ قبْلَكَ، وأقبِلْ إِليَّ في وفدٍ من اصحابكَ»[1].

إنّ هذا لم يَرُقْ لمعاوية أبداً، فهو يريد أن يعتصم بقلاع الشام ويأتيه كتاب

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ١٨.

الإقرار بالبقاء على الولاية الذهبية، ورغم توالي الرسائل من عليٍّ عليه السلام إليه فلم يزده ذلك إلّا عناداً أكثر لخوض غمار معركة الموت مع عليٍّ عليه السلام، فظلّ يناوِر بكلّ أساليبه ووسائله وأسلحته، وأخذ يتهدّد علياً عليه السلام بحربٍ طويلةٍ، أو كما يقول: «فأيْمُ اللهِ لأرمينَّكَ بشهابٍ لا تُذكيه الريح، ولا يطفيه الماء، فإذا وقع وقب، وإذا مسّ ثقب، ولا تحسبني كسحيم أو عبد القيس، أو حَلوان الكاهن»(١).

ولكن لنتساءل هل أنّ معاوية حقاً كان بهذا الحجم من التحدّي والاستعداد للقتال، أم أنّه مجرّد رجل مناورةٍ وخداع يحاول مسك العصا من وسطها؟! وقد أسلفنا أنّه ما كان ينادي به ويلعبه من أدوارٍ مشبوهةٍ وما يناور به في هذا المجال ليس إلّا طمعاً في البقاء على ولاية الشام والتمتع بمواردها المتنوعة ونعمها الوافرة والغطرسة في الحكم.

معاوية والحرب الإعلامية:

سعى معاوية سعى جاهداً إلى استغلال الحالة السياسية القلقة بعد مقتل الخليفة الثالث لصالحه، وكان يدفعه لذلك يقينه الثابت في أنّ علياً عليه السلام سوف لا يُقرّه على ولايته، فأسرع معاوية الى أخذ البيعة لنفسه من توابع الشام، أو تحريك البعض ممَّن لم يعِ شيئاً الى تلقيبه بالقاب شتىٰ لا يستحقها، ومن خلال ذلك حصل على بعض أهدافه المؤقّتة، وبقي لديه أمر لابدّ له من معالجته، وهو وضع «سيناريو» جديد يكون كمسوِّغ له أمام العامّة من الناس يدفعه الى التمرّد على الخليفة الشرعي المنتخب من قِبَل الأُمّة، من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، والذين يحملون قوّة التأثير السياسي والاجتماعي وحتى

(١) المصدر السابق: ٤ / ٧٩.

النفسي على المجتمع الإسلامي في عرض البلاد وطولها، وبالذات في الحجاز والمدينة المنورة.

ومن أجل هذا اتّخذ من قضية مقتل الخليفة الثالث جملاً يـركبه لتـحقيق مآربه، فنشر قميص عثمان الملطّخ بدمه «مع اصابع نائلة زوجـته» عـلى مـنبر المسجد في الشام يستدرّ عواطف الناس الذين لا يعرفون حقيقة الأُمور عدا ما يقوله لهم معاوية، ثمّ اتّخذ من نفسه وليّ الدم، فأرسل كتاباً الى الإمام عليه السلام تضمّن مختلف أنواع الكذب والتمويه والتضليل، وابتدأ كتابه بسلام الله على مـن اتّـبع الهدى، وكأنّ الإمام علياً عليه السلام ليس من أهل الهدى، ولم يتّبع إلّا هواه.

ثمّ قال له في كتابه: «أمّا بعد، فإنّا كنّا نحن وإيّاكم يداً جامعة، وألفه أليفة، حتى طمعت يابن أبي طالب فتغيّرت، وأصبحت تعدُّ نفسك قوياً على من عاداك، بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق، وحمقى الفسطاط وغوغاء السواد، وأَيْمُ اللهِ لينجلينّ عنك حمقاها، ولينقشعنّ عـنك غـوغاؤها انـقشاع السـحاب عـن السماء. قتلت عثمان بن عفّان، ورقيت سلّماً أطلعك الله عليه مطلع سوءٍ عليك، لا لك...»[1].

فأجابه الإمام عليه السلام: «أمّا بعد، فقدِّر الأُمورَ تقدير من ينظر لنفسه دون جنده، ولا يشتغل بالهزل من قوله، فلَعَمري لَئِن كانت قوّتي بأهل العراق أوثق عندي من قوّتي بالله ومعرفتي به ليس عنده بالله تعالى يقين مَن كان على هذا فـناجِ نـفسك مناجاةَ من يستغني بالجدّ دون الهَزْل، فإنّ في القول سَعةً، ولن يغزر مثلك في ما طمح إليه الرجال. وأما ما ذكرت من أنّا كنّا وإيّاكم يداً جامعةً فكنّا كما ذكرت، فَفَرْقُ بيننا وبينكم: أنّ الله بعث رسولَه مِنّا فآمنّا به، وكفرتم..!»[2].

---

(١) الامامة والسياسة: ١ / ٨٠.

(٢) الإمامة والسياسة: ١ / ٨٠.

إنّ معاوية حاول الاستفادة من كلّ فرصةٍ ممكِنة لكي يبثّ سمومه في المجتمع، وقد حذّره الإمام من مغبّة شقّ عصا الطاعة وتفريق المسلمين شتاتاً، وهو في الحقيقة خروج على الدين الحنيف.

البجلي ورسالة عليٍّ عليه السلام:

طلب الإمام عليّ عليه السلام من جرير بن عبدالله البجلي أن يذهب الى معاوية بكتابه المعروف، والذي جاء في قسمٍ منه: «أمّا بعد، فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنّه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا، فلم يكن للشاهد أن يختار؛ وللغائب أن يردّ»[1].

حينما وصل مبعوث عليٍّ عليه السلام الى الشام أبطأه معاوية، وأخذ يمطاله ويستمهله، وقد ذكر ابن عبد ربّه في العقد الفريد أنّ عليّ بن أبي طالب كتب: «إلى جرير بن عبدالله، وكان وجّهه إلى معاوية في أخذ بيعته، فأقام عنده ثلاثة أشهرٍ يماطله بالبيعة..»[2].

لقد ظنّ البعض من أصحاب الإمام عليه السلام بجرير البجلي الظنون، فمنهم من ظنّ أنّه مال الى معاوية، وآخرون قالوا: إنّه سجن لطول مدّة بقائه، وكانت تلك فتنة سفيانية لها آثار نفسية على بعض أصحاب الإمام عليه السلام.

لقد سأل معاوية جريراً عن رأيه في أن يقوم بإرسال كتابٍ الى الإمام عليٍّ عليه السلام، حيث قال: «إنّي قد رأيت رأياً، قال جرير: هات، قال معاوية: اكتب الى عليٍّ أن يجعل لى الشام ومصر جبايةً، فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحدٍ من بعده

---

(١) المصدر السابق: ١ / ٩٣.

(٢) العقد الفريد: ٤ / ٣٠٥.

في عنقي بيعة، وأُسلِّم إليه هذا الأمر، وأكتب اليه بالخلافة، قال جرير: اكتب ما شئت »[١].

كشف الدينوري في الإمامة والسياسة لعبة معاوية في كلامٍ يحمل معنى جميلاً قائلاً: « وإنّما اراد معاوية في طلبه الشام ومصر أن لا يكون لعليٍّ في عنقه بيعة، وأن يُخرِجَ نفسه ممّا دخل فيه الناس، فكتب إلى عليٍّ يسأله ذلك، فلما أتى علياً كتاب معاوية عرف أنّها خدعة منه »[٢].

عند ذلك كتب الإمام علي الى جرير: « أما بعْدُ، فإِنّ مُعاويةَ إنّما أراد بما طلب أَلّا تكُوْنَ في عُنُقِهِ بيعةٌ، وأن يختار من أَمرِهِ ما أحبَّ، وأراد أَنْ يُريثَكَ حتى تَذُوقَ أَهْلَ الشام، وَقَدْ كانَ المغيرةُ بْنُ شعبةَ أشار عَلَيَّ وأَنا بالمدينةِ أَنْ أَستعمِلَ معاويةَ على الشام فأبيتُ ذلك، ولم يكن اللهُ ليراني أن أتّخِذَ المضِلِّينَ عَضُداً، فإِنْ تابَعَكَ وإلّا فأقبِلْ »[٣].

لقد كانت كلمات عليٍّ عليه السلام هي الدين بحقيقته، وليس تتبّع المنهج السياسي المصلحيّ أو الميكافيلي، ولو كان عليّ بن ابي طالب عليه السلام قد « اتّخذ المضلّين عضداً » له في إدارة شؤون الأُمّة الإسلامية لما كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي ربّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ذاك الذي ضحّى بحقّه من أجل بقاء دينه وسلامة أُمة الإسلام ودولتها الإلٰهيّة.

ثمّ كتب الإمام عليه السلام رسالة آخرىٰ الى جرير يستحثّه على العودة إذا رفض معاوية شروطه، قال عليه السلام فيه: « أمّا بعد، فإِذا أَتاك كتابي هذا فاحملْ معاويةَ على

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج السعادة: ٤ / ٩٧.

الفصلِ، وَخُذهُ بالأَمرِ الجزم، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَربٍ مُجليةٍ أو سلمٍ محظيةٍ، فإِنِ اختارَ الحربَ فانبذْ لَهُ، وإِنْ اختارَ السِّلْمَ فخُذْ بَيْعَتَهُ، والسَّلام »[1].

تضليل الخولاني:

كان أبو مسلم الخولاني من التابعين الزهّاد، ويعتبر شيخ القرّاء في الشام ويتّبعه القرّاء جميعاً هناك، فحينما قدِم مع أُناسٍ آخرين على معاوية وسأله: «أنت تنازع علياً، أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا واللهِ إنّي لأَعلم أنّ علياً أفضل منّي، وأنّه لأحقّ بالأمر منّي، ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قُتِل مظلوماً وأنا ابن عمّه، وأنا أطلب بدم عثمان؟! فأتوه فقولوا له فليدفع إِلَيَّ قتلة عثمان وأُسلِم له »[2].

عبّر معاوية عن موقفه للخولاني بأنّه لا يريد إلّا السِلم، ولا يريد الحرب أبداً، وهو يريد أن يسلِّمه عليٌّ عليه السلام قتلة عثمان حتى يقتصّ منهم ليس إلّا، وكان واضحاً أنّه أقنع الخولاني بهذا الأمر، فقال له الخولاني: أُكتب الى عليٍّ عليه السلام ما تطلبه منه، فكتب معاوية كتاباً ضمّنه أتّهاماته وتهديداته قائلاً فيه: «فكان أفضلَهم في الإسلام، وأنصحَهم للهِ ولرسوله الخليفةُ، وخليفة الخليفة، والخليفة الثالث، فكلّهم حسدت، وعلى كُلِّهم بغيتَ. عَرفنا ذلك في نظرك الشَّزر، وتنفُّسك الصُعدَاء، وإبطائك على الخلفاء...، ولم تكن لأحدٍ منهم أَشدَّ حسداً منك لابن عمّك عثمان، وكان أَحقَّهم أن لا تفعل ذلك في قرابته وصهره، فقطعت رحمه،

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٩٧.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ١٨٥، نقلاً عن تأريخ ابن عساكر في ترجمة معاوية من تأريخ الشام: ٥٦ / ٦٣.

وقَبَّحت محاسنه، وألبّت عليه الناس...، فقد بلغني أنّك تنتفي من دمه، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به، ثمّ نحن أسرع الناس إليك، وإلّا فليس لك ولأصحابك عندنا إلّا السيف، والذي نَفسُ معاوية بيده لأطلبنَّ قتلة عثمان في الجبال والرِمال والبرِّ والبحرِ حتى نقتلَهم أو تلحق أرواحنا بالله »[١].

لقد كذب معاوية، فلم يكن هدفه قتلة عثمان، وقد ذكرنا ذلك آنفاً حينما التقت به في المدينة ابنة عثمان وهي تندب أباها، وما كان من جوابه لها ثمّ إنّه خدع الخولاني، وكان ذلك واضحاً: « وأنت ترى من كتاب معاوية أنّه لم يكن يريد سلماً ولا عافيةً، وإنّما كان يريد أن يعذر نفسه عند أصحابه من أهل الشام، وعند المتردِّدين والمتأثِّمين منهم خاصّة، فطالبُ السلم والعافية لا يكتب الى خصمه ليؤذيه، ولا ليحفظه، ولا ليغيظه ويثير في نفسه الموجدة والشنآن.

وليس من اليسير على عليٍّ أن يقرأ في كتاب معاوية أتّهامه بحسد الخلفاء والبغي عليهم والتلكّؤ في البيعة لهم حتى يضطّر إليها اضطراراً ويُقاد إليها كارهاً، وليس من اليسير كذلك على عليٍّ أن يقرأ في كتاب معاوية أتّهامه بحسد ابن عمّه، والبغي عليه، وقطع رحمه، وإغراء الناس به، والقعود عن نصرته حين ضيّق عليه الثائرون به.

ثمّ ليس من اليسير على عليّ آخر الأمر أن يقرأ هذا التحدي الواضح والدعاء إلى أن يُثبت براءته من دم عثمان بتسليم قاتليه، فإن لم يفعل فليس بينه وبين معاوية الّا السيف.

وقد أبلغَ معاوية في التحدّي، حتّى زعم لعليٍّ أنّه إن دفع إليه قتلة عثمان أسرع معه أهل الشام الى بيعته وطاعته، ومعاوية يعلم حقّ العلم أنّ عليّاً لن يقبل

(١) العقد الفريد: ٤ / ٣٠٨.

هذا التحدّي، ولن يسلِّم إليه قتلة عثمان، وهو يتحدّى السلطان ويُنذره على هذا النحو وإنّما كانت سبيله لو قد آثر السلم والعافية أن يبايع ويطيع أوّلاً، ثمّ يتقدّم إلى الخليفة طالباً منه أن ينصفه من الذين قتلوا ابن عمّه، وأن ينصف أبناء عثمان من الذين قتلوا أباهم»(١).

خديعة لم تنطلِ:

وفي الوقت الذي كان معاوية يحارب علياً عليه السلام إعلامياً في الرسائل لم ينسَ الجبهات الأُخرى والتي منها مخاطبة صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأولاد الصحابة المشاهير اجتماعياً، حيث باشر الاتّصال الخفي في معهم واحداً واحداً، أملاً منه في بجرِّهم الى ساحة الباطل والفتنة، مستغلّاً قعودهم عن عليٍّ عليه السلام وعدم استجابتهم له، وموقفهم الحيادي، وابرز من اتصل بهم هم: عبدالله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وغيرهم، إلّا أنّ هؤلاء ردّوا معاوية ردّاً عنيفاً، وألقموه حجراً بعد أن أدركوا خدعته وفتنته ومكره، حيث قال لابن عمر في قسمٍ من رسالته التي يُشمّ منها رائحة الخديعة بوضوح: «**فأعِنّا ـ يرحمك الله ـ على حقّ هذا الخليقة المظلوم، فإنّي لست أُريد الإمارة عليك، ولكنّي أُريدها لك، فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين...**»(٢).

لقد حاول الالتفاف على عبدالله بن عمر وإطماعه إيّاه في الخلافة علّه يدخل في فتنته كمرحلة أُولى، ثمّ يصفّي حسابه معه بعد تحقيق هدفه، إلّا أن جواب ابن عمر كان شديد الوقع في نفس معاوية، حيث قال له: «فإنّ الرأي الذي

---

(١) المجموعة الكاملة لطه حسين: ٤ / ٤٤٩.

(٢) الإمامة والسياسة: ١ / ٩٩.

أطمعك في هذا هو الذي صيّرك إلى ما صيّرك، تركت علياً في المهاجرين والأنصار، وتركت طلحة والزبير وعائشة، وأتّبعك فيمَن اتّبعك؟! وأمّا قولك: إنّي طعنتُ على عليٍّ فلَعَمري ما أنا كعليٍّ في الإسلام والهجرة، ومكانه من رسول الله ﷺ ؟!!»[1].

وأمّا سعد بن ابي وقّاص فتحدّث معه معاوية بصورةٍ أُخرى تختلف عن سابقتها مع ابن عمر: «أمّا بعد، فإنّ أحقّ بنصرة عثمان أهل الشورى، والّذين اثبتوا حقّه، واختاروه على غيره، وقد نصره طلحة والزبير، وهما شريكاكَ في الأمر والشورى، ونظيراك في الإسلام، وخفت لذلك أُمّ المؤمنين، فلا تكرهنَّ ما رضوا، ولا تردَّنَّ ما قبوا، فإنّما نردّها شورى بين المسلمين»[2].

وجاء جواب سعد واضحاً جلياً ودامغاً في نفس الوقت، حيث قال له: «فإنّ أهل الشورى ليس منهم أحقّ بها من صاحبه، غير أنّ علياً كان من السابقة، ولم يك فينا ما فيه فيشاركنا في محاسننا، ولم نشاركه في محاسنه، وكان أحقَّ منّا بالخلافة، ولكنّ مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه، حيث شاء لعلمه وقدره. وقد علمنا أنّه أحقّ بها منّا، ولكن لم يكن بدّ من الكلام في ذلك والتشاجر، فدع ذا. وأمّا أمرك يا معاوية فإنّه أمر كرهنا أوّله وآخره، وأمّا طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيراً لهما، والله تعالى يغفر لعائشة أُمّ المؤمنين»[3].

وأمّا محمد بن مسلمة الأنصاري فاتّخذ معه معاوية منهجاً آخر في الحديث، جملته: «إنّك كنت فارس الأنصار، وعدّة المهاجرين، فادعيت على

---

(١) المصدر السابق: ١ / ٩٩.

(٢) المصدر السابق: ١ / ١٠٠.

(٣) المصدر السابق: ١ / ١٠٠.

رسول الله ﷺ أمراً لم تستطع فيه الإمضاء، فهذا أعني، وعن قتل أهل الصلاة، فهلّا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً؟ أوَترى أنّ عثمان وأهل الدار ليسوا بمسلمين، وأمّا قومك الأنصار فقد عصوا الله تعالى، وخذلوا عثمان، وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذي كان يوم القيامة »[١].

فكان جواب محمد بن مسلمة قاطعاً، إذ جاء في قسم منه: « ... وَلَعمري يا معاوية ما طلبتَ إلّا الدنيا، ولا اتّبعتَ إلّا الهوى، لَئِن كنتَ نصرت عثمان ميّتاً لقد خذلته حيّاً، ونحن ومن قبلنا مِن المهاجرين والأنصار أولى بالصواب »[٢].

لو تمعَّنّا جيّداً بنصوص الرسائل الثلاثة لوجدنا اختلاف الخطاب فيها، وتباين صورة التحريض في مضامينها، لقد قام معاوية بهذا الشكل من البيان طبقاً لمعرفتة الشخصية بالوضع النفسي والتفكير الخاصّ لكلٍّ واحدٍ من هؤلاء الثلاثة، إلّا أنّ الصفة المشتركة في الرسائل هي صورة المكر والخداع، حيث شعر هؤلاء بماهية خطاب معاوية المغلّف بالكذب والدجل، فكان ردُّهم ما كان قد عرضناه آنفاً.

وأمّا أهل مكّة والمدينة المنوَّرة فقد خاطبهم معاوية أيضاً وفشل في ذلك، وقد جاء في جزءٍ من خطابه لهم: « فأمّا الخلافة فلسنا نطلبها، فأعِينونا يرحمكم الله، وانهضوا من ناحيتكم »[٣].

فكانت إجابتهم: « أمّا بعد، فإنّك أخطأت خطأً عظيماً، وأخطأت مواضع النصرة، وتناولتها من مكانٍ بعيد، وما أنت والخلافة يا معاوية وأنت طليق، وأبوك

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق: ١١ / ٩٩.

من الاحزاب؟! فكُفَّ عنّا فليس لك قبلنا وليّ ولا نصير!»[١].

إذن لقد فشل معاوية بأساليبه الملتوية من كسب ودٍّ مَن لهم المكانة والتأثير في نفوس المسلمين، فعمد الى طرقٍ أُخرى طامعاً في تأليب الوضع العامّ على الإمام عليٍّ عليه السلام، وكانت الحرب التي لا مناص منها.

صُنّاع الضلالة:

الغواية والضلالة صفات ثابتة للمنافقين وقوى الشرك والبغي، وخاصّةً إذا كان الأمر يرتبط باستحواذٍ على سلطةٍ أو ثروةٍ أو جاهٍ عند ذلك يبرمج الغاوي أعماله وإعلامه بصورةٍ مدروسةٍ ليستثمر ذلك لصالحه.

لقد كان والي الشام معاوية يسير على النهج أعلاه، مضلِّلاً أُمّةً واسعةً من السلمين! مؤوِّلاً القرآن لمنفعة أهدافه! محرِّفاً للحديث! صانعاً للروايات! جامعا لشهود الزور! «ومعاوية ـ كما هو معروف ـ أسلم هو وأبوه يوم فتح مكّة، فهو بذلك من الطلقاء، وكان كذلك من المؤلّفة قلوبهم الذين يأخذون ثمناً لإسلامهم، وهو الذي هدم مبدأ الخلافة الرشيدة في الإسلام، فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة..»[٢].

وننقل هنا بعض الأحاديث التي وضعت في حقِّ معاوية في دمشق:

«أخرج ابن كثير في تاريخه [٨: ١٢٠] من طريق مسيّب بن واضح، عن ابن عبذاس، قال: أتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، أقرئ معاوية السلام واستوصِ به خيراً، فإنّه أمين الله على كتابه ووحيه، ونعم الأمين. ذكره

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أضواء على السنّة المحمدية أو «دفاع عن الحديث»: ص١٣١.

الهيثمي في المجمع (٩: ٢٥٧)، والسيوطي في اللآلي (١: ٤١٩)»[١].

«عن أنس بن مالك مرفوعاً: الأُمناء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل، ومحمد، ومعاوية»[٢].

«وفي الفتاوي الحديثيّة لابن حجر (ص١٩٧): عن انس مرفوعاً: أنا مدينة العلم، وعلي بابها، ومعاوية حلقتها»[٣].

لا أُريد أن أسجل أكثر من ذلك، وإذا أردتُ الاطّلاع على ترهات أفظع وأكاذيب أعظم فراجع ترجمة معاوية في تأريخ دمشق أو مختصره لابن عساكر.

ألم تكن هذه الأحاديث غاوية ومضلَّة للاكثرية من سكان بلاد الشام الذين لم يكن لهم نبأ أو خبر عن الله ورسوله ﷺ والخلافة الراشدة، بل وتأريخ الإسلام كلّه إلّا عن طريق معاوية أو عناصره المشايعة له.

بالإضافة الى خبر سمرة بن جندب الذي ذكرناه سابقاً، الذي باع دينه بدراهم معدودةٍ الى معاوية لينطق زوراً وبهتاناً ضدّ عليٍّ عليه السلام، والى ذلك من تكلم الأمثال كثيرة، وغرضنا من هذا العرض القصير هو تبيان أساليب الغواية والضلالة عند معاوية، وحالة الدمار الفكري الشامل للمسلمين في الشام، وقد عبّر الإمام علي عليه السلام عن هذه الحالة مخاطباً معاوية: «وأَرْدَيْتَ جيلاً من النَّاسِ كثيراً؛ خدعتهم بِغَيِّك، وأَلْقَيتهُمْ في موج بحرِك تغشاهُمُ الظُّلُماتِ وتتلاطمُ بهمُ الشُّبهاتُ، فجارُوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتَوَلَّوْا على أَدبارهم، وعوَّلُوا على أحسابِهِمْ، إلَّا من فاءَ من أهل البصائر فإِنَّهُمْ فارقوك بعد معرفتك، وهربُوا الى الله

(١) المقتطفات لابن رويش: ١ / ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٢٦٤.

(٣) المصدر نفسه.

من مُوَازرتك، إذْ حملتهُمْ على الصَّعْبِ وعَدَلْتَ بهم عن القَصدِ »[١].

تحذير علويّ لسلوكٍ سفيانيٍّ منحرف، ودعوة لإصلاح نهج معوجّ، وعمل مضلّل، جاء لمعاوية في رسالة من عليٍّ عليه السلام مضمونها: إنّك أهلكت امّة من الناس بضلالتك، حيث وضعتهم وسط ذلك « تغشاهم الظُلُماتُ، وتَتَلاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ »، فعدلوا عن القصد. ثمّ إنّ هؤلاء « لم يعتمدوا على الدّين، وإنّما أَرَدتْهُمُ الحميّة ونخوة الجاهلية فأخلدوا إليها وتركوا الدين، والإشارة إلى بني أُميّة وخلفائهم الّذين اتّهموه عليه السلام بدم عثمان، فحاموا عن الحسب، ولم يأخذوا بموجب الشرع تلك الواقعة، ثمّ استثنى قوماً فاؤوا، أي رجعوا عن نصرة معاوية... »[٢]، بعدأن حملهم على أُمورٍ لا يطيقونها، وعرفوا من خلال الوقت ما يسعى إليه معاوية، الابتعاد بهم عن الحقّ.

إن عليّاً عليه السلام دأب على تحذير معاوية بمنطقٍ صريحٍ وبيانٍ لا لَبس فيه ،« فأقلع عمّا أنت عليه من الغيِّ والضلالة »[٣].

عليّ عليه السلام يعرّفه بصلاح عاقبته، وترك ما يعيبه، ويحمل وزره في يوم الحساب، فالأولى به أن يلتفت الى واقع أمره « على كبر سنّه »[٤] « وفناء عمره »[٥]؛ لأنّ حاله اليوم «كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلّا فسد من آخر »[٦].

كلمة الغواية التي أطلقها على معاوية لم تكن في كتابٍ واحدٍ فقط، إنّما تكرَّرت في عدّة كتب، والاعتقاد الجازم أنّ علياً كان على يقينٍ تامٍّ من ضلالة

---

(١) شرح النهج: ١٦ / ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) و(٤) و(٥) و(٦) شرح النهج: ١٦ / ١٣٣.

معاوية وانحرافه واستمراره في هذا النهج، ولذا فإنّ واجب الإمام عليه السلام أن يسديَ النصحَ إليه ويرشده؛ حتى يؤدّي تكليفه الشرعي وحينئذٍ تصبح الحرب ضدّه شرعية ولابدّ منها.

وهذه مقاطع من بعض الكتب تتعلّق بهذا الشأن:

« فأزدد غيّا إلى غيّك »[(١)].

« أمّا بعد، فقد طال في الغيّ ما استمررت أدراجك »[(٢)].

« أمّا بعد، فطالما دعوت أنتَ وأولياءك الشيطان الرجيم الحقَّ[(٣)] أساطير الأوّلين »[(٤)].

من خلال هذه الجمل البلاغية الإرشادية والناقدة في نفس الوقت يحاول عليّ عليه السلام أن يفضي كلامه الى أن يقوم معاوية بمراجعة ذاتية لأحواله وسيرته، وعلاج نفسه المريضة التي أعمتها الضلالة، ولكن لا يصلح أمر من حَقَّت عليه كلمة الله بالعذاب الأبدي، وأعجب ما يحير به العقل ليس اليأس من إصلاح أمر معاوية، فهذا أمر مفروغ منه، إنّما الجواب الذي يرسله الى الإمام عليٍّ عليه السلام، ويلقي صفة الغواية على سيّد الموحّدين عليٍّ عليه السلام، وكأنّه صاحب الشأن العظيم في العمل الصالح، لكنّه من خلال جوابه أكّد التصاق الغواية بكل عملٍ من اعماله، وأضاف تأكيداً بجوابه على كذبه ودَجَلِهِ، وهذا مقطع من ذلك الجواب الشيطانيّ الذي يظهر بوضوحٍ انحطاط معاوية ونفسيته الهابطة: **« فازدد غيّاً الى غيّك، فطالَما خفّ عقلُك، ومنّيت نفسك ما ليس لك، والتويت على مَنْ هو خير منك، ثمّ**

---

(١) و(٢) المصدر السابق: ١٦ / ١٣٤.

(٣) هكذا في الاصل وفي بعض النسخ «للحق».

(٤) المصدر نفسه: ١٣٥.

كانت العاقبة لغيرك، وأحملت الوِزْرَ بما أحاط بك من خطيئتك »[١].

إنّ ما يهيج النفس ويشعلها ناراً خطاب معاوية هذا لعلي عليه السلام، حيث يصفه بصفاتٍ لم يتكلّم بأقلّ منها أعداء الله على أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام فكيف ازداد عليٌّ عليه السلام غياً؟! يا بن أبي سفيان، عليّ الذي شهد بعلمه وحكمته أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم له خفَّ عقله حقاً يا بن هند؟!

من هو خير من عليٍّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وأيٌّ وزرٍ حمله عليّ عليه السلام؟ وأيّ خطيئةٍ أرتكبها حصن الإسلام وسدُّهُ المنيع وسيف الله ورسوله صلى الله عليه وآله في معارك الإسلام المصيرية، وخير كلامٍ لدحض افتراءات معاوية هو جواب عليٍّ عليه السلام: « فإنّ ما اتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشّبَهِ ممّا أتى به أهلُك وقومُك الذين حملهم الكفرُ وتمنّي الأباطيل على حسد محمدٍ صلى الله عليه وآله حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت... فبئس الخَلَفُ خَلَفٌ اتّبع سلفاً محلّه ومحطّه النار »[٢].

هل نسي معاوية من هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ أم تناسى ذلك لأمر يحزّ في نفسه حزاً، حيث عظمة عليٍّ عليه السلام ووضاعة وضعف معاوية أمامه؟!

وهل يقرن من عرّفه الله ورسوله صلى الله عليه وآله في مواطن عديدةٍ بالولاية والإيمان والعلم والفداء والإيثار والمنزلة العظيم بمن عرّف بالشرك والنفاق والمؤلّفة قلوبهم، لولا جوامع الأقدار، كما تضمّن كلام امير المؤمنين عليه السلام ذلك في رسالةٍ له الى معاوية، أنّ كلام معاوية بحقّ عليٍّ عليه السلام جعل الإمام عليه السلام يكتب رسالةً يبدي استغرابه فيها وتعجّبه ممّا آتاه معاوية من صفاتٍ بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً له:

---

(١) شرح النهج: ١٦ / ١٣٤.

(٢) المصدر السابق: ١٦ / ١٣٤.

« فما أعجب ما يأتيني، وما أعلمني بما أنتَ صائر! وليس إبطائي عنك إلّا ترقّباً لِمَا أنت له مكذِّب؛ وأنّا به مصدّق »[١].

ثمّ أعلمه الإمام عليّ عليه السلام بما هو صائر اليه غداً، كما قال: ما هو كائن: « وكأنّي بك غداً وانت تضجّ من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال، وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتابٍ تعظِّمونه بألسنتكم، وتجحدونه بقلوبكم »[٢].

لقد قام معاوية بإجابة كتاب عليٍّ عليه السلام برسالةٍ ملئت بالافتراءات والكذب والتزوير، والذي لا يسع عقل أيِّ إنسان معنىً واحداً من معانيها أو شيئاً مضامينها، إنّها تناسب علياً عليه السلام أو تنطق على شخصيّته وسيرته، لقد نسجت حروف الرسالة من حبائل الشيطان! وخيطت بمخائط النفاق! فأصبح دجلها واضحاً جلياً للعيان، فليس لديه أداة أو قوة ذاتية تمكّنه من الوقوف على قدميه أمام سيّد الموحِّدين وإمام المتقين عليٍّ عليه السلام سوى إعلامه المضلِّل، حيث يقول لأمير المؤمنين في رسالته: « فدعني من أساطيرك، واكفف عنّي من أحاديثك، وأقصر عن تقوّلِك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وافترائك الكذب ما لم يقل، وغرور من معك والخداع لهم، فقد استغويتهم، ويوشك أمرك أن ينكشف فيعتزلوك، ويعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحلّ »[٣].

ملاحظات موضوعية وإشارات واقعية:

لو دققنا في رسائل معاوية الى الإمام عليٍّ عليه السلام والتي ذكرناها لاكتشفنا عدّة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦ / ١٣٤.

(٢) المصدر السابق: ١٦ / ١٣٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٣٥.

ملاحظاتٍ:

الأُولى: لقد جاءت كلمات معاوية بصورةٍ منسوخة على كتب عليٍّ عليه السلام اليه، وكانت وقاحة من ابن أبي سفيان بإرجاعه نفس الكلمات التي وصفه بها عليّ عليه السلام ووصفِهِ أمير المؤمنين عليه السلام بها رغم علمه بأن ما يقوله ضدّ عليٍّ عليه السلام خارج عن نطاق الحقيقة وكذب محض، إلّا أنّ المصلحة السياسية فرضت عليه ذلك الأُسلوب النفاقي.

الثانية: أنّ هذه الكلمات التي أعادها معاوية وقلب صيغها ولصقها بشخصية عليٍّ عليه السلام كانت في الحقيقة تجاوزاً على حرمة الإسلام، وظلماً كبيراً لنبيّ الإسلام محمدٍ صلى الله عليه وآله! فَمن الذي كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وَمن الذي حاربه؟ ومن الذي عادى أهل بيته؟ أليس معاوية وأهله، فكيف سوّغ معاوية لنفسه هذا التجاوز؟! ألم تكن هذه من سخرية الدهر بأن يتجاوز صعلوك على خليفة الإسلام وإمام زمانه المفترض الطاعة؟!

الثالثة: إضافةً الى ما ذكرناه فإنّنا نبيّن هنا بعض أقوال معاوية في حقّ عليٍّ عليه السلام وفي بعض جلساته الخاصة، فهي اعتراف بمنزلة ومكانة عليٍّ عليه السلام، وهذه بطبعية الحال تُظهر كذبه وافتراءاته على الامام عليه السلام، وأُسلوب الدَجَل الذي كان يتعاطاه مع مسلمي الشام وحجم الظلم الذي مارسه ضدّ عليٍّ عليه السلام: «عن قيس بن أبي حازم قال: جاء رجل فسأله عن مسألة، فقال: سَلْ عنها عليَّ بن أبي طالب فهو أعلم، فقال: أُريدُ جوابَك [يا أمير المؤمنين] فيها فقال: ويحك! لقد كرهتَ رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يَغُرُّه بالعلم غرّاً [أي يلقِمه إيّاه؛ يقال: غرَّ الطائر فرخه أي زقَّه]، ولقد قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّهُ لا نبيَّ بعدي. ولقد كان عمر بن الخطاب يسأله فيأخذ منه...»(١).

---

(١) مختصر تأريخ دمشق: ٢٥ / ٦.

وحينما حاول معاوية أن يعدل نفسه بعليٍّ عليه السلام أمام عمرو بن العاص قال:

« يا أبا عبدالله، إنّي أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّـه، وقـتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرّق الجماعة، وقطع الرحم.

قال عمرو: إلى مَن؟ قال: إلى جهاد عليٍّ!

فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعليٌّ بعِكمي [1] بعير، مالَك هجرته، ولا سابقته، ولا صحبته، ولا جهاده، ولا فقهه، ولا عـلمه، واللهِ إنّ له مـع ذلك حـدّاً وحدوداً وحظّاً وحظوةً، وبلاءً من الله حسناً » [2]، ناهيك عن قـصيدة عـمرو بـن العاص المسمّاة بالجلجليّة، التي كتبها ابن العاص الى معاوية بن أبي سفيان، في جواب كتابه إليه يطلب خراج مصر ويعاتبه على امتناعه عنه، توجد منها نسختان في مجموعتين في المكتبه الخديويّة بمصر، كما فـي فـهرستها المـطبوع سـنة (١٣٠٧) (٣١٤/٤). وروى جملةً منها ابن أبي الحديد في شـرح نـهج البـلاغة (٥٢٢/٢)، وقال رأيتها بخط أبي زكـرّيا يـحيى بـن عـليّ الخـطيب التـبريزيّ: المتوفّى (٥٠٢) [3]؛

لقد عبَّرَ عمرو بن العاص عن حقيقة لا خلاف عليها تُظهر مدى التـفاوت العظيم بين علي عليه السلام الايمان ومعاوية النفاق وعلى جميع الأصعدة الاجـتماعية والدينية والاخلاقية...الخ، واعتراف صريح بالحق المبين، وحالة التردي والنفاق في شخصية ابن العاص، لقد أسكتت هذه القـصيدة مـعاوية ولم يـتعرّض لابـن العاص بعد ذلك، نقتطف منها الابيات التالية:

---

(١) العِكم (بالكسر): العِدل (بالكسر) (صاحب الغدير).

(٢) الغدير: ٢ / ٢١٢.

(٣) الغدير: ٢ / ١٧٦ (بتصرف).

مـعاويةُ الحـال لا تـجهلِ ... وعـن سُبُلِ الحـقِّ لا تـعدِلِ
نسـيتَ احـتياليَ فـي جـلّقٍ ... على أهلِها يوم لُـبْسِ الحُـلِي
وقـد أقـبلوا زُمَـراً يُـهْرَعونَ ... مـهاليعَ كـالبقرِ الجُـفَّلِ

ومنها أيضاً:

فبي حـاربوا سيِّدَ الأوصياء ... بـقولي دمٌ طُـلَّ مـن نـعثلِ
وكدتُ لهمْ أن أقاموا الرمـاحَ ... عليها المصاحفُ في القَسْطَلِ
وعـلّمتُهمْ كشـفَ سـوآتِهم ... لردِّ الغَـضنفَرَةِ المُـقبلِ
فَـقامَ البـغاةُ عـلى حـيدرٍ ... وكفّوا عن المِشعَلِ المـصطلي

ومنها أيضاً:

خـلعتُ الخـلافةَ مـن حـيدرٍ ... كـخَلعِ النـعالِ مـن الأرجـلِ
وألبستُها فـيك بـعد الإيـاس ... كَـلُبس الخـواتيم بـالأنمُلِ
ورقّـيتُكَ المـنبرَ المُشْـمَخِرَّ ... بـلا حـدِّ سـيفٍ ولا مُـنصِلِ

ومنها أيضاً:

وجهلُكَ بي يـا ابـن آكـلِة الـ ... ـكـبودِ لأعـظَمُ مـا أبـتلي
فـلولا مـوازرتـي لم تُـطَعْ ... ولولا وجـوديَ لمْ تُـقبَلِ
ولولايَ كـنتَ كَـمِثْلِ النسـاءِ ... تـعافُ الخـروجَ مـن المـنزل
نصرناك من جَهْلِنا يا ابن هندٍ ... على النـبأِ الأعـظمِ الأفـضلِ
وحيث رفعناك فوقَ الرؤوسِ ... نَـزَلْنا أسـفلِ الأسـفَلِ
وكم قد سَمِعْنا من المـصطفى ... وَصـايا مُـخصّصةً فـي عـلي
وفـي يـومِ خُـمٍّ رقـى مـنبراً ... يُـبلّغُ والركبُ لم يـرحـلِ
وفـي كـفِّهِ كـفُّهُ مـعلناً ... يُـنادي بأمـرِ العـزيزِ العـلي
ألستُ بكم منكمُ في النفوسِ ... بأولى فـقالوا بـلى فـافعلِ

فَــانْحَلهُ إمــرَةَ المــؤمنينَ مــن الله مُسـتخلف المُـنحِلِ
وقـال فـمن كـنتُ مـوليً لَـهُ فـهذا له اليــومَ نــعمَ الولي
فــوالِ مُــواليـهِ يـا ذا الجـلا لِ وعادِ مُعادي أخي المُرْسَلِ
ولا تنْقضُوا العهدَ من عِـترتي فــقاطِعُهُمْ بــيَ لم يُــوصِلِ
فَــبخَبَخَ شــيخُكَ لَــمّا رأى عُرى عَـقْدِ حـيدر لم تُـحْلَلِ

ومنها أيضاً:

ومــا دَمُ عــثمانَ مُـنْجٍ لنـا من الله في الموقفِ المُـخجلِ
وإنَّ عــليّاً غــداً خـصْمُنا ويــعتزُّ بــالله والمُـرسَلِ
يُـحاسُبنا عـن أمـورٍ جَـرَتْ ونحنُ عن الحـقِّ فـي مَـعْزِلِ
فما عُذْرُنا يـومَ كشـفِ الغـطا لكَ الويــلُ مـنه غـداً ثـمّ لي
ألا يا ابن هند أبِـعتَ الجـنانَ بــعهدٍ عـهدتَ ولم تُـوفِ لي
وأخسرتَ أُخراك كـيما تـنالَ يَسـيرَ الحُـطامِ مـن الأجـزلِ

ثم يختم القصيدة بالابيات التالية:

ومــالك فــيها ولا ذرّةٌ ولا لجــدُودك بــالأوّل
فــإن كــانَ بـينكما نِسْـبةٌ فأيـنَ الحُسـامُ مـن المِنجلِ
وأين الحصى من نجوم السما وأيــن مــعاويةُ مــن عـلي
فإن كنتَ فـيها بـلغتَ المُـنىٰ ففي عُـنقي عَـلَقُ الجـلجلِ[1]

لقد خرج معاوية من كلام ابن العاص صفر اليدين، وهذا كلام أعداء عليٍّ عليه السلام ومخالفيه في جلساتهم ومحاوراتهم الخاصّة.

إذن أي ظلمٍ للإسلام ولعليّ عليه السلام مارسه هؤلاء؟! وإذا كنتم تعلمون بكلّ

(١) القصيدة كاملة في كتاب الغدير: ٢ / ١٧٣.

خصائص عليٍّ عليه السلام والتي لا يرقى اليها أحد فلماذا حاربتموه؟!

لماذا إذن يطلق معاوية تلك الكلمات التي تتناسب وشخصيّته الهزيلة على عليٍّ عليه السلام؟!

تلك هي الحدود الفاصلة بين الإيمان والنفاق، وهي مصداق لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء عن ابن عبّاس حيث قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى عليٍّ عليه السلام فقال: «لا يُحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»[1].

إذن ما هو حكمنا على أشخاصٍ من أمثال (معاوية وابن العاص) الذين زوّروا الحقيقة بمحض إرادتهم وأهوائهم ونزعاتهم، وبعلمهم بالواقع الذي يتّصف به عليّ عليه السلام؟!

* * *

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ٩ / ١٣٣.

الفَصلُ الثَّاني

بين الحقيقة والدَجَل

أولياء الشيطان:

رغم كثرة الرسائل التي بعثها الإمام علي عليه السلام ـ كخليفةٍ للمسلمين ـ الى معاوية إلّا أنّها لم تفضِ إلى نتيجةٍ مرجوّة، وهي إصلاح المنحرفين والخارجين على الخلافة الراشدة، وقد وصلت الأمور الى حدٍّ كان لابدّ منه من أن يقوم بفضح معاوية، وتبيان شأنه الهزيل بنفاقه ودَجَلِهِ أمام الناس بصورةٍ أكثر وضوحاً وأشدّ أثراً، وإشعار معاوية بسقوطه اجتماعياً وحقارته، كما في رسالته عليه السلام: «أمّا بعد، فطالما دعوتَ أنتَ وأولياؤك أولياء الشيطان الرّجيم الحقّ[1] (أو للحقّ في بعض النسخ) أساطير الأوّلين ونبذتموه وراء ظهوركم، وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم، واللهُ متمُّ نورِه ولو كره الكافرون، ولَعَمري ليتمّنّ النور على كرهك، ولينفذنّ العلم بصَغارك، ولتجازينّ بعملك، فعثْ في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك؛ فكأنّك بباطلك وقد انقضى، وبعملك وقد هوى؛ ثمّ تصير الى لظى، ولم يظلمك الله شيئاً، وما ربُّك بظلامٍ للعبيد!»[2].

حلم الرجال:

لقد أظهر أنصار ملك الشام (معاوية) وبعض المعجَبين به حتى يومنا هذا ـ

---

(١) هكذا في الاصل.

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد: ١٦ / ١٣٥.

على حدٍّ زعمهم ـ ما تمتّع به معاوية من حلمٍ وأناةٍ وعمقٍ فكريٍّ، وتحمّله لعدوّه وخصمه بطول بالٍ وقوة مراس، معتمدين علىٰ ما كتب عن معاوية في زمنه، أو قاله معاوية عن نفسه، وهذا خلاف الحقيقة، وقد ظهر أمر ذلك جلياً في مضامين رسائله الى الإمام عليٍّ عليه السلام.

نعم لقد حاول معاوية تثبيت صورة مقبولة لشخصيته المهزوزة، وترسيخ صورة في ذهن الرأي العامّ الشاميّ وغيره؛ لأنّهم العدّة والعدد لجيشه، واسرعُ الى التصديق من غيرهم؛ لهيمنة معاوية فترةً مديدةً على الشام بحيث رسّخ في نفوسهم شخصيته فاستطاع تنفيذ مآرب من خلالهم.

فمعاوية يخاطب الإمام علياً عليه السلام في رسالةٍ بعثها اليه قائلاً: «فما أعظم الرّين على قلبك»[(١)].

ثمّ يقول له: «لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه، ويفصل بين أهل الشكّ علمه»[(٢)].

إنّ هذين النصّين يستحقّان التعليق والإجابة، إلّا أنّه بردٌّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي يحمل كلّ المعاني الواضحة، والإشارات الواقعية لطبيعة النفس الشريرة لمعاوية ينتهي الأمر، حيث ليس هناك كلام أبلغ من هذا الجواب: **«أمّا بعد، فإنّ مَساوِيكَ مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك، وأن يرعويَ قلبك، يا بن الصَّخْر اللعين! زعمت أنّ يزن الجبال حلمُك، ويفصل بين أهل الشك علمك، وأنت الجلف المنافق، الأغلف القَلب، القليل العقل، الجبان الرَّذل، فإن كنت صادقاً فيما تسطِّر ويعينك عليه أخو بني سَهْم فدع الناس جانباً، ويَسِّر لما دعوتني**

(١) و(٢) شرح النهج: ١٦ / ١٣٥.

إليه من الحرب...»[1].

صفات سطّرها بدقّة عليّ عليه السلام بحقّ معاوية، وهو الذي خَبَره سنين طويلةً، ولم ينسَ الإمام عليّ عليه السلام عمرو بن العاص في رسالته ـ ضمن إشارة ـ لوجوده التآمريّ المساعد لمعاوية في أزماته الحرجة.

الدجّال والمجتمع:

لقد دوّن التأريخ في سجلّه بعض أسماء رجال الحقّ والعدل، وأصحاب النظرة الأخلاقية الاجتماعية بحروفٍ من نور؛ لأنهم بنوا مجتمعاتِهم وصانوا دولَهم بمبادئ السلم والإنسانية والعدالة، وكان هدفهم هو إبعاد شبح الظلم عن المجتمع، ثمّ بناء جدار الثقة المتين مع الأُمّة لتنعم البلاد بالأمن والاستقرار. وأمّا الدجّالون الذين يبنون عروشهم على التزييف والكذب فعلى العكس من ذلك فهم يتّخذون هذه الصفات الدنيئة مبدأً عامّاً لهم؛ لكي يسهل أمر السيطرة والتسلّط على المجتمع والوصول الى الغايات المشؤومه.

إنّ أمثال هؤلاء الحكّام هم أعوان الشيطان وأداوته، حبائلهم لا تدوم، وضوؤهم المزيف الخافت سرعان ما يتبدّد، وأكاذيبهم لا تستمرّ وإن طالت مدّتها، ويبقىٰ التأريخ هو الفيصل في أعمال الرجال وشؤونهم.

فمعاوية بن أبي سفيان من اشباه الصنف الثاني، حيث وجد في مجتمع الشام آنذاك خير مرتعٍ خصبٍ لأفكاره الضالّة، فمارس شتّى الوسائل لغشّهم وتجهيلهم، والقصّة التي ذكرها المسعودي في المروج شاهد على ما نقول، حيث قال: «إنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعيرٍ له دمشق في حال منصرفهم عن

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٠٩.

صفين، فتعلّق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي أُخذت منّي بصفين، فارتفع أمرهما الى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنةً يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير اليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! إنّه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودسّ الى الكوفي بعد تفرّقهم، فأحضره وسأله عن ثمن بعيره، فدفع اليه ضعفه، وبرّه، وأحسن اليه، وقال له: أبلغ علياً أنّي أقاتله بمائة ألفٍ ما فيهم من يُفرِّق بين الناقة والجمل »[١].

وغير ذلك من هذه القصص كثيرة يمكن مراجعتها والاطّلاع من خلالها علىٰ حقائق أوسع، وقد وصفهم الإمام عليّ عليه السلام في رسالةٍ بعثها الى قثم بن عباس عاملة على مكّة بقوله: « أما بَعْدُ، فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يُعلِمُني أنَّهُ وَجِّهَ إلى الموسِمِ أُناسٌ من أهل الشام، العُميِ القُلُوبِ، الصُّمِّ الأسماع، الكُمْهِ الأبْصارِ، الَّذينَ يلبِسُونَ الحقَّ بالباطل، ويطيعونَ المخلُوقَ في معصيةِ الخالقِ، ويحتلبون الدُّنيا دَرَّها بالدِّينِ، ويشترونَ عاجِلَها بآجِلِ الأبْرارِ المُتَّقِينَ... »[٢].

إنّ علياً عليه السلام يخبر واليه (قثم) أنّ عيونه في الشام قد أخبروه أنّ معاوية أرسل في أيّام الحجّ عناصر مشبوهةً الى منطقته (مكّة) غايتها الدسّ والتضليل، فيصفهم له، ويحذِّرهُ منهم.

نحن بنو عبدِ مناف:

طرق معاوية باباً آخر محاولاً من خلاله الدخول الى إثارة الحالة العصبية والنعرة الجاهلية، انطلاقاً من انتهاء نسبهم المشترك الى عبدِ مناف جدِّ بني هاشم

---

(١) مروج الذهب: ٣ / ٣٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦ / ١٣٨.

وعبد شمس، رغم أنّ الامتدادين لم يكونا على خطٍّ واحدٍ في السيرة الاجتماعية والحياة العامة.

إنّ أهداف معاوية من ذلك متعدّدة، إلّا أنّ أبرزها هو إظهار نفسه أمام الناس بأنّه على قدم المساواة مع عليٍّ عليه السلام، حيث إنّ أصلهم ومكانتهم الاجتماعية واحدة، والحقيقة أنّ هذا لا يغني عن الحقِّ شيئاً، ولا يعني ذلك أنّ لمعاوية سموّاً ينافس شأن أمير المؤمنين عليه السلام، فالإسلام جعل التقوى هي ميزان التفاضل أوّلاً، مع حفظ الأُصول الطيّبة والأرحام الطاهرة، والقرآن قد أكّد على ذلك في آياتٍ متعددة، منها: **﴿يا ايُّها النَّاسُ إنَّا خَلقناكُم من ذكَرٍ وأُنثى وجَعَلنَٰكُمْ شُعُوباً وقبائِلَ لتَعَارَفُوا إنَّ أكرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتقاكُم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ﴾**[1].

وآية أُخرى: **﴿أجعلتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وعِمَارةَ المَسجِدِ الحَرامِ كَمَن آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَجاهَدَ في سَبيلِ اللهِ لَا يَستَوونَ عند اللهِ واللهُ لا يهدي القومَ الظالمينَ﴾**[2].

وإلّا فإنّ أبا لهبٍ عمُّ النبيّ صلى الله عليه وآله وقد نزلت فيه السورة المباركة **﴿تبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ وتَبَّ...﴾**[3].

فالإيمان بالإسلام منح المؤمنين ميزةً خاصّةً على غيرهم، ناهيك عن الشرف الرفيع والمكانة البارزة لأولاد هاشم[4] دون غيرهم، فحجّة معاوية باطلة، وحديثه ذو أفانين يبتغي مراداً خاصّاً يمنّي نفسه به، فهو يقول في رسالةٍ بعثها الى الإمام عليٍّ عليه السلام: « ونحن بنو عبد منافٍ ليس لبعضنا على بعضٍ فضل، إلّا فضل لا

(١) سورة الحجرات: الاية ١٣.

(٢) سورة التوبة: الاية ١٩.

(٣) سورة المسد: الآية ١.

(٤) رَاجع المصادر التالية المرفة تسلسل نسبهم: مروج الذهب: ٢ / ٣٥١؛ السيرة النبوية: ٢ / ١٤٢؛ تأريخ الطبري: ٣ / ١٦١، ٢٦٣؛ الكامل في التأريخ: ٢ / ٤٤٠، ٥٢٦.

يستذل به عزيز ولا يسترقّ به حرّ »[١].

إنّ أوّل هدفٍ له من طرح هذا الكلام هو نفي أيِّ تفاضلٍ أو فضلٍ لواحدٍ على آخر من بني عبد مناف، وهذا ممّا ينافي ما هو شرعي أو عرفي، وقد أظهر حقيقة ذلك مرّةً عمرو بن العاص أثناء ردّه معاوية حينما قال: « ألسنا بني عبد مناف؟! فقال: بلى، ولكن لهم النبوّة دونكم »[٢].

وتبقى إجابة الإمام عليٍّ عليه السلام على رسالة معاوية هي أفضل ردٍّ على تخرصات معاوية، حيث قال عليه السلام: « وأمّا قولُكَ [إنّا بنُوْ عبد منافٍ ليس لبعضنا على بعضٍ فضلٌ] فلَعَمري إنّا بنو أبٍ واحدٍ، ولكن ليس أُمَيَّةُ كهاشمٍ، ولا حربٌ كعبد المُطَّلِب، ولا أُبُو سُفيان كأبي طالبٍ، ولا المهاجر كالطليق، ولا المُحِقُّ كالمبطِل! »[٣].

كيف تتساوى مكانة الأشخاص ومنزلتهم مع وجود التفاوت الكبير في المعاملة والأخلاق والإيمان، فكيف يدّعي معاوية المساواة في المنزلة ويكون كفؤاً له ونِدّاً لا يجارى، ففي كتاب أمير المؤمنين عليه السلام الذي يعتبر من محاسن الكتب أشار موضحاً بقوله « منَّا النّبيُّ ومنكُم المكذِّبُ، ومنَّا أسد الله ومنكم أسدُ الأحلاف، ومنا سيّدا شباب أهل الجنّةِ، ومنكم صبيّةُ النار، ومنّا خيرُ نساء العالمين، ومنكم حَمَّالَةُ الحطب، في كثيرٍ ممّا لنا وعليكم »[٤]، فالمكذِّب هو أبو سفيان عدوّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأسد الله هو حمزة عمّ النبي صلى الله عليه وآله وأسد الأحلاف جدّ معاوية لأُمه عتبة بن ربيعة، وسيّدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهما السلام بقول رسول

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٦٩.

(٢) الإمامة والسياسة: ١ / ١١٧.

(٣) الإمامة والسياسة: ١ / ١١٨؛ نهج السعادة: ٤ / ٢٧١.

(٤) ابن ابي الحديد في شرح النهج: ١٥ / ١٨٢.

الله ﷺ، وصبية النار « هي الكلمة التي قالها النبي ﷺ لعقبة بن أبي مُعيط حين قتله صبراً يوم بدر، وقد قال كالمستعطف له عليه السلام: مـن للـصبية يـا مـحمد؟ قـال النار »[1]، وقد قال عنه رسول الله ﷺ حينما أُسر: « إنّه وطأ عـلى عـنقي وأنـا ساجد فما رفعت حتّى ظننت أنّ عينَيَّ قد سقطتا، جاء يوماً وأنا ساجد بسلى شـاة فألقاه على رأسي فأنا قاتله »[2].

« ومنّا خير نساء العالمين » يعني فـاطمة الزهـراء عليها السلام بـنصّ قـول النـبي الكريم ﷺ ،» ومنكم حمّالة الحطب » هي أُمّ جميلٍ بنت حرب بن أُميّة زوجة ابي لهب وعمّة معاوية، كانت تحمل أغصان العضاة (كلّ شجر له شوك) ثمّ تطرحه عـلى طـريق رسـول الله ﷺ، وتـجمع الحـطب لتشبّ بـها نـاراً تـحرق نـبيّ الرحمة ﷺ، ورد فيها نصّ في القرآن في سورة المَسَد ﴿وامرأتُهُ حمَّالَةَ الحطب * في جيدها حبلٌ من مَسَدٍ﴾[3].

وحاولت ضرب رسول الله ﷺ فأعشى الله عينيها عنه وبقيت على فكرها حتى لقت حتفها، ويكفي ذلك بياناً.

هؤلاء هم رهط معاوية وأهله، الذين يفتخر بهم معاوية أمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال أحد الشعراء يهجو بني أُميّة:

لا لواءٌ يُـــعَدُّ يـا بـن كُـريزٍ ... لا ولا رِفْـدُ بـيته ذي السـناءِ
لا حجابٌ وليس فيكم سوى الكبـ ... ـرِ وبُـــغْضِ النـبيّ والشـهداءِ

---

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد: ١٥ / ١٩٧.
(٢) النزاع والتخاصم: ص٢٣.
(٣) المسد: ٤ و٥.

بـين حـاك ومُـخْلج وطـريدٍ وقـتيلٍ يـلعنه أهـل السّـماءِ
ولهـم زمـزمٌ كـذاك وجـبريـ ـلُ ومَـجْدُ السّـقاية الغـرّاءِ[1]

قال ابن ابي الحديد: «قال شيخنا أبـو عـثمان: فـالشهداء عـليٌّ وحـمزة وجعفر، والحاكي والمخلج هو الحكم بن أبي العاص كان يحكي مشية رسـول الله ﷺ، فالتفت يوماً فرآه فدعا عليه، فلم يزل مـخلج المِشْـيةِ عـقوبةً مـن الله تعالى»[2].

وقال المقريزي يصف الحكم بن أبي العاص: «وكان عاراً فـي الإسـلام، وكان مؤذِياً لرسول الله ﷺ بمكّة يشتمه ويُسمِعه ما يكره، فلما كان فتح مكّـة أظهر الإسلام خوفاً من القتل»[3].

أمّا قول الشاعر: (وطريد) فـ«الطريد اثنان: الحكم بن أبي العاص ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وهما جدَّا عبد الملك بن مروان من قِبَل أُمـه وأبـيه، وكان النبي ﷺ طرد معاوية بن المغيرة هذا من المدينة وأجّله ثلاثاً فحيّره الله، ولم يزل يتردّد في ضَلاله حتى بعث في أثره علياً عليه السلام وعماراً فقتلاه»[4]. ويُذكَر أنّ هذا هو الذي جَدَع أنف حمزة بن عبد المطّلب ومثَّل به.

« فأمّا القتلى فثكير، نحو شيبة وعتبة أبني ربيعة، والوليد بن عتبة، وحنظلة بن أبي سفيان، وعقبة بن أبي معيط، والعاصُ بن سعيد بـن أُمـيّة، ومـعاوية بـن المغيرة، وغيرهم»[5].

---

(١) شرح النهج ١٥ / ١٩٩.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥ / ١٩٩.
(٣) النزاع والتخاصم: ص٢٣.
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥ / ١٩٩.
(٥) المصدر السابق: ١٥ / ١٩٩.

من يقرأ قائمة الشؤم والكفر والشرك هذه التي أشرنا إليها، ويستذكر التأريخ جيّداً يعرف بصورةٍ لا تقبل الشكّ مَن الذي وقف بوجه الإسلام وحاربه وعبّأ الجيوش لمحوه ودماره؟ أليس هم بنو عبد شمسٍ أهل معاوية؟! والذي يفتخر بهم ويدّعي أنّه من أولاد عبد مناف، إنّ الذي يستحقّ أن يفخر بأجداده ويقول: إنّا بنو عبد منافٍ هم بنو هاشم وحدهم، أهل النبيّ ﷺ وعليٍّ عليه السلام، وهُمُ الإسلامُ بكلِّ عظمته.

ثمّ مَن الذي حمى رسول الله ﷺ وتحمّل المعاناة الشديدة بسبب موقفه الدفاعيِّ عن النبيّ ﷺ غير أبو طالبٍ (عبد مناف) أب الإمام عليٍّ عليه السلام؟!

ومَن الذي قاتل وجاهد في سبيل الله وإعلاء راية الدين، وكان في الصفّ الأول غير بني هاشم؟!

ومَن الذي تحمّل المعاناة والقتل بسبب تلك المواقف العظيمة غير أهل بيت النبوة عليهم السلام؟!

ومن الذي عُرف بقصّته في عام الفيل حينما هدّد أبرهة الحبشيّ الكعبة، ودعا ربّه لحماية البيت العتيق، فأرسل عليهم الباري ـ عزّ وجلّ ـ طيرَ الأبابيل التي رمتهم بحجارة السِّجِّيل؟!

ومن هو صاحب زمزم، وساقي الحجيج؟!!

ومن الذي هشم الخبز في أيّام القحط والجوع غير هاشم جدّ النبي ﷺ وغيره منزوٍ في عالمه الآخر وليس له من ذلك الشرف الرفيع شيء يذكر؟!

وبنو هاشمٍ هم ملجأ الضعفاء والفقراء والمظلومين، وهم أعضاء «حلف الفضول» دون غيرهم.

إذن كيف يتساوى بنو هاشمٍ مع بني أُميّة، والبعد شاسع في كلّ حياتهم الاجتماعية، «قال العقاد في كتاب أبو الشهداء: [الهاشميون والأمويّون من

أرومةٍ واحدةٍ ترتفع الى عبد مناف، ولكنّ الأُسرتين تختلفان في الأخلاق، فبنو هاشم في الأغلب أريحّيون، ولا سيما أبناء فاطمة الزهراء، بنو أُمية في الأغلب نفعيّون، ولا سيما الأُصلاء منهم...، كان الهاشميّون سراعاً الى النجدة ونصرة الحق والتعاون عليه، ولم يكن بنو أُمية كذلك]»[١].

معاوية وارث هند وأبي سفيان وعتبة:

هند بنت عتبة بن ربيعة يرجع نسبها ايضاً الى عبد مناف كما يحلو لمعاوية أن يفتخر به، هذه المرأة هي زوجة أبي سفيان صخر بن حرب، وأُمّ معاوية.

كانت صاحبة الحادثة الجلل ـ التي أدمت قلب النبي ﷺ طيلة حياته كلّما ذكرها ـ أكثر الناس حقداً وشرّاً على الإسلام ونبيّه ﷺ في زمانها، وكانت سيّئةَ الصيت والسمعة بشهادة التأريخ عليها، لم يشفِ غليلها شيء سوى أحشاء حمزة بن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ.

أخذ جبير بن مطعم يهيِّئ غلامه وحشيّ لأمرٍ عظيم، وهو قتل حمزة بن عبد المطلب مقابل عمّه طعيمة بن عَدي، فكانت الخطة في حيّز التنفيذ، وملخّصها الغدر بحمزة، وكانت هند بنت عتبة كلّما مرّت بمن أخذ على عاتقه تنفيذ الجريمة (وحشي)، أغرته بقولها: «وَيْهاً أبا دسمة، أشفِ وأستشْفِ، وكان وحشيّ يكنّى بأبي دسمة)، فأقبلوا حتى نزلوا بعنين، بجبل ببطن السَّبْخة من قناةٍ على شفير الوادي مقابل المدينة»[٢].

وكانت وقعة أُحد، وجرت كما قدّر لها أن تكون، انتصار للمسلمين وفرار

---

(١) في ظلال نهج البلاغة للمرحوم محمد جواد مغنية: ٤ / ٤٢٦.

(٢) السيرة النبوية: ٣ / ٧٠.

المشركين أولاً، فبدت نشوة النصر ترفرف على رؤوس المسلمين، لولا التفاف خالد بن الوليد على جيش المسلمين وأنشغال المسلمين بجمع الغنائم وترك مواقعهم التي حدّدها لهم رسول الله ﷺ، حيث أدّى ذلك الى تفكّك جيش المسلمين، واستشهاد العديد منهم.

كسرت رباعية رسول الله ﷺ وأُثخن بالجراح، وانهزم الكثير من الصحابة، ولم يَبقَ إلّا ثلّة قليلة تدافع عن رسول الله ﷺ، رغم كل ذلك لم يكن شيء أمرّ على قلب النبيّ الكريم من رؤية عمّه حمزة وقد بُقرت بطنه، وأُخرجت أحشاؤه، وقُطِعت مشاويه، وجُدِع أنفه، ولاكَتْ هند كبده، لقدكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه وهو بتلك الصورة، وقد قال ﷺ كلمته المشهورة: «على مثل حمزةَ فلتبكِ البواكي».

وحشيّ ذلك العبد القاتل ـ جاء الى المدينة متخفّياً لكي يسلم، اقترب من النبي علىٰ أطراف اصابعه، حتى إذا أصبح قائماً على رأس رسول الله ولم يشعر به النبيّ العظيم قال: قمت «**أتشهّد بشهادة الحقّ، فلمّا رآني قال: أوحشي؟! قلت: نعم يا رسول الله، قال: أقعُد فحدِّثني كيف قتلت حمزة؟ قال: فحدّثته كما حدّثتكما، فلمّا فرغت من حديثي قال: وَيْحك! غيّب عنّي وجهك، فلا أُرَيَنّك. قال: فكنتُ أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان؛ لئلّا يراني حتى قبضه الله ﷺ**»[1].

هذه هي الآلام التي خلّفتها هند بحقدها على رسول الله وآله، وكم مرّةٍ سعّرت النار في قلب النبي الأكرم ﷺ من جرّاء تلك الجرائم المشينة والمؤثّرة في نفسه المباركة؛ فهل يجوز لمعاوية بعد هذه الجريمة النكراء وغيرها أن يتحدّث عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآل النبي ﷺ ويقايس نفسه معهم؛ وأُمه

(١) المصدر السابق: ٣ / ٨٠.

هند وأبوه صاحب العير والنفير؛ وقائد جمع المشركين ضدّ رسول الله ﷺ والمسلمين، والذي أسلم بعد فتح مكّة عام (٨ هـ) بعد أن كبرت سنّه ودنا منه الموت بسرعة، حتى أنّ يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية أُسر يوم فتح مكّة؛ لأنّه جاء يمنع رسول الله ﷺ من دخول الحرم الآمن.

قال السيوطي: «معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمسِ بن عبد منافٍ بن قصي: الأُموي، أبو عبد الرحمن، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكّة، وشهد حُنيناً، وكان من المؤلَّفة قلوبهم»[1] ولهذا فإنّ أمير المؤمنين يقول لمعاوية في واحدٍ من كتبه: «**وإنّما أنت طليقُ بْنُ طليقٍ، لعينُ بْنُ لعينٍ، وَثَنُ بْنُ وَثَنٍ، ليس لك هُجرةٌ ولا سابقةٌ، ولا منقبةُ، ولا فضيلةٌ، وكان أبُوْكَ من الأحزاب الَّذينَ حاربوا اللهَ ورَسُوْلَهُ، فَنَصَرَ اللهُ عَبدَهُ، وصَدَقَ وَعْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحزاب وَحْدَهُ**»[2].

حقائق مختارة من الواقع الأموى:

إنّ من يبحث عن المفاخرة ويجادل بها حقيق عليه أن يصنع المناقب الحسنة والأعمال الطيّبة أمام الناس ليظهر الدور الرفيع والبارز له ولأهله؛ حتى تكون مناظرته متكاملة الجوانب؛ بعيدةً عن الشبهات والتشكيك، إلّا أنّ الذي حصل من خلال مفاخرات معاوية هو العكس تماماً، حيث التمسّك الزائف المكشوف بصورٍ أخلاقية، ومواقف اجتماعية، وإيمان ظاهري بالاسلام، وهذه كلّها تنفيها الحقائق التأريخية المتعلّقة بحياة هؤلاء، وتثبت بطلان ذلك، فكيف

(١) تأريخ الخلفاء: للسيوطي: ص١٥٦.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٢٦٧.

يقدر معاوية بن أبي سفيان أن يتسامىٰ فوقَ عليٍّ عليه السلام علوّاً ورفعةً وشأناً عظيماً أو يوازيه؟! «لقد تربّىٰ معاوية في حجر أبي سفيان رأس القوى الرجعية في مكّة، وتربّى عليٌّ في حجر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما تحمله النبوّة من فداءٍ وتضحيةٍ وإيجابيةٍ للخير المطلق.. إنّ معاوية هو القطب الأزلي الكامن في الكون، قلب السلب المطلق (أي الشرّ)، وقد تصادم القطبان ـ أي عليّ ومعاوية، الموجب والسالب بقدر ما تتيح الإمكانية البشرية أن تكون سلباً مطلقاً أو إيجابياً مطلقاً»[(١)].

إنّ هذا السلب السفياني امتدّ أثره الوراثي أجيالاً متعاقبةً، فورّث عائلةً التصقت بها كلّ دنيئة وكلّ رذيلةٍ تُوصَف، حيث «أن ملوك بني امية اتوا من الشرور والآثام والظلم الشيء الكثير. لقد حاربوا علياً وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء علىٰ الجمال حواسر وكشفوا عن عورة علي بن الحسين وضربوا علي بن عبدالله بن عباس بالسياط الخ. وهدموا الكعبة وحولوها وغيروا اوقات الصلاة.

وبسبب ما ارتكب بنو امية من مخازوفجور دالت دولتهم بسرعة وانتزع العباسيون الملك من أيديهم بالبطش والحيلة»[(٢)].

«وحسبك من عبدالملك بن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول: [ما أنا بالخليفة المستضعف، ولا بالخليفة المداهِن، ولا بالخليفة المأفون]، وهؤلاء هم سلفه وأئمّته، وبشفعتهم قام ذلك المقام، وبتأسيسهم وتقدّمهم نال تلك الرئاسة، ولولا العادة المتقدِّمة والأجناد المجنَّدة والصنائع القائمة لكان أبعد خلق

---

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٤٢٦، نقلاً عن كتاب اليمين واليسار في الإسلام لأحمد عباس صالح: ص١٢٢.

(٢) رسائل الجاحظ: ص٤١.

الله من ذلك المقام، فالمستضعَف عنده عثمان بن عفّان، والمداهن عنده معاوية، والمافون عنده يزيد بن معاوية »[١].

هذا هو قول عبد الملك بن مروان بن الحكم المشهور، ولقّب أيضاً بخليفة المسلمين وأمير المؤمنين لقد أثار هذا الاعتراف جملة أسئلةٍ منها: أنه كيف يتّخذ المسلمون إماماً لهم أو خليفةً يحكمهم ويسير بهم في هذه الدنيا وشخصيته ضعيفة ومداهِن في سياسته العامّة (المداهن: الذي لا عهد له ولا وفاء)، والمأفون. أنّه لَمِن السخف وسفاهة العقل والمنطق والتعصّب الأعمى أن يأتمّ الإنسان بمثل هؤلاء من أحفاد بني أُميّة! إنّها مهزلة التأريخ التي تُضحِك وتُبكي في آنٍ واحدٍ من قرأها ووعاها، وما ورثه الأحفاد من أخلاقٍ مقيتةٍ كانت لأجدادهم أصلاً صفةً عامةً لهم، وهذا نفيل بني أُميّة بن عبد العزّىٰ جدّ عمر بن الخطاب قال حين تفاخر إليه حرب بن أُميّة وعبد المطّلب بن هاشم، فنفر عبد المطّلب وتعجّب من إقدامه عليه، وقال:

أبوك معاهِرٌ وأبوه عَفٌّ　　　وذاد الفيلَ عن بلدٍ حرامِ[٢]

رسائل السلام:

إنّ أول ما يلفت نظر المتتبّع للأحداث التأريخية الحالة القلقة وغير المستقرّه لولاة عثمان على الأقاليم الإسلامية بعد مقتل الخليفة وبيعة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، حيث شَخَصَ أمام أعينهم قضية عزلهم عن ولايتهم؛ بعد أن أتخموا وظلموا وعاثوا في الأرض فساداً، ومن جملة هؤلاء معاوية بن ابي

---

(١) النزاع والتخاصم: ص١٧.

(٢) النزاع والتخاصم: ص٢١.

سفيان، وقد بيّنّا موقفه من الثورة على الخليفة الثالث، خذله إيّاه ومآربه من ذلك، وكيف كان يطمع في أُمورٍ شتّى تتعلّق بأصل موقعه وحاكميته؟ لذا فقد ظلّ يتحيّن الفرص وينتظر ما تؤول إليه الأمور، حتى يستطيع أن يتّخذ الموقف المناسب والمحدَّد لكلِّ ظرفٍ يستجدّ.

إنّ الأمر الذي يجب أن يعرف هو: أنّ الإمام علياً عليه السلام، لم يكن ليخطر في فكره ولو لِلَحظةٍ واحدةٍ أن يقرَّ معاوية بن ابي سفيان على ولايته، إلّا أنّه اراد أن يكون هذا الأمر بشكل سلميٍّ، وكما هو متّبع سابقاً مع الخلفاء الثلاثة. فعليّ عليه السلام خَبرَ معاوية وعرفه جيّداً، وليس لديه أيّ خطّةٍ في إقرار مستبدٍّ أو ظالمٍ أو منحرفٍ، خاصّةً وإنّ الحاكم هو عليّ عليه السلام.

ورغم ذلك فقد ذكر المحمودي نقلاً عن كتاب صفين ج ٢ / ٨٠ان عليا عليه السلام قدم من البصرة مستهل رجب الكوفة، واقام بها سبعة عشر شهراً يجري الكتب فيما بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص[(١)].

لقد فهم معاوية من مواقف أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أنّه ناقوس خطر يدقّ على أبواب ولايته خاصّةً بعد إشارة الإمام عليه السلام في واحدة من رسائله « **حتى كان ما لابُدَّ مِنْهُ ولا دفع له** »، أي قتل عثمان كان بسبب سعي بني أبيه في الأرض فساداً، ورضاه عن ذلك بسكوته وحمايته لهم، فبدأ معاوية يقلّب افكاره ليجد مخرجاً ينقذه من هذا المأزق الكبير، فوصل بتفكيره الىٰ أن يتذرّع بقضية مقتل عثمان وخروج عائشة وطلحة والزبير ومقتل الأخيرين في معركة الجمل، بحيث تكتسب مطالبته بدمهم حالةً من الشرعية حسب رأيه.

إن علياً عليه السلام لا يريد حرباً بين المسلمين إلّا إذا أُجبر عليها وأُستنفدت كلّ

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٤٦.

الطرق للحؤول دون هكذا صراع، وكان يرغب بـانتهاء مشكـلة الشـام بـصورةٍ سلميةٍ تحقن فيها دماء المسلمين، «لما ملك عليّ عليه السلام الماء بصفين ثم سَمَحَ لأهل الشّام بالمشاركَةِ فيها والمساهَمَة استمالة لقلوبهم مكث أيّاماً لا يُرْسل إلى معاوية احداً ولا يأتيه من عند معاوية أحد، وَاسْتَبْطَأَ أهل العراق إذنه في القتال فقالوا: يا امير المؤمنين خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة أئذن لنا في قتال القوم فإنّ الناس قد قالوا؛ قال عليّ عليه السلام: ما قالوا؟ فقال منهم قائل: انّهم يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية للموت ومنهم من يظنّ أنَّك في شك في قتال أهل الشام.

فقال ومتى كنت كارهاً للحرب قطّ إنّ من العجب حُبّي لهـا غـلاماً ويـفعاً وكراهتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت وأما شكّي في القوم فـلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة فوالله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فما وجدت يسعني إلّا القتال أو أن أعصي الله ورسوله ولكني أستأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدي فيهم طائفة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: «لأن يـهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»»[1].

وقد أدرك معاوية بصورةٍ لا تقبل الشكّ أنّه لا خـلاص مـن عـليٍّ عليه السلام إلّا بمجابهته أو التنازل عن منصبه والقبول بعزله، وهذا هو الأخطر والأهمّ بـالنسبة له، ولم يمض وقت طويل بعد وقعة الجمل مباشرة حتى كتب إليه الإمام علي عليه السلام قائلاً: «... وقد بلغك ما كان من قتل عثمان، وبيعة الناس عامّةً إيّـاي، ومـصارع الناكثين لي، فادخل فيما دخل الناس فيه، وإلّا فأنا الذي عرفت، وحولي من تعلمه، والسلام»[2].

---

(١) بحار الانوار للعلامة المجلسي: ٣٢ / ٤٤٨.

(٢) الإمامة والسياسة: ١ / ٨٢؛ نهج السعادة: ٤ / ٧٨.

بعد وصول هذا الكتاب أغتم معاوية، وتغيّر لونه، وتحيّر في ما يفعله، الى أن وقع نظره على واحدٍ من جُهّاله من عبس، أرسله الى الإمام وحمّله كتاباً له، هذا وطبقاً للخطّة المعدّة سلفاً قام وسط الجمع من اصحاب عليٍّ عليه السلام خطيباً مخوّفاً إيّاهم بقدرة جيش معاوية وحالتهم المعنوية المتأثّرة بمقتل الخليفة، وما الى ذلك، حيث ردّه الناس قائلين: «يا اخا عبس أتخوّف المهاجرين والأنصار بخضر الخيل، وغضب الرجال؟! أَمَا واللهِ ما نخاف غضب رجالك، ولا خضر خيلك، فأمّا بكاء أهل الشام على قميص عثمان فواللهِ ما هو بقميص يوسف، ولا بحزن يعقوب، ولئن بَكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز؛ وأمّا قتالهم علياً فإنّ الله يصنع في ذلك ما أحبَّ»[1]، فخاب ظنّ العبسي ويأس منهم، واستقر في الكوفة فترةً طويلةً حتى ظنّ به معاوية سوءاً، وقد تغيّرت أفكاره اتّجاه عليٍّ عليه السلام فيما بعد.

ظلّ الإمام عليّ عليه السلام يرسل الوفود تترىٰ، وكان غرضه عليه السلام توعية أهل الشام وتعريفهم حقيقة الأُمور؛ رغم محاولات معاوية غلق أبواب الشام بوجه نسائم الرحمة الإلهية والمنقذة للقلوب التي أعمتها أباطيله، فمرّةً يخفي كتاب عليٍّ عليه السلام، وأُخرى يحاصر رسوله بطبقةٍ من الغوغاء التي لا ينفع معها الحديث إذ كانوا ينتحبون كلّهم ويبكون، ولا ينظرون إلّا الى القميص المعلّق الملطّخ بدماء الخليفة عثمان، واطلاق صيحات الثأر لدم عثمان ولا غير...، وما أصعب إيضاح الحقائق لمثل هؤلاء وسط تعبئةٍ إعلاميةٍ شاملةٍ قام بها معاوية وأنصاره آنذاك، وكلّها تستهدف علياً عليه السلام وخلافته.

ورغم ذلك سعى الإمام عليّ عليه السلام الى إطفاء نار الحرب بالطرق السلمية،

---

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ٨٤.

وحاول «جهد أستطاعته أن يتجنّب الحرب التي سعى معاوية ما أمكنه إلى إشعال نارها، كما حاول عبثاً إقناع معاوية وصحبه بالكفّ عن إيذائه وإيذاء رعاياه، فأوكل ـ مضطرّاً ـ أمره إلى السيف، فبدأت الحرب بين الجانبين»[(١)].

من الذي قتل المسلمين؟

إنّ أمر معاوية في محاجبته الإمام علياً عليه السلام عبر الرسائل المتبادلة يثير الاستغراب والدهشة! حيث يعجب المرء لذلك الدجل والكذب والتناقض الذي اتّسمت فيه معاني تلك الرسائل، وما من باحثٍ ومنصفٍ وأيٍّ كان مذهبه عقيدته يستطيع أن ينكر أو يغطّي جرائم معاوية بحقّ المسلمين، ورغم حجم جرائم معاوية وذبحه للمسلمين التي لم يسبقها مثيل في تأريخ الإسلام مع ذلك نجده يتّهم الإمام العظيم بالخوض في دماء المسلمين، عليٌّ الذي رحم أعداءَه وحاول إنقاذهم من الموت الروحي قبل الجسدي، آملاً منه الصلاح والسيرة الحسنة، ففي رسالةٍ لمعاوية بعثها لعليٍّ عليه السلام ضمّنها تلك الاتّهامات الواهية، حيث قال: «واقلع عمّا اسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين، وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول [لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتلِ رجلٍ واحدٍ من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار] فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين بله ما طحنت رحى حربه من أهل القرآن وذي العادة والإيمان من شيخ كبيرٍ وشابٍّ غرير كلّهم بالله تعالى مؤمن، وله مخلص، وبرسوله مقرّ عارف؟!»[(٢)].

(١) عليّ ومناوئوه: ص١٦٨.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٢٦٠.

قبل أن نبحث الموضوع تفصيلاً نعرض ردّ الإمام عليٍّ عليه السلام على هذا الكتاب، ثمّ نعطي الشواهد التأريخية التي ترِدُ على كلام معاوية فقد قال عليّ عليه السلام لمعاوية: «**أمّا بعْدُ فقد أتتني مِنكَ موعظةٌ مُوصَّلَةٌ ورسالةٌ مُحبَّرةٌ، نمَّقْتَها بضلالِكَ، وأَمضيتها بسُوءِ رأيكَ، وكتابُ أمرئٍ ليسَ لَهُ بَصَرٌ يهديْهِ، ولا قائدٌ يرشدُهُ، دعاهُ الهوى فأَجابَهُ، وقادهُ الضَّلالُ فاتَّبَعَهُ، فهجَرَ لاغِطاً، وَضَلَّ خابطاً**»[1].

وهذا مقطع من رسالة الإمام عليه السلام، وسنعرض بقيّتها تباعاً.

لقد بيَّن الإمام عليه السلام حقيقة الرسالة التي بعثها معاوية، المملوءة بالضلال واللغط والكذب، وأوضح له بطلان ما ذهب اليه، فهو كلام امرئٍ يسيِّره هواه ويجمعه تيههُ في الضلال، وحبّه لدنياه، فجمع بذلك كلّ الصفات الذميمة التي لا تليق بمسلمٍ مؤمنٍ بالله وبرسوله وبكتابه.

شواهد حيّة:

كثيرة جدّاً هي الحقائق التأريخية في بيان واقع ابن أبي سفيان، والتي تدحض كلامه المنمّق وادّعاءه الباطل، فمن الذي أولغ يديه في دماء المسلمين؟ ومن الذي قتل الصحابة والمؤمنين؟

الم يكن معاوية بن ابي سفيان صاحب تلك الكلمات التي زوّقها بألفاظٍ تعجب قارئها ودسّ فيها السمَّ الزعاف؟!

ألم يدعُه عليّ عليه السلام للبراز وإعفاء طرفي النزاع شرّ القتال؟! «**وأعف الفريقين القتال**».

ألم يقتل جيش معاوية عمّار بن ياسر وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**تقتله**

---

(١) المصدر السابق: ٤ / ٢٦١.

الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وإنّ آخر رزقه ضياح من لبـن؟!»[١]، وسـنأتي على تفاصيل ذلك تباعاً.

ألم يقتل عشرات الآلاف من المسلمين مـن كـلا الفـريقين بـفعل نـزوته الشخصيه، وعدم بيعته لخليفة المسلمين الشرعي الذي اختاره الله فـي «غـدير خمٍّ» ثمّ اختارته الأُمّة وبايعته ثمّ تجييشه الجيوش لحربه؟!

أمّا حوادث وجرائـم بُسـر بـن ارطأة بـحقِّ المسـلمين وقـتلهم ونـهبهم واستباحة أعراضهم فأمره لا يغطّى بكلمات معاويةٍ؛ لأنّه لا تجد كتاباً تأريـخياً يؤرّخ تلك الحقبة الزمنية وما بعدها إلّا ويذكر قسماً من جرائمه وقـتله وسـلبه بحيث لم يسلم منه حتّى الاطفال الذين ذبحهم على صـدور أُمّـهاتهم إنّـه قـائد معاوية على جيوشه التي أغارت على أطراف البلاد الإسلامية.

ثمّ تلتها جريمة معاوية النكراء بحقّ حجر بن عَديٍّ الكندي ثم عمرو بـن الحمق الخزاعي وأصحابهما، فأمّا اصحاب حجر الشهيد فقد حفروا لهم قبورهم وهم لا زالوا أحياءً «فقاموا الليل كلّه يصلّون، فلمّا أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من عليٍّ، فقالوا: نتولّاه ونتبرّأ ممّن تبرّأ منه! فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليـقتله، فقال حجر: دعوني أتوضّأ وأُصلّي»[٢]، حيث صلّى ركعتين خفّف فيهما، ثمّ قال لهم: «لولا أن تظنّوا بي غير الذي أنا عليه لأحببت أن تكونا أطول ممّا كانتا، ولَئِن لم يكن فيما مضى من الصلاة خيرٌ فما في هاتين خير، ثمّ قال لمن حـضره مـن أهله لا تطلقوا عنّي حديد: [لأنّه كان مصفّداً بـالأغلال ومشـدوداً بـالسلاسل]، ولا تـغسّلوا عـنّي دمـاً، فـإنّي أُلاقـي مـعاوية غـداً عـلى الجـادّة، ثـمّ قُـدِّم

(١) تأريخ الطبري: ٣ / ٩٨.

(٢) القرآن الكريم وروايات المدرستين للعلامة السيد العسكري الكتاب الثاني: ص٥٧٦.

فضُرِبت عُنُقه»[١].

حتى أُم المؤمنين عائشة استنكرت الجريمة وقالت لمعاوية: «أما خشيت الله في قتل حُجْر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلتُهم، إنّما قتلهم من شهد عليهم!»[٢].

وقد قالت عائشة: «لولا أنّا لم نُغيِّر شيئاً إلّا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشدّ منه لغيّرنا قتل حجر، أما واللهِ إن كان ما علمتُ لمسلماً حجّاجاً معتمراً. وقد قال الحسن البصري: أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم تكن فيه إلّا واحدةً لكانت مُوبقة: انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذَوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكّيراً خميّراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: [الولد للفراش وللعاهر الحجر] وقتله حُجْراً وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر! ويا ويلاً له من حجرٍ وأصحاب حجر!»[٣].

وهذا كتاب شريح بن هانئ سلّمه وائل بن حجر الى معاوية: «أمّا بعد، بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْر بن عَدي، وأنّ شهادتي على حُجْر أنّه ممّن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحجّ والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر...»[٤] يدين معاوية علىٰ جريمته النكراء.

إذن أين ابن أبي سفيان من الحديث الذي خاطب به علياً عليه السلام في رسالته وكأنّه الواعظ المتّقي الزاهد العابد حينما يقول: «إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو تملأ أهل صنعاء وعدن على قتلِ رجلٍ واحدٍ من المسلمين لأكبّهم الله

---

(١) تأريخ الطبري: ٣ / ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٢٣٢.

(٣) الكامل في التأريخ: ٢ / ٤٩٩.

(٤) تأريخ الطبري: ٣ / ٢٢٨.

على مناخرهم يوم القيامة؟!»[١].

فما هو تبرير معاوية في قتله حجر بن عَديٍّ وأصحابه صبراً؟! وبماذا يبرّر قتله عمرو بن الحمق الخزاعي الذي «أصابه التشريد والقتل في هذه المعركة، فإنّه فرَّ الى البراري، فبحثوا حتى عثروا عليه، فحزّوا رأسه وحملوه الى معاوية، فأمر بنصبه في السوق، ثم بعث برأسه إلى زوجته في السجن ـ وكان سجنها في هذا السبيل ـ فأُلقي في حجرها»[٢].

هذا جانب من تلك السيرة الدموية لمعاوية، والتي سعى من خلالها الى قتل وسبي وسجن كلّ من يعترض على حكمه أو يحتجّ عليه، سواء كان من أهل بيت النبوّة عليهم السلام، أو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو من الناس عامّة!

الفئة الباغية:

ذكرنا سلفاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمار بن ياسر أنه تقتله الفئة الباغية، لقد حاول معاوية إلقاء شبهة البغي على عليٍّ عليه السلام؛ ليظهر شخصيّته كأنسان مسالم حافظ على دماء المسلمين؛ ليبعد بذلك شبح ومصداقية الحديث النبوي عنه، ويُقنِع جهلته من أهل الشام بأنّه على حقٍّ وجيش عليٍّ عليه السلام على الباطل، فردّ عليه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: **«وأمَّا تحذيرُكَ إيّايَ أَنْ يُحبَطَ عملي وسابقتي في الإسلام فلَعَمري لو كُنْتُ [أنا] الباغِيْ عَلَيْكَ لكانَ لك أَنْ تُحذِّرَني ذلك، ولَكِنِّي وجدتُ الله تعالى يقول: ﴿فقاتِلُوا الّتيْ تبغي حتّى تفيءَ إلى أمرِ الله﴾**[٣]، فنظرنا إلى

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٦٠.

(٢) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢ / ٥٧٩، وتراجع المصادر في الكتاب المذكور.

(٣) الحجرات: ٤٩.

الفئتين، أَمَّا الفئةُ الباغِيةُ فوجدناها الفئة التي أنت فيها؛ لأنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، كما لزمتك بيعةُ عثمان بالمدينة وأنت أميرٌ لعمر على الشام، وكما لزمتْ يزيداً أخاك بيْعةُ عُمرَ وَهْوَ أميْرٌ لأَبي بكر على الشام »[(١)].

ولنلاحظ الآن بعض الروايات والأخبار؛ لنرى من هي الفئة الباغية؟ ومن قتل عمار بن ياسر؟

فقد روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عقاب بن ثعلبة، قال: « حدّثني أبو أيّوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب، قال: أمر رسول الله ﷺ عليَّ بن ابي طالب بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين »[(٢)].

« يقول القاضي أبو بكر بن العربي في تفسيره للآية الكريمة ﴿فَقَاتِلُواْ الَّتي تَبغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمرِ اللهِ﴾[(٣)] إن الله سبحانه أمر بالصلح قبل القتال وعيّن القتال عند البغي فعمل عليّ بمقتضى حاله، فإنه قاتل الباغية التي أرادت الاستبداد على الامام... »[(٤)].

وفي روايةٍ أخرى أكثر تفصيلاً ودلالةً رواها الخطيب البغدادي بسنده عن علقمة والأسود قالا: « أتينا أبا أيّواب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيّوب، إنّ الله أكرمك بنزول محمدٍ ﷺ، وبمجيئ ناقته تفضلاً من الله، وإكراماً لك، حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلّا الله [أي أهل الشام وقبلهم أصحاب الجمل]، فقال: يا هذا إنّ الرائد لا يكذب

(١) نه السعادة: ٤ / ٢٦٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٣٩؛ الإمامة وأهل البيت عليهم السلام للدكتور البيّومي: ٢ / ١٧٧.

(٣) سورة الحجرات: الاية ٩.

(٤) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين للدكتور محمد عمر حاجي: ص٢١١. نقلاً عن ابن عبد البر: ٢ / ٤٢٣.

أهله، وإنّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثةٍ مع عليٍّ: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأمّا الناكثون فقد قاتلناهم أهل الجمل: طلحة والزبير، وأمّا القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم [أي أهل صفّين: معاوية وعمرو بن العاص]، وأمّا المارقون فهم أهل الطرِفَاوات وأهل السُعَفيات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، واللهِ ما أدري أين هم؟ ولكن لابدّ من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية»(١)، وأنت إذا ذاك مع الحقّ، والحقّ معك، يا عمّار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلُك مع عليٍّ، فإنّه لن يُدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمّار، من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وِشاحين من درٍّ ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوَ عليٍّ عليه قلّده الله يوم القيامة وِشاحين من نار، قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله!»(٢).

---

(١) ورد هذاالحديث في عدة روايات ومن طرق عديدة منها:

١ ـ حديث ابي هريرة: أخرجه الترمذي في «الجامع الصحيح» ٦٦٩/٥، كتاب المناقب باب ٣٥، مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقال الترمذي: وفي الباب عن أُمّ سلمة وعبدالله بن عمرو، وأبي اليسر وحذيفة. وقال: وهذا حديث حسن صحيح.

٢ ـ وحديث أبي رافع خزيمة بن ثابت: اخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٢٥٩/٣؛ وأحمد في «المسند» ٢١٤/٥.

٣ ـ وحديث كعب بن مالك: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» ٣٢٢/١٢.

٤ ـ وحديث ابي رافع: اخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٣٠٠/١.

٥ ـ وحديث عبدالله بن عمر: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٤١٤/٧.

٦ ـ وحديث حذيفة: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٢٧٥/٨.

٧ ـ واخرج هذا الحديث الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٢٤٣/٣.

(٢) تأريخ بغداد: ١٨٦/١٣؛ الإمامة وأهل البيت: ١٧٧/٢؛ بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسائل العثمانية لابن طاووس: ص ٣٥٠.

وفي خبر آخر أن قوماً جاؤوا يسألون من عمار بن ياسر قائلين « يا أبا اليقظان إنَّك من رسول الله ﷺ بالمكان الذي تعلم فنسألك بحقّ الله وحقّ رسوله هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر هذه الفتنة؟ فقال عمّار: أشهد أن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين، وأمرنا بقتال المارقين من أهل النهروان بالطرقات وسمعنا رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع الحق والحقّ مع عليّ لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة »[1]، وروى « عبد بن ابي ليلى قال: كنت بصفين فرأيت رجلاً أبيض اللحية، معتماً متلثماً ما يُرى منه إلا أطراف لحيته، يقاتل أشدّ قتال، فقلت: يا شيخ تقاتل المسلمين؟ فحسر لثامه، وقال: أنا خزيمة ـ [أي خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين صاحب رسول الله ﷺ] ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول (قاتل مع عليٍّ جميع من يقاتل) »[2].

وهناك الكثير من الأحاديث بهذا الشأن، إلّا أنّنا نقف عند تلك الأحاديث التي ذكرناها، ونتساءل هنا من هي الفئة الباغية؟ ومن أُولئك الصحابة الأوائل الذين وقفوا مع عليٍّ عليه السلام؟ ومن هو صاحب الحقّ؟ فلو كان معاوية حقّاً كما يدّعي فإين أصحاب رسول الله منه؟ وهل يمكن أن نكذِّب الخِيَرة من اصحاب النبي ونتعامى عن وجودهم في جيش الحقّ مع عليٍّ عليه السلام بعد أن أمرهم بذلك رسول الله ﷺ ؟!

نختتم كلامنا هنا بإجابة عليٍّ عليه السلام لمعاوية، حيث خاطبه عليه السلام قائلاً: « فأمّا تخويفُكَ لي من قتل أَهْل البَغْي فإنَّ رسُولَ الله ﷺ أَمرني بقتالهم وقتلهم، وقال لأصحابه: [إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله]، وأشارَ

(١) المعيار والموازنة، لابي جعفر الاسكافي: ص١١٩.

(٢) أصحاب الإمام أمير المؤمنين والرُّواة عنه للدكتور محمد هادي الأميني: ص١٩١.

إِلَيَّ وأَنا أَولى من اتّبعَ أمرهُ»[١].

شقّ عصا الأمّة:

من مزاعم معاوية في رسائله التي بعثها الى الامام عليٍّ عليه السلام ـ بعد أن بايعه الأنصار والمهاجرون الأوّلون ـ كان يتّهم الإمام عليه السلام أنّه يشقّ وحدة وتماسك الأُمّة، ويشتّت جمعها ويفرّقها، وكأنّ معاوية وليّ الأمر الذي يهمّه ذلك، وكأنّه صاحب الحقّ الذي يجاهد من أجله! حيث يقول في إحدى رسائله لعليٍّ عليه السلام: «وإنّي أُحذِّرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشقّ عصا هذه الأُمّة وتفريق جماعتها، فاتقِّ الله واذكر موقف القيامة!»[٢].

فردَّ عليه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قائلاً: «**فأمّا شقُّ عصا هذه الأُمَّةِ فأنا أَحقُّ أَنْ أَنهاكَ عنه**»[٣]، تحذير بكلام عظيم! ومن الذي يحذِّر سوىٰ الخليفة الشرعي الذي اختاره الله إماماً لها وأختارته الأمّة ممثّلةً برجالاتها وقادتها، ودانت له بالبيعة أكثر نواحي البلاد الإسلامية؟ وإذن من الذي خرج على إجماع الأُمّة غير ابن أبي سفيان وحاشيته؟! ثمّ لأيِّ سببٍ أو مبرِّرٍ شرعيٍّ لم تصحَّ خلافة عليٍّ عليه السلام، وأنّ أهل الشام لم يدخلوا في بيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؟! بحيث يقول معاوية في رسالته: «فَلَعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين، ولكنّها ما صحّت لك، أنّى بصحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها؟! وخِفِ اللهَ وسطواته، وأتّقِ بأسه ونكاله، وأغمد سيفك عن الناس، فقد واللهِ أكلتهم الحرب، فلم يبقَ منهم إلّا كالثمد في قرارة الغدير، والله

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٦٣.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق: ص٢٦٣.

المستعان!»[١].

فأجابه امير المؤمنين عليه السلام: «وأمّا قولك: [إنَّ بيعتي لم تصحَّ لأَنَّ أَهل الشام لم يدخلوا فيها] كيف؟ وإِنَّما هي بيعةٌ واحدةٌ، تلزمُ الحاضر والغائب، لا يُثنى فيها النظرُ، ولا يستأنفُ فيها الخيارُ، الخارج منها طاعنٌ والمُروِّي فيها مُداهِنٌ، فأربع على ظَلعك، وانزع سربال غيِّك، وأترك ما لا جدوى لهُ عليكَ...!»[٢].

لم نسمع من قبل أنّ بيعةً عقدت لخليفةٍ من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأستأنفَ فيها الخيار في الولايات بعد عقدها! فبيعة أبي بكر وعمر وعثمان رغم أنّ كلاً منها لها مسلكها الخاصّ وطريقها المتباين ـ فواحدة [فلتة وقى الله شرّها] كما عبّر عنها عمر، والثانية استنابة ووصيّة من الأول الى الثاني، والثالثة شورى بين الستّة مع رجحان كفّة عبد الرحمن بن عوف المخالف أصلا لاستخلاف عليّ عليه السلام وواضح الممالأة لقريبه عثمان ـ إلّا أنّنا لم نجد أحداً من الولاة في جميع الولايات وأطراف البلاد من أحتجّ أو رفض البيعة، إلّا ماكان من حوادث السقيفة وما بعدهاوحروب الردّة في الجزيرة العربية ومن اعتراضاتٍ من بعض الصحابة على شخص الخليفة نتيجةً لغصب الخلافة كاعتراض مالك بن نويرة، واعتراض البعض على عمر لغصبه فدك نحلة الزهراء عليها السلام وغير ذلك، وكانت تلك الأحداث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي في بداية خلافة أبي بكر، فكان الأمر سهلاً يسيراً حتى نهاية السنين الستّ الأُولى لخلافة عثمان، وبداية الستّ الثانية التي بدأ فيها عثمان تسليطه بني أُميّة على رقاب المسلمين، وبداية ظهور قبائحهم ورذائلهم، ثمّ التململ الشعبي الذي بدأ يبرز للوجود من جرّاء ذلك وبداية الفتنة الكبرى.

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢٦١.

(٢) نهج السعادة: ٤ / ٢٦٣.

أمّا خلافة عليٍّ عليه السلام فقد كانت بيعة عامّة وشاملة بمشاركة واسعة المهاجرين والأنصار والأُمّة كافّة، ومع ذلك يحتجّ عليها معاوية، ويشقّ عصا الطاعة، ويخرج عن إجماع الأمّة رغم شموليّتها وسعة القاعدة المشاركة في البيعة، مع خصوصية المشاركين وفيهم الذين هم من خيرة أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والذين تُجلّهم الأُمّة وتأخذ برأيهم وقرارهم، في حين لم نَرَ ابن أبي سفيان قد احتجّ سابقاً على الثلاثة الأوائل، ولم يقل «أنّى بصحّتها واهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها؟!»، أم كان السبب باتّخاذه ذلك الموقف: أنّ الرابع من الخلفاء كان عليَّ بن ابي طالب عليه السلام وهو قاتل جَدِّه وأخيه وخاله ورهطه، أم أنّه ابن عمّ النبيّ وزوج ابنته الزهراء وأبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ربّما كان ذلك ترك اثره السلبيّ على نفسية معاوية المرتهنة بخطّ الانحراف والجريمة!

إذن أيّ عذرٍ لمعاوية بعد هذه القواعد الأساسية التي اجتمعت جميعها في بيعة عليٍّ عليه السلام، لقد انفردت بها خلافة عليٍّ عليه السلام عن غيرها بخصوصياتٍ عَددّها الإمام عليه السلام في رسالته، حيث قال: عليه السلام: «وإنّما الشُّورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجلٍ فسمُّوه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعنٍ أو رغبةٍ ردُّوْهُ إلى ماخرج منهُ، فإنْ أَبى قاتلوه على اتِّباعه غير سبيل المؤمنين، وولّاهُ اللهُ ما تولّى، ويُصليه جهنَّم وساءت مصيراً»[1].

إنّ دعوة عليٍّ عليه السلام هي دعوة الإسلام والقرآن والسنّة النبوية الطاهرة.

ولقد افترى معاوية على أمير المؤمنين عليه السلام ما طاب له من مطاعن وأكاذيب، بدّل الحقائق وقلبها، وألبس الحقّ بالباطل.

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٨٩.

إذن لماذا العداء لرجلٍ مع رجل عرف الله ورسوله ﷺ حق معرفته، وعمل بأحكام الإسلام، ومن أصدق عملاً من عليٍّ عليه السلام وهو يدعو الى الله ورسوله ﷺ «ألا إنّي أَدعوكُمْ إِلى كتاب اللهِ وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ»[(١)].

وظلّت كلماته عليه السلام تتردّد على الأسماع، وتدعو الى الله ونبذ الفرقة، وعدم شقّ عصا هذه الأُمّة، ومن الذي تأتمنه على أرواح المسلمين وأعراضهم وأموالهم في عصر عليٍّ غير عليٍّ عليه السلام وهو يدعو الى «حَقْنِ دِماءِ هذه الأُمَّةِ»[(٢)]، ثم يحذر «فإِنْ قَبِلْتُمْ أَصبتم رُشْدَكُمْ وَهُدِيْتُمْ لحظِّكمْ، وإِن أَبَيْتُمْ إِلَّا الْفُرْقَةَ وشقَّ عَصٰا هذِهِ الأُمَّةِ لم تزدادوا من اللهِ إِلَّا بُعْداً، وَلمْ يزْدَدِ اللهُ عليكُمْ إِلَّا سُخْطاً»[(٣)].

* * *

---

(١) نهج السعادة: ٤ / ٢١٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق: ٤ / ٢١٩.

الفَصلُ الثّالِثُ

ولاية الأمر بين الواقع والتطبيق

خصائص ولاية الأمر:

كان لابّد لمن يتولّىٰ أمر هذه الأُمّة أن تتوفّر فيه خصال متميِّزة تفرز الأكثر استحقاقاً عن غيره، فالمسلمون لهم ضوابطهم الشرعية والعرفية التي أُقِرَّت لأمرٍ حسّاسٍ كهذا، وهناك بحوث متعدّدة تناولت هذا الموضوع ذكرتها كتب الحديث والفقه وغيرها، اشبعت هذا الموضوع درساً وبحثاً، منها ما جاء في الأحكام السلطانية للماوردي، وبدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق، وكتاب ابن الربيع، وغيرها الكثير، وكان هؤلاء من المتأخّرين.

أمّا الذي حدَّد النقاط الأساسية التي يجب أن تُعتَمد وتُتَّخذ منهجاً للسير عليه هو عليّ عليه السلام، وقد جاء ذلك في كتابٍ بعثه الى معاوية مبيِّناً تلك الضوابط المهمّة وهي: «إنّ أَوْلى النّاسِ بهذا الأَمر قديماً وحديثاً» من تتوفّر فيه هذه الصفات:

١ ـ «أَقرَبُهُم برَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله».

٢ ـ «أعلَمُهُمْ بالكتاب».

٣ ـ «أفْقهُهُمْ في الدِّينِ».

٤ ـ «أفضلُهُمْ جهاداً».

٥ ـ «أوَّلُهُمْ إيماناً».

٦ ـ «أَشدُّهُمْ اضطلاعاً بما تجهلُهُ الرَّعيَّةُ من أمرها»[1].

---

(١) نهج السعادة: ٢١٨/٤.

هذه الأعمدة الأساسية والأركان المهمّة لبناء الولاية والحكم كما افترضها الله، وهذه في الحقيقة لم تتوفّر أبداً في غير أهل البيت عليهم السلام عليّ وبنوه عليهم السلام.

فالعمود الأوّل القُرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكما قال الله تعالى: ﴿وأُولُوا الأرحَامَ بَعضُهُم أولى ببعضٍ في كتابِ اللهِ﴾[1]، هذا أمر مفروغ عنه بالنسبة علـيٍّ وأولاده عليهم السلام؛ لما عُرف من ارتباطٍ خاصٍّ بين الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام.

أمّا الثاني: « أعلمُهُمْ بالكتاب » فمن هو أعلم بكتاب الله من عليٍّ عليه السلام؟

إنّ علياً عليه السلام وباتّفاق العامّة والخاصّة هو أعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالكتاب العزيز، فقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في مرضه: « **أيّها الناسُ، يوشَكُ أن أُقبَضُ قبضاً سريعاً فيُنطَلَقُ بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرةً إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم كتابَ ربِّي عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيدعليٍّ فرفعها، فقال: هـذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ، لا يفترقان حتّى يَرِدا عَلَيَّ الحوض، فاسألوهما ما خلَفتُ فيهما** »[2].

وعليّ عليه السلام هو الذي قاتل أعداء الدين على والتأويل.

والثالث: « **أفقههم في الدين** »، كان عليّ عليه السلام من أفقه أُمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلمهم، وهو البارز الأول وبدون منازع، وكان ذلك بإجماع علماء الأُمّة عليه، وإن وُجِدَ هناك من يحاول محوَ هذا الشأن العظيم فإنّ حجّته ضعيفة في ذلك، وتُدحض بالأحاديث والمواقف المعَلَنة والمعروفة.

وقد «.. كان كثير من الصحابة يلتمسون قول عليٍّ عليه السلام، فإذا ثبت لهم عنه قولٌ لم يستجيزوا لأنفسهم مخالفته.

---

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة: ١٩٤.

فقد نقل قُدامة المقدسيّ في (المغني) عن حِبر الأُمّة عبدالله بن عبّاس أنّه كان يقول: [إذا ثبت لنا عن عليٍّ قول لم نعْدُهُ إلى غيره]. وفي (طبقات الفقهاء)، عن عبدالله بن عبّاس: أُعطيّ عليّ تسعة أعشار العلم، وإنّه لأعلمهم بالعُشر الباقي.

وعن عائشة: أمّا إنّه ـ أي عليّ ـ أعلم الناس بالسُنّة.

وسئل عطاء: أكان من أصحاب النبيّ ﷺ أحد أعلم من عليٍّ؟ قـال: لا والله ما أعلمه»(١).

« وكانت [عائشة] كثيراً ما ترجع إليه في المسائل »(٢).

ناهيك عن قول عمر بن الخطّاب الشهير « لولا عليٌّ لَهَلَكَ عمر ».

ومعاوية خصمه اللدود كان حينما يُسأل يرسل إلى عـليٍّ عليه السلام مـن يسأله بذلك.

والرابع: « أفضلهم جهاداً »، كان عليّ عليه السلام مع رسول الله ﷺ في جهاده منذ أول ساعةٍ لدعوته، وفي الحصار، وفي استنابته لرسـول الله ﷺ والمـبيت فـي فراشه أثناء تآمر قريشٍ عليه، وتأدية الأمـانات فـي مكّـة، وحـمل الفـواطـم ومهاجرته معهم الى المدينة وأمام الملأ وبلا خوفٍ أو وجل، بطل بـدرٍ وأُحـد، وقاتل عمرو بن عبدِ ودٍّ بضربته التي تعادل عبادةَ الثَقلين بقول رسـول الله ﷺ، وصاحب راية خيبر.

وشجاعته في فتح حصن خيبر لا تحتاج الى تعليقٍ أو بيان، فبعد أن عـاد أبو بكر بالراية ولم يفعل شيئاً، ثمّ اعقبه عمر حيث لم يحدث أمراً قال رسول الله

(١) ابن تيميّة حياتُه عقائده: ص٣٢٨.

(٢) علي بن أبي طالب ـ امام العرافين أو البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية الى عـلي ـ للصدّيق الغماري الحسني ـ ص٧٢.

حينها: « لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفَرَّار، قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً [رضوان الله عليه] وهو أرمد، فتفل في عينه، ثمّ قال: خذ هذه الراية فامضِ بها حتى يفتح الله عليك »[١].

ناهيك عن السرايا التي قادها عليعليه السلام ودوره في فتح مكة وحنين وغيرها.

والخامس: « أَوّلُهُمْ إيماناً »، فإنّ علياًعليه السلام كان أول القوم إيماناً بما جاء به رسول الله ﷺ، « قال ابن إسحاق: ثمّ كان أوّل ذكرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلّى معه، وصدّق بما جاءه من الله تعالى: عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ،عليه السلام، وهو يومئذٍ ابنُ عشر سنين »[٢].

وذكر الطبري قال: « حدّثنا أبو كريب، قال حدّثنا وكيع، عن شُعبة، عن عمرو بن مُرّة، عن أبي حمزة مولى الأنصار، عن زيد بن أرقم، قال: أوّل من أسلم مع رسول الله ﷺ عليُّ بن ابي طالبعليه السلام »[٣]، لقد كان يصلّي ـ أي عليّعليه السلام ـ بالكعبة مع النبيّ ﷺ وخديجة، ثلاثة لاغيرهم « فكان أول من أجاب وأناب وصدّق ووافق، فأسلم وسلّم أخوه وابنُ عمّه عليّ بن أبي طالبعليه السلام، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كلَّ هول »[٤].

والسادس: « أشدُّهُمُ أضطلاعاً بما تجهلُهُ الرَّعيَّةُ من أمرها ».

قال المحمودي موضّحاً: « وكلّ من يتأمّل في السِيرَ أدنى تأمّل، ويرجع

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٢١/٤؛ الروض الأُنف للسهيلي: ٥٠٧/٦؛ السيرة النبوية لابن هشام: ٣٦٤/٣ (عن سيرة ابن إسحاق) تأريخ الطبري: ١٣٦/٢؛ حوادث سنة (٧ ه)، الكامل في التأريخ: ٥٩٦/١؛ المستدرك على الصحيحين: ٣٧/٣؛ وتلخيصه للذهبيّ في ذيل الصفحة.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٢/١.

(٣) تأريخ الطبري: ٥٣٧/١.

(٤) حجج النهج: ص٣٢٦؛ (جزء من رساله محمد بن أبي بكر الى معاوية).

الى ما تفوّه به المشايخ الثلاثة طيلة حياتهم يعلم قطعياً ويتبيّن له أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان متفرّداً بالأعلمية والأفقهية وأفضلية الجهاد، وأوّلية الإيمان، وأشدّية الاضطلاع ـ أي القوة والنهوض ـ بما تجهله الرعية، فهو الإمام دون الجُهّال الجبناء الضعفاء»[1].

والسؤال المهمّ هنا: لماذا إذن لم يُوَلَّ عليّ عليه السلام الخلافة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله اذا كان بهذه الصفات المتميِّزة؟!

إنّ الإمام عليه السلام أراد من هذا الطرح البارع الإيحاء لمعاوية وغيره أنّه صاحب الحقّ في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث الخصائص اللازمة التي تُقدِّم الإنسانَ المسلم لولاية الأمر والإمامة والتي لا توجد لدىٰ غيره.

فإذن كيف أستحوذ عليها الآخرون مع علمهم بحقِّ عليٍّ في ذلك؟!

إنّ علياً عليه السلام لم يكن يتخطّاه أحد في هذه النقاط التي ذكرناها، وباعتراف من تجاوزه وهم به الهموم، ألم يكن من الأصلح للأُمّة أن يتسلَّم أمرها من تميَّزَ بهذه الأعمدة وتفوّق على غيره؟! هذا إذا طرحنا جانباً حديث الغدير ووصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله والتي لا مجال للشكّ فيها مطلقاً بإجماع علماء الامة كافّة، وهذا هو اعتقادنا الثابت رغم من حاول أو يحاول إنكار هذه الحادثة، أو سلب واقعيتها من أذهان الأُمّة.

إنّ المتتبِّع لأحداث التأريخ الإسلامي يلاحظ أنّ الأمر عكس ما كان يتوقع منه، حيث انقلب الكثير على أعقابهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، واصبح كلّ يدعو الىٰ نفسه، وفي أحلك ظرفٍ مرَّ به الإسلام، إذ طفحت من جديدٍ النعرات القبلية والمساومات الشخصية، وضاع الباقون وسط التشتّت الفكري والسياسي.

(١) نهج السعادة: ٢١٩/٤.

الحق المبين:

إنّ الامام علياًعليه السلام وبمنطقٍ واضح يحذِر كما حذَّر سابقاً بصريح القول: « وأتَّقوا اللهَ الَّذي إليه تُرجَعون »[١]؛ لأنّهُ لا يمكن إنكار واقعٍ حقيقيٍّ وصورةٍ ناصعةٍ تمثّلت فيها كلّ الجوانب الإيجابية المؤهلة لذلك المنصب الحسّاس، فخلط الأوراق له نتائجه السلبية في مثل هذا الأمر، ومن هذه النتائج معاوية وأمثاله، وإذا أستمرّ الحال هكذا سوف تسقط كلّ المعايير الشرعية، وتهوي كلّ القيم الأخلاقية والاجتماعية في وادٍ سحيق، وينزوي أهل الحقّ في الزوايا البعيدة، ويسود البشرية منطق الظلم والجهل والضلالة، ثمّ الانحراف الشامل، وقد حذّر الإمامعليه السلام معاوية ومن سار على نهجه بقولهعليه السلام: « ولا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بالْباطِلِ لِتُدْحِظُوا بِهِ الحقَّ، واعْلَمُوا أَنَّ خيارَ عِبادِ اللهِ الَّذِينَ يعملُونَ بما يَعْلَمُوْنَ، وَأَنَّ شِرارُهُمْ الجُهَلاءُ الَّذِينَ يُنَازِعُونَ بالْجَهْلِ أَهَلَ العِلْمِ »[٢].

❊ ❊ ❊

(١) نهج السعادة: ٢١٩/٤.

(٢) المصدر نفسه.

الفصل الرابع

القرآن بين الطرفين

بين الإيمان والعمل:

إنّ مَن يؤمن بكتاب الله إيماناً مطلقاً لا تسمح له نفسه مـخالفة أحكـامه، وهذا شيء بديهيّ بالنسبة للفرد المسلم، وقد ورد ذكر القرآن والإيمان به والعمل على هَديِهِ في رسائل الإمامعليه السلام الىٰ معاوية، والسؤال هنا: هل آمن معاوية حـقّاً بكتاب الله؟ وهل عمل بأحكام هذا الكتاب الإلهيّ المنزَل؟

إنّها مسألة تحتاج إلى كشـف أوراق الرجـل لِـمَن غـابت عـنه الحـقائق التأريخية، فعشرون عاماً مضت على نزول أول آيةٍ من الكـتاب العـظيم، وبـدء دعوة رسول اللهصلى الله عليه وآله الى الاعتقاد بالإسلام في مكّة المكرّمة، وإطلاق أولِ بيان حقٍّ لهذا الدين في البيت العتيق، لم يُسلم معاوية وأبوه وأهـله ورهـطهم بـذلك الدين العظيم حتّى فتح مكّة عام (٨ هـ)، ولم يؤمن بآيةٍ واحدة، ولم تتأثّر مشاعره ببيانه وأحكامه، بل استمرّ مع أبيه في العناد والمكابرة، ومحاربة الإسلام كـتاباً ونبيّاً ومسلمينَ، وإلّا لو كان هنالك ميل ضئيل إلى آيات الله لَبانَ ذلك عليه وآمن بالإسلام قليلاً. ولكنه استمرّ على تلك الحال حتى بعد دخوله الإسلام مـرغماً، وبعد ان اصبح طليقَ رسول الله أثناء فتح مكّة، وعـلى هـذا الأسـاس الواقـعي يخاطب الإمامعليه السلام معاوية في رسالةٍ بعثها إليه: « **وستدعوني أنتَ وأصحابك الى كتابٍ تعظِّمونه بألسنتكم، وتجحدونه بقلوبكم** »[١].

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٣٤/١٦.

منهج كهذا يتّخذه أيّ إنسانٍ في تعاملة مع كتاب الله هو أقرب إلى مفهوم النفاق من غيره، وهذا يعطي الدلالة على أنّ الايمان بالقرآن عند معاوية شيء يظهره باللسان، وذلك عند اشتداد المنازلة أو الحاجة للظهور به أمام المجتمع، وهو في قلبه بعيد كلّ البعد عنه، ولهذا أكّد الإمام عليّ عليه السلام على ذلك مرّاتٍ عديدةً في رسائله التي بعثها إليه؛ ليطرق سمعه ويُعلِمُهُ بما ابطن وأخفى، يقول الامام في احدىٰ الرسائل: « **وقد دعوتنا إلى حكم القرآن وَلستَ من أهْلِهِ، ولَسْنَا إيَّاكَ أجبنا، ولَكِنَّا أَجَبْنَا القُرآنَ في حُكمِهِ** »[1].

استجابة وعمل في الطرف الإيماني، وصورة أُخرى في قبالها يـؤطّرها الكذب والدجل في الطرف الشيطاني.

معاوية يدعو الإمام علياًعليه السلام الى كتاب الله لكي يكون بينهما، وعليّ يستجيب لتلك الدعوة المبطّنة بأذيال هزيمة معاوية وفراره بعدما أعيته الحِيَل والمسالك الملتوية، وأستجاب عليّعليه السلام وهو يعلم ما في تلك الدعوة من مناوراتٍ وألاعيب، وعليّعليه السلام يظهر الحقيقة بأنّ الاستجابة لم تكن لمعاوية، وإنّما هي استجابة لكتاب الله تبارك وتعالى ولحكمه، وليفوّتَ الفرصة التي ارتجاها معاوية وتمنّاها.

فالإمامعليه السلام كان يعلم أنّ معاوية يتعلّق بالقرآن في شدائد أيّامه كما جرى ذلك في واقعة صفين، إلّا أنهعليه السلام لم يترك ذلك لمعاوية دون أن يُظهرَ له جحودّه بالقرآن وكذبه، حيث قالعليه السلام: « **فقد شاهدتَ وأبصرْتَ، ورأَيْتَ سُحُبَ الموتِ كيف هطلت عليك بصيّبها حتّى اعتصمْتَ بكتابٍ أنتَ وأبوك أَوَّلُ من كفر وكذَّب بنُزُوله، ولقد كُنتُ تفرَّستها وآذنتُكَ أَنَّكَ فاعِلُها وقد مضى ما مضى، وانقضى من**

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٢٣ (كتاب رقم ٤٨).

كيدك فيها ما انقضى »[١].

وكذلك يشير الإمام عليّ عليه السلام في رسالةٍ أُخرى الى جحود الجَمع الذي رافق معاوية في حربه مع الإمام عليٍّ عليه السلام: « فكأنّي قد رأيتُك تَضُجُّ من الحرب إذا عظَّتْكَ ضجيج الجمال بالأثقال، وكأنّي بجماعتكَ تدعوني ـ جزعاً من الضرب المُتَتَابِع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع ـ إلى كتاب الله [يومي بذلك الى رفع المصاحف]، وهي كافرة جاحدةٌ أو مبايعيةٌ حائدةٌ »[٢].

واجهة القرآن وحقيقة الصلح:

بعث معاوية بكتاب إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام تضمّن طلب الصلح بعد اشتداد أزمته وشعر بقرب نهايته، كتاب دُعِّمَ وزُيِّن بصحائف كتاب الله عزّ وجلّ التي رفعت على أسنّة الرماح، وعُلِّقت في رقاب المغرَّر بهم من جيش معاوية.

إنّ الإمام علياً عليه السلام لم تَفُتْ عليه الأهداف الخفيّة لحركة النفاق الالتفافية السفيانية هذه، فقد بانت حقيقتها له ولبعضٍ من أصحابه المخلصين، إلّا أنّها انطلَت على كثيرٍ من الطبقات الساذجة التي لم تدرك خفايا الأُمور، ولم تعرف إلّا ظواهرها، وبعضهم تحرّك النفاق في صدره كالأشعث وأمثاله الذين أخذوا يخوضون في جيش عليٍّ عليه السلام خوضاً تثبيطاً لهم، ونشر البلبلة بينهم.

ولقد عاش الإمام عليه السلام غُصَصَ الآهات والحسرات والتأوّهات المثقِلة للصدر والنفس مع هؤلاء في تلك اللحظات الحاسمة، وهو يحذِّر ويسدي نصحاً لهم، ويقترح عليهم، ولكنّهم أبَوا ورفضوا، ودخلت حيلة معاوية في قلوبهم كأنّها

---

(١) نهج السعادة: ٢١٤/٤.

(٢) تصنيف نهج البلاغة: ص٤٩٤.

حقيقة واقعة لا يمكن ردّها.

القرآن الكريم أصبح طرفاً ثالثاً وسط الجيشين، فإمّا أن يستجيب عليّ عليه السلام لحكم القرآن ويقطع الطريق على معاوية وخدعته، ويسدّ أبواب الفتنة السفيانية، وإمّا أن يرفض، وتكون المصيبة هنا أعظم ممّا قد يُتَصَوَّر، وسط تلك الفئات المتمرِّدة التي تلبّست أدمغتها بالأفكار المحرَّفة، والاعتقادات الناقصة، والتي استحال إقناعها بسلبية موقفها.

أمّا في الجانب الآخر فأن جيش الشام المثخَن بالجراح والمثقَل بالهزيمة والانكسار سوف يستعيد قوّته وإيمانه بأفكار معاوية ضدّ عليٍّ عليه السلام في حالة رفض الإمام الاستجابة لما عُرِضَ عليه، حيث كتاب الله عزّ وجلّ وسط المتخاصمِين؛ لأنّ معاوية سوف يستثمر ذلك صالحه من خلال نشر أكاذيبه بين الجيشين، ومن خلال أدّعائه أنّ القرآن بيننا حقناً لِمَا تبقّى من دماء المسلمين، وأن علياً عليه السلام يرفض الاستجابة لنداء الكتاب المقدّس، وبالتالي سوف يخدع القوم بهذا التزييف، يدعم ذلك جهل الكثير من الجيش الشامي والمتفيقهين والمشاغبين في جيش العراق بأنّ علياً عليه السلام يمثّل القرآن والإسلام كلّه، وهو الذي عاش القرآن وحفظه وكتبه بيده وجمعه وأنّه من كتاب الوحي، وعمل بأحكامه وأنه أولى الناس به وأقربهم إليه.

إنّ معاوية يزيّن صورته بتقوى مزيّفةٍ وإيمانٍ كاذبٍ في أحاديثه وفي رسائله، وينشر من خلال ذلك أحابيله الشيطانية خدمةً لأهدافه الشرّيرة، كما في رسالته هذه مخاطباً الإمام عليه السلام: «فهل لك في أمرٍ لنا ولك فيه حياة ورغد وبراءة وصلاح للأُمّة، وحقنٌ للدماء، وأُلفةٌ للدِين، وذهابٌ للضغائن والفتن: أن يحكم بيننا وبينك حَكَمان رَضِيّان: أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك، فيحكمانِ بما في كتاب الله بيننا فإنّه خير لي ولك، وأقطع لهذه الفتن، فاتقِّ الله فيما

دعيت له، وارضَ بحكم القرآن إن كنتَ من أهله...»[١].

إنّ الإمام علياًعليه السلام رجلُ العلم والمعرفة، حيث عَرَف معاوية معرفةً لا يدركها غيره، بالإضافة الى تفرّسِه بالأحداث المقبلة وإرهاصاتها جعلته يدرك كلام معاوية المليئ بالنفاق، فردّ عليه برسالةٍ أُخرى لكي يحيط كل مخطّطاته، قائلاً له: «ثمَّ إنَّك قد دعوتني إلى حُكم القرآن ـ ولقد علمت أنَّك لَسْتَ من أَهل القرآن، لست حكمَه تريد، واللهُ السمتعان ـ وقد أجبنا القرآن إلى حكمُه، ولسنا إيّاك أَجبنا، ومن لم يرضَ بحكم القرآن فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً»[٢].

تأويل القرآن:

إنّ من الأدوات المهمّة التي استخدمها معاوية في تضليل الأُمّة الإسلامية وحرفها عن معتقداتها هي تأويل آيات القرآن ووضع الأحاديث النبوية وتلفيقها لصالحه، وبما أنّ «القرآن حمَّالٌ ذو وجوهٍ»[٣] كما يقول الإمام عليّعليه السلام فليس من المستحيل إذن على معاوية أن يستخدم ذلك التأويل في تفسير الآيات ومعانيها بما يخدم مصالحه السياسية الشخصية، يسند ذلك ويقوّيه وجود طبقة أهل الفُتيا والتفسير الذين هم في خدمة السلطان وأهدافه.

إنّ رسائل عليٍّعليه السلام الى معاوية كانت السند الوثائقيّ الأساس والوحيد الذي كشف مدى الانحراف العقائدي والأخلاقي في بلاط معاوية، ففي واحدٍ منها خاطب معاوية قائلاً له: «فعدوت على طلب الدُّنْيا بتأويل القرآن، فطلبتني

(١) نهج السعادة: ٤/٢١٤.

(٢) نهج السعادة: ٤/٢١٤.

(٣) تصنيف نهج البلاغة: ٢١٣.

بما لم تجنِ يَدِي ولا لساني وعَصَبْتَهُ أنت وأهل الشام بي، وأَلَّبَ عالِمَكُمْ جاهِلَكُمْ، وقائمُكُمْ قاعِدَكُمْ »(١).

فليس هناك شكّ في أنّ معاوية سعى الى طلب الدّنيا بتأويل آيات الكتاب المجيد لصالحه، ولقد أوضح ابن أبي الحديد قائلاً: « قال: [فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن] أي تعدَّيت وظلمت، و(علىٰ)ها هنا متعلّقة بمحذوفٍ دلَّ عليه الكلام تقديره (مثابراً) على طلب الدنيا، أو مصرّاً على طلب الدنيا، وتأويل القرآن ما كان معاوية يموِّه به على أهل الشام فيقول لهم: أنا وليّ عثمان، وقد قال الله تعالى **﴿ومن قُتِلَ مظلوماً فَقَدْ جَعَلنا لِوَلِيِّهِ سُلطاناً﴾**(٢)، ثم يعدُهم الظفر والدولة على أهل العراق بقوله تعالى: **﴿فَلاَ يُسْرِفْ في القَتْلِ إنَّهُ كان مَنصُوراً﴾**(٣) »(٤).

لقد سعى معاوية لتحريف تلك الآيات المذكورة وغيرها، والتي منها أيضاً: **﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عليكم القصاص...﴾**(٥) و**﴿وَلَكُمْ في القِصاصِ حياةٌ يا أُولِي الألبابِ﴾**(٦).

وقد أشار الإمام عليّ عليه السلام غير مرّةٍ الى مسألة تحريف معاوية للقرآن، فاضحاً إيّاه، حيث قال له عليه السلام: « ... فَقَدْ أَبديْتَ عَداوتَكَ لَنا وحَسَدَكَ وَبُغْضَكَ، وَنَقْضَكَ عَهْدَ اللهِ، وَتَحرِيفَكَ آياتِ اللهِ، وَتَبْدِيلَكَ قوْلَ اللهِ »(٧).

لقد أمعن معاوية في تحريف معاني تلك الآيات وحرّف حقيقتها ليسوغ له

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبدة: ص٦٢٧.
(٢) و(٣) الإسراء: ٣٣.
(٤) شرح النهج: ١٣٦/١٧.
(٥) البقرة: ١٧٨.
(٦) البقرة: ١٧٩.
(٧) نهج السعادة: ١٥٥/٤.

ذلك محاربة الخليفة الشرعيّ عليٍّ عليه السلام، وإقناع أهل الشام وغيرهم بحقه في المطالبة بدم عثمان، وأنّه وليّ الدم، وفي ذلك تحقّقت نبوءة سيّد الرسل محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم حول تأويل القرآن، فقد روت الأسانيد على اختلافها وتعدّد طبقاتها حديث قتال عليٍّ عليه السلام على تأويل القرآن، فقد روى النسائي في الخصائص بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: «كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى عليٍّ [رضي الله عنه]، فقال: إنَّ منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكر، أنا؟ قال: لا قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل»[(١)].

بعد أن ثبت لنا بصورةٍ قاطعةٍ وجليّة، ومن خلال حديث النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بمصادره وأسانيده المتعدّدة أنّ علياً عليه السلام سيقاتل على تأويل القرآن بعده يظهر لنا أنّ قتال الإمام عليه السلام لمعاوية والخوارج كان الإطار والمعنى المشار إليه بالحديث الصحيح، وهذا نصّ آخر للإمام عليٍّ عليه السلام يؤكّد ذلك: «ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتلُ إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغِ والاعوجاج والشبهة والتأويل»[(٢)].

* * *

---

(١) تهذيب خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ص٨٨؛ وروى الحديث بطرقٍ مختلفة بعض الشيء كلّ من: فضائل الصحابة: ٦٢٧/٢؛ المستدرك على الصحيحين: ١٢٢/٣؛ أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤٢٩/٣؛ الخصائص الكبرى: ١٣٨/٢؛ البداية والنهاية: ٣٠٥/٧؛ مسند الإمام أحمد: ٨٢/٣؛ مجمع الزوائد: ١٨٦/٥.

(٢) تصنيف نهج البلاغة: ص٥٠٠.

الفصل الخامس

سِمات أهل الحقِّ

وملامح أهل النفاق

البون الشاسع:

ليس غريباً أن تجد أتّفاقاً وتشابهاً في أهداف الدجالين والمنافقين وإن اختلفت طموحاتهم وتباينت آراؤهم، ولكنّ الغريب أن نسمع بأنّ قوماً من الصالحين نصروا أهل الظلم، أو شايعوهم وأعانوهم على الباطل.

إنّ التقاء أهل الصدق والعفّة يكون دائماً في مَن هم من سنخٍ واحد، لتطابق في الآراء والأهداف والمواقف، وهو من السنن التأريخية.

فالشرّ مع الشرِّ والخير دائماً مع الخير، ولو تصفّحنا أوراق التاريخ الإسلامي ابتداءً من الصدر الأول وما بعده نجد ذلك بيّناً، خصوصاً بعد وفاة رسول الله ﷺ وأكثر ما نراه واضحاً خلال الصراع السفياني الحاقد مع سلطة الحقّ، حيث انحاز الصالحون الى قرائنهم من أهل الإيمان والحقّ، وفرّ الطالحون باتّجاهِ أشباههم من النفوس التي تحمل الخبث والنتن، فانتج ذلك حصيلةً متباينةً متعاكسة الاتّجاه، مختلفة الآراء والمعتقدات على مرّ التأريخ. ولقد فصّلَ ذلك محمد بن أبي بكر (ابن الخليفة الأول) في رسالته التي بعثها الى معاوية، قال فيها: «والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ، والشاهد لعليٍّ مع فضله المبين وسبقه القديم أنصاره الذين ذُكِروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله عليهم، ومن المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسيافهم ويريقون دماءهم دونه، يرون

الفضل في اتِّباعه والشقاء في خلافه »[١].

رجال عليّ عليه السلام إيمان وجهاد:

من خلال استعراض الاسماء من أصحاب عليٍّ عليه السلام وعبيد معاوية يظهر لنا مدى التفاوت الكبير في مواقف وجهاد وإيمان كلاالجانبين، وباستعراضٍ مختصرٍ للشخصيات العلوية والرموز السفيانية يستطيع أيُّ فردٍ أن يمِّيز بين موقع الحقّ ووكر النفاق، نعرض هنا كتاب عليٍّ عليه السلام الى معاوية بشأن ذلك حيث حدّد الإمام عليه السلام صفات أصحابه قائلاً: « وأنا مُرقِلٌ نحوك في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم، وقد صحَبْتهُم ذرّيّةٌ بدريّة، وسيوف هاشميةَ، وقد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدِّك وأهلك، وما هي من الظالمين ببعيد »[٢]، وأورد الإمام عليه السلام صفاتٍ أُخرى في كتابٍ آخر قال فيه: « إنّ لي سيوفاً بدريةً وسهاماً هاشمية »[٣].

وهؤلاء هم جند عليٍّ عليه السلام وقادة جيشه في حربه ضدّ من شقّ عصا الطاعة، وضدّ من فرّق الأُمّة ومزّق وحدتها.

مهاجرون أوّلون، وأنصار مخلصون، وتابعون مؤمنون.

أهل إيمان، ورجال الإسلام، بدريّون سبّاقون.

رجال كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله في مواقعه المختلفة.

---

(١) وقعة صفين: ص١١٩.

(٢) الغدير: ١٠/٤٤٣.

(٣) نهج السعادة: ٤/١٦٤.

ذَكَرهم القرآن الكريم، وأشاد بهم نبيّ الرحمة ﷺ.

هدد بهم عليّ عليه السلام معاويةَ بقوله: « ولَئِن أنسأَ اللهُ في أَجلي لأُغزِيَنَّكَ سرايا المسلمين، وَلأُنهِدَنَّ إِلَيْكَ في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار »[1].

لقد كان كلّ واحدٍ منهم عَلَماً بارزاً لوحده، يكفي وجوده مع عليٍّ عليه السلام أن يكون حجّة على المسلمين لإثبات الحقّ المبين، وبطلان دعاوى كلّ من وقف ضدّ سيِّد الموحِّدين عليه السلام من قوى البغي والضلالة حيث قاتل علي عليه السلام بهم الفئة الباغية « يقول ابن عبد البر: أنه في معركة صفّين كان مع علي كرم الله وجهه ثمانمائة من الصحابة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان »[2]، ويقول محمد بن أبي حذيفة في محاورته معاوية دفاعاً عن عليّ عليه السلام « خرج مع عليّ كلّ صوّام قوّام مهاجِرِيَ وأنصاري كما خرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلّوا أنفسهم سخط الله في طاعتك والله لا أزال أحبّ علياً لله ولرسوله وأبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت »[3].

١ ـ عمّار بن ياسر: الصحابيّ المعروف، يكفي اسمه أن يرسم صورة مشرفة عن منزلته العظيمة فقد كان، « ممّن عُذِّب في الله [مع أبيه وأُمه أول شهيدةٍ في الاسلام]، ثمّ اعطاهم عمّار ما أرادوا بلسانه، وأطمأنّ الإيمان في قلبه، فنزلت فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان﴾[4]، وهذا ما أجمع عليه أهل التفسير،

---

(١) نهج السعادة: ٢١٤/٤.

(٢) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين: ص١١؛ نقلاً عن الاستيعاب لابن عبد البر: ٤٢٣/٢.

(٣) بحار الانوار: ٢٤٣/٣٣.

(٤) النحل: ١٠٦.

هاجر الى أرض الحبشة، وصلّى القبلتين؛ وهو من المهاجرين الأوائل، ثمّ شهد بدراً والمشاهد كلّها وأبلى بلاءً حسناً، ثمّ شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً يومئذٍ، وقُطِعت أُذنه»[١].

تحدّث عنه رسول الله ﷺ وأثنى عليه في عدّةٍ من الأحاديث المسندة الصحيحة، منها قوله ﷺ: «إنّ عمّاراً مع الحقّ والحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار، وقاتل عمّار في النار»[٢].

وقوله ﷺ: «إذا أختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ»[٣]

٢ ـ عبد الله بن عبّاس: حِبرُ الأُمّة، وأبن عمِّ النبي ﷺ، وصاحبه، مفسر القرآن، والفقيه النافذ البصيرة، الذي دعا له رسول الله ﷺ بقوله: **«اللهمّ فقِّهْهُ في الدِينِ وعلِّمه التأويل»**.

٣ ـ أبو الهيثم مالك بن التيهان الأنصاري: «من الرعيل الأول من الأنصار الذين آمنوا برسالة محمدٍ ﷺ، ومنذ أن سمع وهو في يثرب أنّ الله أرسل رسولاً هادياً ومبشّراً ونذيراً في اقدس بقاع الأرض في مكة حتى هَفي الى هذا الرسول الكريم»[٤]، وكان رجل بيعة العقبتين الأول، شهد المعارك مع رسول الله ﷺ، من أهل بدر.

٤ ـ الصحابة الأربعة الذين شهدوا أنّهم سمعوا رسول الله ﷺ يوم غدير خمٍّ يقول: «من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه...».

أ ـ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

---

(١) ابن ابي الحديد في شرح النهج: ١٠٢/١٠.

(٢) الغدير: ٤٣٢/١٠.

(٣) الغدير: ٤٢/٩ (تراجع مصادر الأحاديث في الكتاب المذكور).

(٤)

ب ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.

ج ـ عبد الله بن بديل بن ورقاء.

د ـ خالد بن زيد (أبو أيّوب الأنصاري): شوامخ دالّة في تاريخ الدعوة الإسلامية، صحبوا الرسول العظيمﷺ، وقاتلوا مع عليٍّ عليه السلام في صفّين، وابن بديل منهم كان في التسعين من عمره حيث استشهد في تلك المعركة، وذاك ذو الشهادتين المعروف بصفته التي أعطاها إيّاه رسول اللهﷺ، وهي: أنّ شهادته كشهادة رجلين، وأبو ايّوب الأنصاري الذي بركت ناقة رسول اللهﷺ المأمورة عند باب بيته، ونزل عنده النبيّ الكريم عند وصوله الى المدينة، وقيس بن سعد سيّد الأنصار وبطل عليٍّ عليه السلام الهمام.

٥ـ جابر بن عبدالله الأنصاري: من أبرز صحابة رسول اللهﷺ، ممّن حفظ أحاديث النبيّﷺ، وفسّر القرآن، خاض المعارك مع رسول اللهﷺ، والجمل وصفّين مع عليٍّ عليه السلام، وعاش عمراً طويلاً وقد أخبره بذلك رسول اللهﷺ مسبقاً.

٦ ـ جارية بن قدامة: صحابي جليل القدر، بطل مغوار، خاض الغمار مع عليٍّ عليه السلام في صفّين ضدّ القوىٰ السفيانية الباغية وكان قائد كتيبة التميميّين.

٧ ـ حِجر بن عَديٍّ الكندي: الصحابي العظيم، والعَلَم البارز، بطل اليرموك والقادسية، شهيد مرج عذراء بدمشق على يد معاوية، شهدت بحقّه أُم المؤمنين عائشة بنقلها حديث النبي العظيمﷺ إنّه «يُقتل بعذراء أُناس يغضب الله لهم وأهل السماء»، وقد أنكرت على معاوية قتله حجراً، وكذلك قول الحسن البصري: أربعُ خصالٍ كنّ في معاوية لو لم يكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة، ومن جملتها: قتلهُ حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر! ويا ويلاً له من حجرٍ

وأصحابه حجر[١]!

٨ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي: صاحب رسول الله ﷺ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فأنحلت جسمَه، وصفّرت لونه[٢]، استشهد على يد أعوان معاوية في اطراف الموصل وبعض الاخبار تقول في مناطق اذربيجان، وقُطع رأسه وحُمل الى معاوية «ثم بعث به الى أمرأته آمنة بنت سُوَيْد وكانت محبوسة عند معاوية، فقالت: لقد نفيتموه طويلاً وأهديتموه قتيلاً، فمرحباً به من هَديّةٍ»[٣].

١٠ ـ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: حامل لواء جيش الخلافة الشرعية في صفِّين، من صناديد الإمام ورجاله، تعاهد مع عمّار على الموت فاستشهد هناك، وكان يُدعَى بالمِرقال؛ لأنّه كان يُرْقِل في الحرب»[٤].

١١ ـ مالك بن الحارث الاشتر النخعي: أدرك نبيّ الرحمة محمداً ﷺ، أثنى عليه كلّ من ذكره، من أبرز قادة عليٍّ عليه السلام وأكثرهم حزماً وبأساً وشجاعة، اقتحم صفوف جيش معاوية ولاح له النصر لولا حيلة التحكيم التي حذّر من عواقبها، عهد إليه الإمام علي عليه السلام بمصر، وقولة أمير المؤمنين بحقّه تكفي شهادةً على علوّ مكانته عند الإمام عليه السلام: **«رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ»**، دسّ معاوية السمّ إليه عن طريق مولى لآل عمر بشربة عسلٍ فمات فيها، فرح معاوية بموته فرحاً شديداً، وقام خطيباً بجمهوره قائلاً: «أمّا بعد، فإنّه كان لعليٍّ

---

(١) ابن تيمية حياته وعقائده: ص٢٨٢؛ الكامل في التأريخ: ٤٩٩/٢؛ شرح ابن ابي الحديد: ١٩٣/١٦.

(٢) جزء من رسالة للإمام الحسين عليه السلام أرسلها إلى معاوية يذكر فيها جرائمه، من كتاب موسوعة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن ابي طالب: ج٢، أصحاب عليٍّ عليه السلام: ٣٦٩.

(٣) انساب الاشراف: ٥ / ٢٨٢.

(٤) تأريخ الطبري: ٩٥/٣ ـ حوادث سنة (٣٧ هـ).

بن أبي طالب يدان يمينان، قطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر، وقطعت الأُخرى اليوم وهو مالك الأشتر»[١].

١٢ـ خبّاب بن الأرتّ: «وهو من السابقين الى الإسلام، بعثه الرسول ﷺ يعلِّم القرآن، وهو الذي علّم القرآن سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطّاب اخت عمر، قال في حقّه الإمام عليّ عليه السلام: « **يرحمُ اللهُ خبّاب بن الأرت، فلقد أَسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وقنع بالكفاف، ورضي عن اللهِ، وعاش مجاهداً** »[٢].

أزلام معاوية:

أتباع وذيول لعنهم التأريخ والإنسانية قتلوا الأبرياء، ونكّلوا بصحابة النبي ﷺ.

طغام أو باش همّهم الدنيا ورضا سيِّدهم معاوية.

نماذج لا مثيل لها في الجريمة والوحشية.

حبائل الشيطان وجنوده، أولهم:

١ـ عمرو بن العاص بن وائل السهمي: يُدعَى بابن النابغة صاحب النجاشي في الحبشة، حمل إليه الهدايا باسم قريش للإيقاع بالمهاجرين الى هناك وهم جعفر بن أبي طالب وبقية المؤمنين، وهو القائل في شأن عثمان: «أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع، إن كنت لأحرِّضَ عليه حتى أنّي لأُحرِّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل»[٣]، وهو صاحب خدعة المصاحف، وكاشف عورته حينما صرعه الإمام عليّ عليه السلام في صفّين خوفاً؛ حتّى يعزب عن قتله الإمام

---

(١) الكامل في التأريخ: ٢/٤١٠؛ تأريخ الطبري: ٣/١٢٧ ـ حوادثة سنة (٣٨ هـ).

(٢) تصنيف نهج البلاغة: ص٤٦٠.

(٣) الغدير: ١٠/٤٢٤.

المعروف بنبله وحيائه... الى ما لا نهاية من البوائق والانحرافات.

٢ ـ المغيرة بن شعبة: كان معروفاً عنه بأنّه أزنى ثقيف، لم يكن يحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً وأهل البيت عليهم السلام طيلة حياته، خبيث ماكر، أعماله مشينة كلّها، عرَّفه المؤرخون بالدهاء والمكر.

٣ ـ مروان بن الحكم: طريدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الوزغ بن الوزغ، ملعون على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام، أغرى عثمان وخدعه حتى أوقعه في الفتنة التي اشتعلت على عثمان وكانت نهايته بسببه، أيّامه سوداء وأعماله دنيئة.

٤ ـ زياد بن أبيه: أمّه من أصحاب الرايات المعروفة بفسقها..، قال ابن الأثير في الكامل: «كان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية إلى الطائف فنزل على خمّار يقال له: أبو مريم السلولي، فقال أبو سفيان لأبي مريم: قد اشتهيت النساء فالتمس لي بَغيّاً، فقال له: هل لك في سميّة؟ فقال: هاتِها على طول ثدييها وذَفَرِ بطنها، فأتاهُ بها، فوقع عليها، فعلقت بزياد»[1]، ألحقه معاوية بأبيه، دمويٌّ لم تعرفُ الرحمةُ طريقاً الى قلبه أبداً، قتل خيرة الصحابة المؤمنين ولا غرابة، وقد قال فيه عبدالله بن عمر حينما بلغه هلاكه: «أذهب إليك ابنَ سُميّة، فلا الدنيا بقيت لك، ولا الآخرة أدركتَ»[2].

٥ ـ بُسر بن أرطاة: أسألوا التأريخ مَن الذي سبى العباد، وخرّب البلاد، وقتل المسلمين رجالاً ونساءً؟ أغار على الحرمين، قتل الأطفال الرُضَّع ذبحاً أمام أعين أُمّهاتهم، جرائمه بشعة وأعماله منكرة، لا يعرف من الدين شيئاً سوى معاوية، شتم أمير المؤمنين علياً عليه السلام كثيراً من أعلى المنابر، ولا عجب في أمره

(١) الكامل في التأريخ: ٤٧٠/٢ حوادث سنة (٤٤ هـ).

(٢) تأريخ الطبري: ٢٣٨/٣؛ الكامل في التأريخ: ٥٠٣/٢.

فهو تنشئة ابن أبي سفيان، ونقل عنه قوله على منبر رسول الله ﷺ: «لولا أنّه مُنِعَ لَما ترك في المدينة محتلماً إلّا قتله»[١].

٦ ـ **الضحاك بن قيس الفهري**: قاتل حصد ارواح المسلمين في بوادي الدولة الإسلامية، نفّذ أوامر سيّده معاوية بقتله عرب البادية وكلّ من يلقاه في طريقه، فضائحه كثيرة، وجرائمه لا تُعدّ ولا تُحصى.

٧ ـ **عمرو بن سعيد الأشدق**: هذا «الذي فيه في مسند أحمد[٢] (٥٢٢/٢) من طريق أبي هريرة مرفوعاً [ليرعفنَّ على منبري جبّار من جبابرة بني أُميّة يسيل رعافه]، قال فحدّثني من رأى عمرو بن سعيد رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه»[٣]، وكان يكثر من سبِّ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، ومشهور بكِبره وجبروته، وكان يُدعى لطيم الشيطان.

٨ ـ **السفيانيّ**: الذي سلب النساء وقتل رجالهم، حيث أغار على هيت والأنبار والمدائن.

٩ ـ **مسلم بن عقبة المُرّي**: سَمِّهِ ما شئت، مجرم أو مسرف، كما ورد في التأريخ لقتله الكثير من المسلمين، قاتل عبدالله بن حنظلة الأنصاري (غسيل الملائكة) وأصحابه في المدينة، أباح مدينة رسول الله ﷺ الآمنة (طيبة) ثلاثة أيام، وأستحل أموالها ونساءها، وفضت أبكار المئات من العذارى من بنات المدينة المنوّرة، وهو الذي نتف لحية عمرو بن عثمان بن عفّان وسمّاه بالخبيث، وبعد انتهائه من السيطرة على المدينة همَّ بخراب البيت الحرام، حيث توّجه

---

(١) النصائح الكافية لمن تولّى معاوية: ص.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣٣٠/٣ ح١٠٣٨٥.

(٣) الغدير: ٣٧١/١٠.

بجيشه الى مكّة فزهقت روحه الشيطانية في الطريق، وكان معاوية قد أوصى ابنه يزيد أن يرمي بمسلم بن عقبة على أهل المدينة إذا ثاروا عليه، وكان أن حدثت واقعة (الحَرَّة)، فأنفذه يزيد لقتل أبناءِ وأحفادِ صحابة رسول الله ﷺ.

١٠ ـ سمرة جندب الفزاري: أحد العشرة الذين كانوا في بيت واحد ونظر في وجوههم رسول الله ﷺ، ثم قال «اخرُكم موتاً في النار»[١]، وكان سمرة آخرهم موتاً، «وهو الذي عرض عليه النبيّ ﷺ ـ كما في الصحيح ـ بدل نخلاته التي في حائط الأنصاري قيمتها فأبى، ثمّ نخلات بدلها فأبى، ثمّ من الثواب ما هو كذا وكذا فأبى، فقال له: إنّما أنت مضارّ، وأمر بقطع نخلاته بلا ثمن، وهو الذي كان يبيع الخمر وقد حرّم الله ذلك»[٢]، قتل الالآف من العراقيّين في المِصرَين، أوغل يداه بدماء الكثيرين ممّن جمع القرآن وحفظه، أقرّه معاوية على «البصرة ثمانية عشراً شهراً، وقيل: ستّة أشهر، ثمّ عزله معاوية، فقال سَمَرة: لعن الله معاوية! والله لو أطعت الله كما أطَعتُه ما عذّبني أبداً. وجاء رجل الى سمْرَة فأدّى زكاة ماله ثمّ دخل المسجد فصلّى، فأمر سمرةُ بقتله فقُتِل، فمرّ به أبو بَكْرة فقال: يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أفلحَ من تزكّى * وذَكَرَ اسْمَ ربِّهِ فَصَلّى﴾[٣].

قال: وما مات سمرة حتّى أخذه الزمْهرير فمات شرَّ ميتَة»[٤].

١١ ـ عبيد الله بن زياد بن أبيه: ولّاه معاوية خراسان بعد وفاة أبيه وعمره (٢٥) عاماً، ثمّ البصرة سنة خمسٍ وخمسين، ثمّ الكوفة من قبل يزيد ابنه، قاتل الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ وسيّد شباب أهل

(١) سير اعلام النبلاء: ١٨٤/٣٠.

(٢) النصائح الكافية: ص٦٤.

(٣) الأعلى: ١٤ ـ ١٥.

(٤) الكامل في التأريخ: ٥٠٣/٣.

الجنّة، حينما وضع رأس الحسينعليه‌السلام بين يديه أخذ اللعين بـن اللـعين «يـنكُتُ بقضيبٍ بين ثنيّتيه ساعةً، فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نكته بالقضيب قال له: أُعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الشفتين: فو الذي لا إله غيرهُ لقد رأيت شفتي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على هاتين الشفتين يقبّلهما، ثمّ انفضخ الشيخَ يبكي، فقال له ابن زيـاد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلُك لضـربتُ عـنقك! قال: فنهض فخرج»[1]، وبعد مغادرته المجلس تكلّم زيد بن ارقم صاحب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بكلامٍ قيل: لو أنّ ابن مرجانه سمع ذلك الكلام لقتله، وكانت قولته: «ملَّك عبدٌ عبداً، فاتّخذهم تُلداً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فـاطمة وأمّرتم ابن مرجانه (أي عُبيد الله)، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلِّ فبعداً لمن رضي بالذلّ!»[2].

وهذه قائمة بأسماء بقية المجرمين من أتباع معاوية:

١ ـ عبدالله بن مسعدة الفزاري.

٢ ـ ثور بن معن السَلَمي.

٣ ـ عبد الرحمن بن عثمان الثقفي.

٤ ـ كُثَير بن شهاب.

٥ ـ أبو الأعور السَلَمي.

٦ ـ ابن ذي الكلاع الحميري.

٧ ـ حبيب بن مسلمة الفِهري.

وغيرهم من هذا السنخ الذين لم تكن لهم مَحمَدة واحدة يذكرها أربـاب

---

(١) تأريخ الطبري: ٣/٣٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٣/٣٣٦.

التواريخ.

لقد كان كلام زيد بن أرقم لعبيد الله بن زياد الذي ذكرناه آنفاً هو في حقيقة الأمر سنّة قرآنية إلهية تأخذ مجراها في الواقع الاجتماعي للبشرية، وهي ليست نظريةً تطرح لاستبيان قوة حجّيتها.

انّ معاوية كذّب في كتابه المرسل الى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام من أنّ جيشه وحاشيته يضمّ المهاجرين والأنصار، وهذا الطرح في الواقع مناورة إعلامية لتغطية صورة الجماعة الظالمة المرافقة له، فوجود المهاجرين والأنصار مع أي طرف يعني في واقع الأمر إقرار حقّانية ذاك الطرف وإثبات مصداقيته أمام المسلمين عامّة، وبما أنّ المعروف عن جيش معاوية أنّه لا يضمّ رجال الإيمان والإسلام الأوائل حاول تغطية ذلك إعلامياً بادّعاءات واهية.

وكان ردّ الإمام عليه السلام على تخرّصات معاوية المشينة وادّعاءاته ومزاعمه الفارغة هو قوله عليه السلام « **وذكرت أنّك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسِرَ أخوك** ».

أيّ مهاجرين وأنصارٍ هؤلاء الذين يهدّدبهم معاويةُ أميرَ المؤمنين عليّ عليه السلام «وليس معه من الأنصار إلّا اثنان فقط: النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد تبعاه طمعاً في دنياه، كابن العاص وكان مع الإمام تسعمائةٍ من الأنصار، ولا نعرف من المهاجرين كان مع معاوية، وكان منهم مع الإمام عليه السلام ثمانمائة، وكان في جيش معاوية الأُمويّون والمنافقون الذين حاربوا رسول الله مع أبي سفيان»[١].

❊ ❊ ❊

(١) في ظلال نهج البلاغة لمغنية: ١٦١/٢.

خاتمة المطاف

وفهم جديد لتأريخ معاوية

وجدت من المناسب أن أجعل خاتمة الكلام والبحث في فتح فصلٍ يتعلّق بفهمنا لتأريخ هذا الصحابي المزوّر، حيث إنّ جُلَّ اختلافاتنا يتعلّق بقصور النظر وتجافي التحليل والتدقيق في الحقائق التأريخية، التي ربّما تُعيننا كثيراً وتوصلنا الى الفهم الواقعي للأحداث، ومن ثمّ ارشادنا الى التصورات الصحيحة، ثم بناء الأحكام المتكاملة على كلّ حادثةٍ تأريخيةٍ، أو شخصية اخُتلِفَ فيها النظر، وقصدنا من بحثنا السابق الذي دار محوره الرئيسي حول المواضيع التي تضمّنتها الرسائل المتبادلة بين الإمام عليٍّ عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان هو الوصول الى الهدف المنشود، وهو وضع الأمور في مكانها المناسب، وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، والحصول على نتائج سليمةٍ وافيةٍ من كلِّ دراسة تعلّقت بتلك المواضيع، وبيان حقيقة هذا الإنسان الذي لا زال الكثير من المسلمين وغيرهم يجهلون حقيقته أو يتجاهلونها، رغم علق معرفتهم وسموّ مكانتهم، والواقع انه لا يمكن تجافي تلك الحقيقة أو طيَّها في القراطيس ليندرس أمرها؛ لأنّ «جريرة معاوية لا تُقاس بنتائج عصيانه وتمرّده على خلافته، وإنّما تقاس بالنتائج البعيدة التي أصابت صرح الإسلام حتى اليوم. ولسنا نشكّ في أنّ الأقدار هي التي شاءت لهذا

الدّعِيّ أن يشقّ طريقه، ولكنّا نؤمن بأنّ الدولة كانت حقيقةً بأن تبقى على الزمن خالدة، تنشر أجنحتها حيثما أشرقت لو أُتيح لها أن تعيش كحالتها الأُولى خاضعةً لناموس الروح، على أن ابن أبي سفيان كان لا يستطيع أن يعيش إلّا في جوٍّ أطماعه، وقد علم أنّ علياً رجل مستقيم النهج، لا يدين بغير شرعة الله، ولا يقرّ للأنانية بالحقّ في الحياة»[1].

إنّ معاوية لم يكن إلّا صنيعةً مشتركةً للتولية الخاطئة من قبل الخليفة الثاني والثالث، والأحداث التي عصفت بالحالة الإسلامية والأحقاد الكامنة في الصدور ضدّ آل البيت عليهم السلام، وبالأخصّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبروز التعصّب العائلي الأعمى في الجسد الإسلامي الواحد، وعلى ضوء ذلك كان لابدّ للباحثين ورجال الفكر من إعادة صياغة التأريخ، وخصوصاً الحقبتين المظلمتين من تأريخ المسلمين وهما: عصر الخلافة الأُموية والعباسية وقد عبثت أيادي التخريب السلطوية بمجمل حقائقها التأريخية، وكذلك غربلة الكتب التأريخية المهمة ممّا شابها من زيف ظاهرٍ ودسٍّ مفضوح.

فالذي يهمّنا الآن في هذا البحث هو إعادة تقويمٍ ما ورد إلينا عن حياة ابن أبي سفيان، حيث «إنّ تأريخ معاوية بن أبي سفيان لا يحتاج إلى مزيدٍ من تفصيل، وإنّما يحتاج تأريخه وتواريخ النابهين جميعاً الى تصحيح الموازين وبيان المداخل التي تؤتى من قبلها أحكام الناس على الحوادث والرجال، فتُصاب بالخَلل، أو تنقلب رأساً على عقب، ويصاب بالخلل معها تفكير المفكّر ونظرة الناظر وإدراك المدرِك لِمَا يحيط به من حوادث زمنه وحوادث سائر

(١) المجموعة الكاملة للإمام عليٍّ بن أبي طالب، لعبد الفتاح عبد المقصور: ٣٠١/٢.

الأزمنة. ونحن نفهم تأريخ معاوية ونفهم معه تواريخ الكثير مـن بُـناة الدول إذا صحّحنا الموازين وعرفنا ما يعرض لها من الانحراف عن قصدٍ أو عن شعورٍ غير مقصود.

ولكنّنا لا نعرف تأريخ معاوية ولا تواريخ غيره إذا أخذنا بظواهر الأقوال ولم ننقب وراءها عن وراءها من بواطن الأهواء والبواعث الخفية، ولا بدّ منها في هذه المرحلة بذاتها: مرحلة الدولة الأُموية الأُولى على التخصيص.

لقد كان قيام الدولة الأُموية بعد عصر الخلافة حادثاً جللاً بالغ الخطر في تأريخ الإسلام وتأريخ العالم»[(١)].

إنّ الهدف من الدعوة الى إعادة النظر وتقويم الحقائق التاريخية، وبالذات ما ارتبط منها بهذه الفترة المأساوية من تاريخ الأمة الإسلامية هو وضع النـقاط على تلك الحروف المبهمة المعنى، والوصول الى مضامين حقيقية تصحّح تـلك الاعتقادات الخاطئة وتُثبِت الاعتقادات الواقعية التي تضمن سلامة الإيمان للفرد المسلم، وتحفظ الحقّ وأهله، وتساهم في بناء الكيان الاجتماعي المسلم بـناءً سليماً بعيداً كلّ البعد عن كل اشكـال الزيـف والتـخريب العـقائدي، والسـيطرة الظالمة لقوى الضلال والبغي على مقدرات أُمور الأُمّة وفي أيّ عصرٍ كان، بحيث ينسب ذلك إيجابياً على حياة الشعوب والأُمم على مر التأريخ وخصوصاً أُمّـتنا الإسلامية، ولكن ما أكثر الدروس والعبر وما أقلّ المعتبرين، ولَطالما تكـرّرت الحوادث، واستفاد من التاريخ من هو اشبه من غيره بماضي الطـغاة المـضلِّلين والنفعيِّين، وبقاء ذلك الخط المنحرف نتيجةً للفهم الخاطئ ـ قيِّماً على مسير الأُمّة

(١) موسوعة العقّاد الإسلامية: ٥٤٢/٣.

الإسلامية واعتقاداتها، وتحت حراسة الذين لا يسعهم الرؤية الحقيقية؛ لتناقض ذلك مع مصالحهم الذاتية، ونحن لا نريد شيئاً أكثر من أن يكون ضمير الإنسان هو الحاكم على ذاته؛ لأنّ تأريخ عليٍّ بن ابي طالب عليه السلام وسيرة معاوية وحياته وأساليبه لا تحتاج الى أكثر من وقفةٍ شجاعةٍ، ونبذ التطرّف والتعصّب في الفكر.

* * *

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن تيميّة حياته عقائده ـ مركز الغدير للدراسات الاسلامية ـ الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى ـ الفضل بن الحسن الطبرسي ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ـ الطبعة الاولى ـ ١٤١٧ هـ

٤ ـ أسباب النزول ـ الواحدي ـ عالم الكتب ـ بيروت.

٥ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عزّ الدين بن الأثير ـ دار إحياء التراث العربي، وأيضاً طبعة دار الشعب القاهرة ـ ٧ أجزاء ـ ١٩٧٠.

٦ ـ أصحاب الأمام أمير المؤمنين عليه السلام والرُّواة عنه ـ الدكتور محمد هادي الاميني ـ دار الكتاب الاسلامي، دار الغدير للمطبوعات ـ بيروت الطبعة الاولى ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٧ ـ أضواء على السنة المحمدية ـ محمود أبو ريَّة ـ مؤسسة أنصاريان ـ ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٨ ـ أوليات الفاروق السياسية ـ الدكتور غالب القرشي ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصوره ـ الطبعة الاولى ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩ ـ بحار الانوار ـ العلامة المجلسي ـ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي.

١٠ ـ البداية والنهاية ـ أبو الفداء ابن كثير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.
١١ ـ البداية والنهاية في التأريخ ـ أبو الفداء بن كثير ـ ١٤ جزءاً ـ الرياض ـ ١٩٦٦.
١٢ ـ بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية ـ السيد جمال الدين بن طاووس ـ تحقيق السيد علي العدناني الغريفي ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ـ ١٤١١هـ.
١٣ ـ بيت الأحزان في مصائب سيّدة النسوان ـ الشيخ عبّاس القمي ـ مؤسسة نبأ ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤١٤هـ
١٤ ـ تأريخ ابن الوردي ـ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
١٥ ـ تأريخ الاسلام الثقافي والسياسي ـ صائب عبد الحميد ـ الغدير ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٦ ـ تأريخ الاسلام السيرة النبوية ـ الذهبي ـ تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري دار الكتب العربي.
١٧ ـ تأريخ الأُمم والملوك (تأريخ الطبري ـ محمد بن جرير الطبري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٨ ـ تأريخ الخلفاء ـ السيوطي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
١٩ ـ تأريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي ـ ليدن ١٨٨٣م.
٢٠ ـ تأريخ اليعقوبي ـ أحمد بن ابي يعقوب اليعقوبي ـ منشورات الشريف الرضي ـ الطبعة الثانية ـ ١٤١٤هـ.
٢١ ـ تأريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
٢٢ ـ تأريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ـ ترجمة الإمام عليّ عليه السلام.
٢٣ ـ تصنيف نهج البلاغة ـ لبيب بيضون ـ مكتب الاعلام الإسلامي الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ

٢٤ ـ تفسير الكشّاف ـ الزمخشري ـ الطبعة الاولى.

٢٥ ـ تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار الفكر ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٨٤م.

٢٦ ـ جامع الأُصول ـ ابن الاثير الجزري ـ تحقيق حامد الفقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٧ ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب ـ محمد بن أحمد الدمشقي الباعُوني ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

٢٨ ـ حجج النهج ـ الدكتور سعيد السامرائي ـ مؤسسّة الفجر ـ بيروت ولندن ـ الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢٩ ـ حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ـ قطب الدين الكندري البيهقي ـ تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي ـ مؤسسة نهج البلاغة ـ ١٤١٦هـ

٣٠ ـ حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ بنياد نهج البلاغة ـ ط ١ ـ ١٤٠٥.

٣١ ـ الاخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكّار ـ تحقيق الدكتور سامي مكّي العاني.

٣٢ ـ خصائص أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب ـ بيروت ـ ١٩٨٣م.

٣٣ ـ دراسات في نهج البلاغة ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة.

٣٤ ـ دلائل النبوة ـ أحمد بن الحسيني البيهقي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٥ ـ رسائل الجافظ (الرسائل السياسية) الجاحظ منشورات دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ الطبعة الاولىٰ.

٣٦ ـ روائع نهج البلاغة ـ جورج جرداق ـ مركز الغدير للدراسات الاسلامية ـ الطبعة الثانية ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٨م.

٣٧ ـ روح المعاني ـ الآلوسي ـ دار إحياء التراث العربي ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٣٨ ـ الروض الأُنف ـ السُهيلي ـ تحقيق عبد الرحمن الوكيل ـ دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأُولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٩ ـ السقيفة والخلافة ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ مكتبة غريب ـ مصر.
٤٠ ـ السلطة في الاسلام (العقل الفقهي السلفي بين النص والتأريخ) ـ المركز الثقافي العربي والدار البيضاء ـ بيروت الطبعة الاولى ١٩٩٨.
٤١ ـ سياسة الحكم ـ أُوستن رني ـ ترجمة د.حسن علي الذنون ـ المكتبة الاهلية ـ بغداد ١٩٦٤م.
٤٢ ـ سير اعلام النبلاء ـ الامام الذهبي ـ تحقيق شعيب الارنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة السابعة.
٤٣ ـ السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون) ـ علي بن برهان الدين الحلبي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٤٤ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الملوّنة ـ بيروت.
٤٥ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن ابي الحديد ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
٤٦ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ
٤٧ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ـ الحاكم الحسكاني الحنفي ـ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ـ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.
٤٨ ـ الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة ـ ابن حجر الهيثمي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٤٩ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٥٠ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربّه ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت الطبعة الاولى ـ

١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٥١ ـ علم السياسة ـ الدكتور حسن صعب ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الثامنة ـ بيروت ١٩٨٥م.
٥٢ ـ علي امام المتقين ـ عبد الرحمن الشرقاوي ـ مكتبة غريب ـ مصر.
٥٣ ـ علي بن ابي طالب (سلطة الحق) ـ عزيز السيد جاسم ـ سينا للنشر والانتشار العربي ـ الطبعة الثانية.
٥٤ ـ علي بن ابي طالب (مستشار أمين للخلفاء الراشدين) ـ الدكتور محمد عمر الحاجي ـ دار الحافظ ـ دمشق.
٥٥ ـ علي بن ابي طالب نظرية عصرية جديدة (مجموعة مقالات) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٥٦ ـ علي بن أبي طالب (امام العارفين) أو البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية الى علي ـ احمد بن محمد بن الصدّيق الغماري الحسيني ـ تحقيق النقشبندي ـ مطبعة السعادة مصر ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩.
٥٧ ـ عليّ ومناؤوه ـ د. نوري جعفر ـ دار المعلّم للطباعة ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
٥٨ ـ عُمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ـ ابن عنبه ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
٥٩ ـ العناصر النفسية في سياسة العرب ـ شفيق جبري ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٦٠ ـ الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٦م.
٦١ ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب ـ الشيخ عبد الحسين الأميني ـ مركز الغدير

للدراسات الاسلامية ـ الطبعة الاولى المحقَّقة ـ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٦٢ ـ فتح القدير ـ الشوكاني ـ دار إحياء التراث العربي.
٦٣ ـ فضائل الصحابة ـ الامام أحمد بن حنبل ـ جزآن ـ مكّة المكرّمة ١٩٨٣م.
٦٤ ـ في الفكر الاجتماعي عند الإمام عليّ ـ عبد الرضا الزبيدي ـ الطبعة الاولى ـ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٦٥ ـ في ظلال نهج البلاغة ـ محمد جواد مغنية ـ دار الكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٩٧٣.
٦٦ ـ القرآن الحكيم وروايات المدرستين ـ السيد مرتضى العسكري ـ الكتاب الثاني ـ شركة التوحيد للنشر ـ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٦٧ ـ قل ولا تقل ـ الدكتور مصطفى جواد ـ مكتبة النهضة العربية ـ مطبعة الراية ـ بغداد ١٩٨٨م.
٦٨ ـ الكامل في التأريخ ـ ابن الاثير ـ تحقيق علي شيري ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٦٩ ـ كتاب جُمَل من أنساب الاشراف ـ الامام أحمد بن يحيى البلاذري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٧٠ ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٥م.
٧١ ـ لباب النقول في أسباب النزول ـ السيوطي ـ دار إحياء العلوم بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٧٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٧٣ ـ الإمام علي بن أبي طالب (المجموعة الكاملة) م١ / ج٢ ـ منشورات مكتبة

العرفان، دار مكتبة التربية ـ بيروت.

٧٤ ـ الإمام علي ومشكلة نظام الحكم ـ الدكتور محمد طي ـ مركز الغدير للدراسات الاسلامية ـ الطبعة الثانية ـ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧٥ ـ الإمامة والسياسة: المعروف بتاريخ الخلفاء ـ الامام الفقيه عبدالله بن مسلم (ابن قتيبة الدينوري) ـ الحلبي وشركاؤه ـ القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٧٦ ـ الإمامة وأهل البيت عليهم السلام ـ الدكتور محمد بيومي الطبعة الثانية ـ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٧٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الحافظ أبو بكر الهيثمي ـ دار الكتب العربي ـ ١٩٨٢م، وأيضاً طبعة بيروت ١٩٦٧م.

٧٨ ـ المجموعة الكاملة ـ د. طه حسين ـ دار الكتاب اللبناني ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.

٧٩ ـ مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر ـ الامام محمد بن مكرم ابن منظور ـ تحقيق مأمون الصاغرجي ـ دار الفكر.

٨٠ ـ مدخل الى علم السياسة ـ موريس دوفرجيه ـ ترجمة الدكتور جمال الأتاسي والدكتور سامي الدروبي ـ دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ـ سوريا.

٨١ ـ المرتضى سيرة أمير المؤمنين سيّدنا عليّ بن أبي طالب ـ أبو الحسن علي الحسيني الندوي ـ دار العلم ـ دمشق.

٨٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ منشورات دار الهجرة.

٨٣ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري ـ حيدر آباد ـ ١٣٣٥هـ

٨٤ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري ـ دار الكتب العلمية ـ ١٩٩٠م.

٨٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ الامام أحمد بن حنبل ـ بيروت ١٩٦٥م.
٨٦ ـ مصادر نهج البلاغة ـ السيد عبد الزهراء الخطيب ـ دار الزهراء الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٩هـ / ١٩٩٨م.
٨٧ ـ معالم التنزيل في التفسير والتأويل ـ البغوي ـ دار الفكر ١٤٠٥هـ / ١٩٨٣م.
٨٨ ـ معالم المدرستين ـ السيد مرتضى العسكري ـ مؤسسة البعثة الطبعة الرابعة ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٨٩ ـ المعيار والموازنه ـ أبو جعفر الاسكافي ـ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.
٩٠ ـ ملامح من عبقرية الإمام عليٍّ ـ الدكتور مهدي محبوبة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٩١ ـ منهج في الانتماء المذهبي ـ صائب عبد الحميد ـ الغدير ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
٩٢ ـ الموسوعة السياسية ـ المؤسسة العربية للدراسات ـ بيروت.
٩٣ ـ موسوعة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن ابي طالب (أصحاب عليٍّ) ـ السيد ناصر الحسيني الطيبي ـ ١٤١٨هـ.
٩٤ ـ موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ـ عباس محمود العقاد ـ المجلد الثالث شخصيات إسلامية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٩٥ ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم ـ الحافظ أحمد بن عليّ بن عبد القادر الشافعي المقريزي ـ مكتبة الاهرام بشارع محمد علي ـ مصر.
٩٦ ـ النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية ـ السيد محمد بن عقيل الحسيني ـ منشورات المكتبة الحيدرية ـ النجف ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
٩٧ ـ النظم الاسلامية ـ الدكتور عبد العزيز الدوري ـ جامعة بغداد ١٩٨٨م.
٩٨ ـ نهج البلاغة ـ المعجم المفهرس ـ دار التعارف ـ بيروت الطبعة الاولى ـ

١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩٩ ـ نهج البلاغة ـ تحقيق الدكتور صبحي الصالح ـ دار الهجرة ـ ١٣٩٥هـ

١٠٠ ـ نهج البلاغة ـ شرح الشيخ محمد عبده، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٠١ ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ـ الشيخ محمد باقر المحمودي ـ مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

١٠٢ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلّكان ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس.

١٠٣ ـ وقعة صفّين ـ نصر بن مزاحم.

١٠٤ ـ اليمين واليسار في الإسلام ـ أحمد عباس صالح ـ ١٩٧٢م.

* * *

المحتويات

مقدمه ٧

الباب الأول

السياسة لدىٰ الامام عليٍّ عليه السلام ومعاوية

« ١١ ـ ٦٠ »

الفصل الأول / مفهوم السياسة والتسيس ١٣

نبذة في معنىٰ السياسة ١٥

المبدأ في سياسة الإمام عليٍّ عليه السلام ١٨

آراء أُخرىٰ ٢٢

البعد السياسيّ لدىٰ الإمام عليٍّ عليه السلام وبعض الآراء ٢٣

الفصل الثاني / سياسة عليٍّ ... العقيدة والمثل ٢٥

العقيدة... المُثل... السياسة ٢٧

المدرسة السياسية المتكاملة ٣٠

التدبير السياسيّ لدىٰ عليٍّ عليه السلام ٣٣

شراء الضمائر ٣٥

آراء الجاحظ ٣٦

السياسة الشرعية ٣٨

الفصل الثالث / التدبير السياسي وسياسة التدبير ٤١

السياسة كما أرادها معاوية ٤٣
التسليم أم الإقرار... لماذا؟ ٤٦
إرهاصات طلب الإقرار وموقف عليٍّ عليه السلام ٥١
عقيدة وثبات ٥٣
الإقرار.. بين الشرعية الدينية والتدبير السياسي ٥٥
الحجة الدامغة ٥٨

الباب الثاني

معاوية وآل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

« ٦١ـ١١٦»

الفصل الأول / تمرّد معاوية وموقف عليّ عليه السلام ٦٣
السلبيّة المنظمة والحقائق الناصعة ٦٦
السيرة والتحريف ٦٧
حقيقة آل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ٧١
القياس الحقيقي ٧٣
الفصل الثاني / حق الولاية والوصاية ٧٧
حقّ الولاية ٧٩
الموصي والوصيّ ٨٠
أعتراف وتأول ٨٢
الفصل الثالث / دفاع واحتجاج ومواجهة ٨٥
الدفاع عن الحقّ والصراع المميت ٨٧
الاحتجاج والمواجهة القاسية ٨٧
الخليفة الأول ينتحب ٨٨

تقيُّدُ عليٍّ بوصيّة الرسول ﷺ ٩٠
الفصل الرابع / جهاد مرير وحقائق ثابتة بمواقف جريئة ٩٣
الحقيقة الثابتة........ ٩٥
الحدّ الفاصل........ ٩٦
الهروب من الحقيقة ٩٨
آل النبيّ ﷺ والجهاد الطويل........ ١٠٠
النقص الواضح........ ١٠٧
سابقة الإيمان ١٠٩
الثبات الرائع........ ١١١

الباب الثالث

الدنيا لدىٰ عليٍّ عليه السلام ومعاوية

«١١٧ـ١٢٨»

المعادلة السلبية........ ١١٩
احذر الموت ١٢١
جوامع الأقدار........ ١٢٥

الباب الرابع

السقيفة في الرسائل

«١٢٩ـ١٧٦»

الفصل الأول / السقيفة والمظلومية الكبرىٰ ١٣١
السقيفة .. حقائق واسئله ١٣٣
بيان المظلومية........ ١٣٧

الاسلام والخطر المحدِق ١٣٧
حجته على القوم ١٤١
قرائن الدجل ١٤٤
السقيفة وفتنة أبي سفيان ١٤٦
احتجاج ونقض ١٤٩
الحق المغصوب ١٥٢
أحلب حلباً لك شطره... .... ١٥٤
الفصل الثاني / ادّعاءات واهية وشهادة حقٍّ من عدوّ ١٥٥
ادّعاء باطل وقصور واضح ١٥٧
التمييز والمميّز ١٦٠
الواقع المظلم ١٦٢
تهديد أجوف ١٦٤
وارث الضلالة ١٦٦
الملك عقيم لدى أهل الدنيا ١٦٧
ماضٍ تليدٍ وتأريخ مخجل ١٦٨
أنصفك الرجل ١٦٩
أبو سفيان في صفحاته المشكوفة ١٧٢
معاوية في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٧٥

الباب الخامس

الفتنة الكبرى

«١٧٧ ـ ٢٣٦»

الفصل الأول / إرهاصات الفتنة وموقف الإمام عليه السلام منها ١٧٩

أسباب الثورة والحركة الجماهيرية ١٨١
عليّ عليه السلام ينصح عثمان ١٨٦
عليٌّ ينصر عثمان ١٩٠
الفصل الثاني / سرّ مطالبة معاوية بدم عثمان! ١٩٥
النصيحة الكاذبة ١٩٧
معاوية يحرّض على قتل كبار الصحابة ١٩٩
معاوية والتناقض المفضوح ٢٠٠
الثأر بين التعجيل والتأجيل ٢٠٠
من الذي قتل عثمان؟ ٢٠٣
اعتراف وفرار ٢٠٦
الفصل الثالث / حرّضوا عليه ثم طالبوا بدمه ٢٠٩
ابن العاص والفتنة الكبرىٰ ٢١١
الثلاثة بين التآمر والثورة ٢١١
الفصل الرابع / موقف الإمام عليه السلام من طلحة والزبير وعائشة ٢١٥
سذاجة وحقد وطماع ٢١٧
بيعة وطموحات غير مشروعة ٢١٧
المقدمات المشؤومة ٢١٩
الموقف الخالد ٢٢٠
عائشة وإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله بخروجها ٢٢٢
عليّ والدعوة الىٰ السلام ٢٢٥
أُمّ المؤمنين بين الحقّ وخلافه ٢٢٧
بغض له جذور ٢٢٨
طلحة والزبير وضياع الإرادة ٢٢٩

الفصل الخامس / في ساحة معركة الجمل ٢٣١
معاوية وأصحاب الجمل ٢٣٣
الاعتراف والتلاعب ٢٣٦

الباب السادس

معاوية في تأليبه وتعبئته الشام ضدّ عليٍّ عليه السلام

«٢٣٧ ـ ٣٢١»

الفصل الأول / كذب وتضليل ومحاولة استمالة بعض الرموز ٢٣٩
تهديدات فارغة ٢٤١
معاوية والحرب الإعلامية ٢٤٢
البجلي ورسالة عليٍّ عليه السلام ٢٤٤
تضليل الخولاني ٢٤٦
خديعة لم تنطلِ ٢٤٨
صُنّاع الضلالة ٢٥١
ملاحظات موضوعية وإشارات واقعية ٢٥٦
الفصل الثاني / بين الحقيقة والدَجَل ٢٦٣
أولياء الشيطان ٢٦٥
حلم الرجال ٢٦٥
الدجّال والمجتمع ٢٦٧
نحن بنو عبدِ مناف ٢٦٨
معاوية وارث هند وأبي سفيان وعتبة ٢٧٤
حقائق مختارة من الواقع الأُموى ٢٧٦
رسائل السلام ٢٧٨

من الذي قتل المسلمين؟ ٢٨٢
شواهد حيّة ٢٨٣
الفئة الباغية ٢٨٦
شقّ عصا الأُمّة ٢٩٠
الفصل الثالث / ولاية الأمر بين الواقع والتطبيق ٢٩٥
خصائص ولاية الأمر ٢٩٧
الحق المبين ٣٠٢
الفصل الرابع / القرآن بين الطرفين ٣٠٣
بين الإيمان والعمل ٣٠٥
واجهة القرآن وحقيقة الصلح ٣٠٧
تأويل القرآن ٣٠٩
الفصل الخامس / سمات اهل الحقّ وملامح اهل النفاق ٣١٣
البون الشاسع ٣١٥
رجال عليٍّ عليه السلام إيمان وجهاد ٣١٦
أزلام معاوية ٣٢١
خاتمة المطاف وفهم جديد لتاريخ معاوية ٣٢٧
المصادر والمراجع ٣٣١

* * ●